

دكتور حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه في علم الاجتماع
مدرس بجامعة حلوان - فرع الإسكندرية

الطبعة الأولى ١٩٨٨

الناشر
المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل . إسكندرية
تليفون ٤٨٢٣٩٥٣

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. أحمد أبو زيد

أنثروبولوجي

الأنثروبولوجيا
في المجال النظري

الأنثروبولوجيا
فى المجال النظرى

دكتور حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الاجتماع
مدرس بجامعة حلوان - فرع الإسكندرية

الطبعة الأولى ١٩٨٨

المكتب الجامعى الحديث
٢٢ شارع الدكتور على رامز
محطة الرمل - إسكندرية

اهــــــــــداء الى

الانســـان الفاضـــل والعالم الجليل

الاستاذ الدكتور / عبد الهـــادى الجوهرى

أستاذ ورئيس قســـم الاجتمــــاع

وعمـــيد كلية الاداب ـ جامعـــة المنيـــــا

محتويـــات الكتـــــاب

الموضوع	أرقام الصفحات

مقدمـة

تعتبر الانثروبولوجيا من العلوم التى ثار حولها الجدل ، واختلف العلماء اختلافا كبيرا فى تحديد مفهومها ومجالها ، وتصورهم لها · حقيقة أنه ظهر فى الفترة الاخيرة العديد من المؤلفات فى الانثروبولوجيا · لكن كل كتاب منها يتناول الانثروبولوجيا من منظور مؤلفه · ومن ثم فهذا الكتاب هو محاولة لتجميع غالبية الاراء والافكار فى موضوع الإنثروبولوجيا ، والخروج منها بتحديد لماهيتها حتى يلم القارىء بها ·

وعليه يستهدف هذا الكتاب القاء الضوء على الانثروبولوجيا ، والتى ما زال غير المتخصصين لا يدركون كنهها · ولقد اكتفيت هنا بالمجال النظرى حتى لا يخرج الكتاب فى حجم كبير ، موعدا القارىء فى فترات زمنية تالية ان أزوده بمؤلفات اخرى عن هذا العلم اذا كان هناك مزيد من العمـــر ·

ولقد تعددت الاتجاهات النظرية التى تناولت هذا العلم · فهناك الاتجاه التطورى · ومن المفكرين من فسر الحضارات فى ضوء الاتجـــاه الانتشارى · واعتبر البعض ان المجتمعات والحضارات انعكاس للنمو الاقتصادى ، وهو ما يسمى بالحتمية الاقتصادية · ومن العلمـــاء من درس المجتمعات فى ضوء المتغيرات النفسية ، وهو ما يسمى بالاتجاه السيكولوجى ثم هناك الاتجاه البنائى / الوظيفى ، والاتجاه المعرفى ·

ويؤخذ على هذه الاتجاهات ان كلا منها ألقت الضوء على عامل واحد (عدا البنائى الوظيفى) ، غافلة النظر عن بقية العوامل الاخرى · وفى ضوء هذه الاتجاهات التى سردت استخلص الباحث فكرة كانت موضوع هذا الكتاب وهى « الانثروبولوجيا فى المجال النظرى » ·

وقد استعان الباحث بعدد من المراجع والكتب العربية والاجنبية (المترجمة) ، والاجنبية · ففى العربية والكتب الاجنبية المترجمة ، وفى

مجال علم الانثروبولوجيا مباشرة فنذكر على سبيل المثال لا الحصر كتب الاستاذ الدكتور / قبارى محمد اسماعيل العديدة فى هذا المجال ، والمدونة فى صفحات المراجع • ومن الكتب المترجمة أ٠أ٠ ايفانز بريتشارد • الانثروبووجيا الاجتماعية ترجمة ، د٠ احمد ابو زيد • الاسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعات ١٩٧٥ ، ١٩٨٠ • وفى مجال الحضارة د٠ حسين مؤنس • الحضارة ـ دراسة فى أصول وعوامل تدهورها • الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٧٨ • وفى مجال المنطق نذكر كتاب د٠ زكى نجيب محمود • المنطق الوضعى • القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦ ٦ • ومن الكتب الاجنبية نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب

Lusy Mair, An Introduction to Social Anthropology, oford, 1968

وينقسم هذا المؤلف الى خمسة فصول ، يتناول الفصل الاول ماهية الانثروبولوجيا ، وتمييزها عن الاثنولوجيا حيث كان علماء القرن التاسع يعتبرانهما علما واحدا او دراسة واحدة • وتبين من هذا الفصل ان الانثروبولوجيا تدرس الانسان فى كل زمان ومكان ، وانها كانت تهتم بدراسة المجتمعات البدائية ، ثم اتجهت نحو دراسة كل المجتمعات الانسانية ـ لا المجتمعات البدائية فقط •

وناقش الفصل الثانى الاتجاهات النظرية فى الانثروبولوجيا ، وهى الاتجاه التطورى الذى يعتبر أن السير الرتيب للانسانية يقع فى مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع فى كلماته القصيرة كل تاريخ الانسانية • اما الاتجاة الانتشارى ، فقد قام كرد فعل للاتجاه التطورى، ويرى اصحابه إن الاتصال بين الشعوب نتج عن احتكاك ثقافى ، وعملية استعارة ، وانتشار بعض او كل السمات الثقافية من مجتمع الى اخر •

ويرى اصحاب الحتمية الاقتصادية ان التنمية الاقتصادية ذات تأثير كبير على التنظيم الاجتماعى · ونظر اصحاب الاتجاه السيكلوجى الى المجتمعات من وجهة نظم طبيعة الانسان وشعور الافراد والدوافع · ويرى اصحاب الاتجاه البنائى / الوظيفى ان بنية المجتمع هى وحدة متماسكة او نسق اجتماعى يتكون من اجزاء مترابطة ، يعتمد بعضها على بعض ، ويدخل كل جزء فى عدد من العلاقات المعقدة مع الاجزاء الاخرى ولكل جزء وظيفة — أى دور نشاطى يقوم به · واخيرا يأتى الاتجاه المعرفى ، وهو يقوم على ما تصوره الناس عن طريقة تفكيرهم واسلوب ادراكهم للاشياء والمبادىء التى تكمن وراء هذا التفكير والتصور ·

وتناول الفصل الثالث تاريخ الانثروبولوجيا ، ومنــه تبين ان الانثروبولوجيا علم حديث جدا ، ومع ذلك فان البحث فى شئون المجتمعات الانسانية قديم قدم الانسان نفسه ، وقبل ظهور الانثروبولوجيا كعلم · فقد ظهرت أبحاث تمثلت فيما قام به المصريون القدماء ، والاغريق القدامى، والرومان ، وفى العصور الوسطى ، وفى الحضارة الاسلامية ، وعصر النهضة ، ثم فى العصور الحديثة ، وحتى القرن العشرين ·

وفى الفصل الرابع تبين فروع الانثروبولوجيا ، حيث تنقســم الانثروبولوجيــا ، الى الانثروبولوجيــا الفيزيقيــة / الطبيعيــة والانثروبولوجيا الثقافية ، والانثروبولوجيا الاجتماعية ، والانثروبولوجيا التطبيقية ، كما ترتبط الانثروبولوجيا بعلوم الاثنولوجيا ، وعــلم النفس ، والتاريخ ، وعلم الاثار ، وعلم الاقتصاد ، وعلم السياسة ، والادب ، والتربية ، واللغويات ، والطب ·

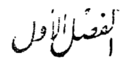
وتناول الفصل الخامس والاخير ، المنهـج والبحـث العلمى فى الانثروبولوجيا » ، وشرح هذا الفصل المقصود بمصطلح المناهج ، والمناهج المستخدمـة فى الانثروبولوجيا ، وهى المنهـج الوصفى ، والتاريخى ، والمقارن ، والتجريبى ، والاحصائى • وتناول الفصل الادوات المستخدمة فى جمع المعلومات ، وهى المراجع والكتب ، والملاحظة ، والمقابلة والاستبار الشخصى ، والاخباريين ، واخيرا بيننا امكانية تطبيق المنهج العلمى فى الانثروبولوجيا ، ويتأتى ذلك عن طريق الدراسة الميدانية •

وأرجو ان اكون قد وفقت فى اخراج هذا المؤلف ، والله ولى التوفيق •

المؤلـــف

دكتور / حسين عبد الحميد احمد رشوان

الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٨٨ •



ماهيـة الانثروبولوجيـا

من الصعوبة بمكان أن نعرف الانثروبولوجيا تعريفا دقيقـا ، ونبين أهدافها ومناهجها ، فقد اختلف علماء الانثروبولوجيا فى تعريف علمهم . وتصورهم له ، بالرغم من اتفاقهم على العديد من الموضوعات الرئيسية . وللانثروبولوجيا قاموس متخصص ، ومع ذلك فان الكلمات المستخدمة فى القاموس مثل « المجتمع » و « الثقافة » و « العادة » و « الدين » و « الجزاءات و « البناء » و الوظيفة و « السياسة » و « الديموقراطية » لا تحمل نفس المعنى بالنسبة لكافة الناس (١) .

وقد استخدمت كلمـة الانثروبولوجيا Anthropolgy فى اللغـــة الانجليزية استخداما عاديا لعدة قرون ، ولكن باعتبارها علما ، فهى تعد علما حديثا نسبيا ، اذاستخدمت منذ قرن أو يزيد كى تتميز عن المفهوم القديم للاثنولوجيـا . فقد استخدم العلماء القدامى كلمة انثروبولوجيا كما لو كانت ترادف الاثنولوجيا Ethnology ومعنى هذا بعبارة اخرى ان الانثروبولوجيا الاجتماعية والاثنولوجيا كانا يعتبران فى نظر علماء القرن التاسع عشر علما واحدا او دراسة واحدة ، بينما يعتبرهما المحدثون علميين متميزين أحدهما عن الاخر . وهكذا يمكن القول بان الانثروبولوجيا الاجتماعية قد نشأت حقيقة فى احضان الدراسات والكتابات الانثولوجية

وقد صدر هذا المصطلح عن أصلين يونانيين ، الاول « انثروبوس Anthropos » ، ومعناها الانسان ، والثانى « لوجوس logos » ،ومعناها العقل أو العلم أو « دراسة » . ومن هنا فالمعنى اللفظى لاصطلاح الانثروبولوجيا أنه العلم الذى يدرسه الانسان « The Study of Man ,

---

(١) Evans Pritchard, Social Anthropology, p. 2.

ولكن ما هـو الانســـان ؟ ٠

يختلف كل علم عن العلوم الاخرى فى نظرته للانسان ، فرجال الاقتصاد ينظرون الى الانسان كساع وراء جمع الثروة ، أو متصرف فيها بالانفاق ، وعى صانع للاختيارات من أجل حصوله على الوسائل النادرة لانجاز أهدافه ٠ وينظر الفلاسفة الى الانسان باعتباره حيوانا عقلانيا ٠ ويدرس علم التاريخ سجل حياة الانسان مرتبا احداثه الهامة ترتيبا زمنيا ٠ ويتناول علم النفس عقل الانسان من حيث كونه فردا ذا سـلوك ٠ أما علم الاجتماع فانه يدرس العلاقات الاجتماعية ذاتها أو المجتمع نفسه ٠

وقد أكـد بعض الانثروبولوجيين ان الانســان يتميز بعـدد من الخصائص الرئيسية ، فهو حيوان ثديى – أى يتم انجابه بيولوجيا وتقوم الام بحمله وتغذيته وتربيته وتهذيبه ٠ كذلك فهو ليس حيوان فقط ، بل هو حيوان عاقل – يعرف ويدرك ٠ وهو ايضا الكائن الوحيد الذى يتمتع بالثقافة ، فعالم الحيوان يفتقر الى العادات والتقاليد والقيم والقـانون ، كما أننا لم نسمع ان حيوانا اخترع جهازا أو الة ٠ ويتميز الانسان بأنه يتصل بأقرانه عن طريق الرموز ، أما الحيوانات فيتصل بعضها ببعض عن طريق الاشارات ٠ كما يتمتع الانسان بتاريخ طويل وخصائص اجتماعيـة (٢) ٠

والانثروبولوجيا هى الدراسة المتكاملة للانســان بما تحويه من جوانب سيكلوجية وبيولجية وفسيولوجية وثقافية واجتماعية ٠ وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت جميع العلوم الانسانية والاجتماعية والفلاسفة يستخدمون هذه الكلمة ٠ وهاهو تايلور Tylor (٣) يعرفها

(١) See paul Bohannan, Social Anthropology p.p. 2 — 3.
2 Eee Kroeber, Anthropology p. 1 .

(٢) Rober B. Tylor, Introducton to cultural Anthrpology p.p. 1 — 2.

بأنها « الدراسة البيوثقافية المقارنة للانسان » · فهى تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للانسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة إجتماعية ، ومقارنة التنوع الهائل للجماعات الانسانية ، للحفاظ على وحده العلوم وتكاملها ·

وبهذا المعنى فان الانثربولوجيا تتناول موضوعات مختلفة من العلوم والتخصصات التى تتعلق بالانسان ، حتى انه يصعب على أى انثربولوجى ان يصول ويجول فى كل هذه المجالات ·وهى ليست العلم الوحيد الذى ينفرد بدراسة الانسان · فالعلوم البيولوجية تدرس الانسان ، حيث يهتم علم التشريح على سبيل المثال بدراسة البناء الفيزيقى للانسان · سواء فى ذاته او علاقتــه بالتراكيب الجسمية للحيوانات الاخرى · وتدرس الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) ، وعلم الاجنــة ، وكثير غيرها لها جوانب خاصة من الانسان · أما سلوك الانسان فيتمثل موضوع الدراسة فى عدد من العلوم ، نذكر فى مقدمتها علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة والتاريخ ·

وهكذا لا ينفرد علم الانثروبولوجيا بدراسة الانسان ، انما يشترك فى ذلك عدد كبير من العلوم الاخرى ، وبالتــالى يحتاج هذا التعريف على حد قول « كروبر Al. Kroeber » (٤) الى مزيد من الايضاح ليصبح أكثر تحديدا او أكثر دقة · فهناك فارق جوهرى يميز بين الانثروبولوجيا وعلم النفس ، ويتمثل هذا الفــارق فى ان الانثربولوجيا تهتم بدراســة الانسان كانساق اجتماعية ، فى حــين تتجه الفسيولوجيا وعلم النفس الى دراســة الانسان كأنساق فردية · وهذا ما دفع كروبر واخــرون الى القول بأنها تهتمّ بالانسان واعماله وسلوكه فى حياته المختلفة وسلالاته

---

(٤) د· فاروق مصطفى اسماعيل · الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ١١ - ١٢ ·

المتباينة • ومن ثم لا معنى للقول بأن الفسيولوجية وعلم النفس هى اجزاء من الانثروبولوجيا •

ولا تهتم الانثروبولوجيابالانسان الفرد كما تفعل الفسيولوجيا وعلم النفس ، ولكنها تهتم بالانسان الذى يعيش فى جماعات وأجناس • والنـاس فى أحداثهـم واعمـالهم • وعلى ذلك فيمكن القول : « ان الانثروبولوجيا هى علم دراسة الجماعات الانسانية وسلوكها وانتاجها (٥)•

ولعل أفضـل طريقة لتعريف الانثروبولوجيا هى من خـلال تحديد ما يقوم به فى الواقع هـؤلاء الافـراد الذين يعرفون كمتخصصين فى الدراسات الانثروبولوجية • ومع ذلك نجد ان العلمـاء يختلفون من مكان لاخر ، ومن زمان الى اخر على الوصف العميق للانثروبولوجيا • فيقول العلماء الامريكيون أن الانثروبولوجيا هى وصف الخصائص الانسانية والبيولوجية والثقافية للنوع البشرى عبر الزمان • ويستخدم الامريكيون مصطلح الانثروبولوجيا الفيزيقية Physical Anthropology للاشارة الى الجانب العضوى او الحيوى للانسان ، بينما يستخدمون مصطلح الانثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology ليعنى مجموع التخصصات التى تدرس الجوانب الاجتماعية والثقافية لحياة الانسان •

وفى فرنسـا تعنى كلمـة انثروبولوجيا دراسـة التاريخ الطبيعى للانسان •وفى ألمـانيا تعنى دراسة التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر أو الدراسة الطبيعية للانسان • أما فى انجلترا فقد اختاروا تسمية اخرى وهى الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthroplogy ، ونظروا اليها باعتبارها علما قائما بذاته (٦) •

وهكذا تركز الانثروبولوجيا مشكلاتها من ناحية على الانسـان

---

(٥) Kroeber, op. cit. p. l.

(٦) شاكر سليم • قاموس الانثروبولوجيا • ص ٥٦ •

كعضو فى المملكة الحيوانية ، اى ككائن فيزيقى حالى او كائن فيزيقى منقرض ، ويتألف من جسم وعقل وروح ، فهو يتميز بخصائص فيزيقية فى تكوينه ونموه ، وهذه الخصائص تميزه عن بقية الكائنات الحيـة الاخرى• وتربط الانثروبولوجيا اعضاء جسم الانسان بحياته الروحية• وتهتم بالتغيرات الجسمية والعقلية التى تعترى الانسان عبر التاريخ ومن هنا تستعين الانثروبولوجيا بعلوم التشريح المقـارن Comparatire Anatomy والبيولوجيا الانسانية Human Biology ، وبعلم اثار ما قبل التاريخ Prehistoric Archoelogy وعلم الاجناس او السلالات Ethnology وعلم الحفريات •

الا ان الانثروبولوجيا من ناحية اخرى لا تدرس الانسان ككائن وحيد أو منعزل ، وانما تدرسه ككائن اجتماعى يحيا فى مجتمع ، وعليه حقوق وواجبات ، ويؤدى وظائف اجتماعية ، ويعيش فى ثقافة ، وينتشر فى الارض زمرا • ومن ثم فهى تدرس سلوك الانسان كعضو فى المجتمع من ناحية ، ومنشىء للثقافة من ناحية اخرى •

وتدرس الانثروبولوجيا الانسان فى كل زمان ومكان . فهى لا تقصر نطاقها فى مرحلة تاريخية محددة بالذات ، وانما تهتم بالاشكال الاولى والمبكرة للانسان واجداده واصوله منذ أقدم العصور والازمنة حتى يومنا هذا ، فهى تهتم بتاريخ الشعوب التى تفتقر الى التاريـــخ المسجل أو المكتوب ، ونمو الحضارات منذ اقدم الاشـكال التى وصلتنا عنها أى سجلات او بقايا •

كذلك فهى تدرس الانسان فى كل مكان من أجزاء الكرة الارضية ، مثل اقتصاديات الجماعات التى لا تعرف سوقا ذات نظم للسعر المحدد • والحكومات والسياسات فى المجتمعات التى لا تؤلف دولا ، والعلاقات الاجتماعية فى المناطق التى يقوم فيها العمل والتخصص المهنى على أساس القرابة ، وبسيكلوجية الشعوب غير الغربية ، وتهتم كذلك بالفروق فى

الثقافات وأوجه التشابه بينها فى محاولة للتوصل الى « القوانين » أو الاسس التى تحكم الثقافة وتطورها فى المجتمعات الانسانية العديدة ·

وهكذا لا تتقيد الانثروبولوجيا بفترات الزمان او بحواجز المكان ، ولكنها تتقيد بموضوع واحد هو الانسان ·

وعليه اهتم الانثروبولوجيون الاوائل بدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمعات البدائية ، اذا اجتذبتهم غرابة تلك المجتمعات ، واختلافها عن المجتمعات الاوربية · ولعل ما جاء فى مجلة الانثروبولوجيا الامريكية فى عدد اكتوبر ١٩٦٠ خير دليل على ذلك ، فقد عنيت المجلة بموضوع ، الثقافات فى عصور ما قبل الفخار فى اليابان ، و« القرابة والتطور والتقاليد التاريخية والدراسات الاثرية فى بولينزيا » و « التحولات والانحراف الثقافى فى تلال الهملايا » و « مفهوم المرض فى الثقافة المكسيكية » (٧) ·

وتنتشر هذه المجتمعات بين شعوب اللاب والاسكيمو فى المناطق القطبية ، والشعوب المغولية فى سيبريا ، وقبائل الهنود الحمر فى أمريكا · وأفريقيا الزنجية ، وجنوب الهند وجاميكا والحدود الهندية البورمية ، ومجتمعات بولينزيا وملانيزيا فى المحيط الهادى ، وسكان استراليا الاصليين ·

وكان موضوع تلك الدراسات مجتمعات صغيرة مثل « المعشر » و«العشيرة» · وكان الاهتمام موجها لدراسة نسق القرابة Kinship System والطقوس Rituals · أما النظم الاجتماعية الاخرى ، فقد أهملت لدرجة ما ، وخاصة النظام السياسى ·

وقد ظهر الاهتمام بدراسة الجانب السياسى او وضع الرئيس فى

---

(٧) د· محمد عبده محجوب · مقدمة فى الانثروبولوجيا ـ المجالات النظرية والتطبيقية · ص ٣٥ ·

المجتمعات البدائية عندما اتجهت الدراسات الميدانيـة نحو افريقيا ٠ فبدراسة العلامة ايفانز بريتشارد لقبائل الازاندى بالسودان التى بدأت عام ١٩٢٧ ، أخذ الاهتمام بدراسة النظام السياسى يظهر بوضوح ٠ وتدرس الانثروبولوجيا كذلك الاقتصاد المقارن ، وهى لا تهتم بمناقشة موضوع هل هذه المجتمعات شيوعية او رأسمالية ، وانما تدرس تعقد الحقوق ، والاتحادات والفردية فيما يتعلق بملكية الارض او قطعان البقر فى محاولة لكشف الحقوق بالانساق الاجتماعية كما تدرس الانثروبولوجيا الاجتماعية القـانون المقـارن ، والاخلاق ، والسحر ، وعبادة الاجداد، والاخذ بالثأر ، والاساطير والعلم البدائى ، والفن البدائى ، والتكنولوجيا البدائية ٠ وحين يدرس الانثروبولوجى انساق القانون فى المجتمعات البدائية فينبغى ان يكون لديه قدرا من المعلومات عن القانون العـام والتشريعات ٠ كذلك الامر بالنسبة للفن البدائى ، فهو لا يستطيع ان يتفهم الفن فى المجتمعات البدائية دون ان يكون ملما بأدب الفن على وجه العموم ٠

ويجب ان نفهم أن المجتمع البدائى ليس بدائيا بالمعنى التاريخى للكلمة ، ولا تعنى الشعوب التى لاحضاره لها ، والتى ليس لها تاريخ حضارى ، ذلك ان كل الشعوب البدائية قد مرت بأطوار تاريخية طويلة قد تماثل فى طولها الاطوار التى مرت بها المجتمعات الاوربية ،غير انه لاسباب معينة وقفت عند حد معين من التطور ٠ ومن ثم لا ينبغى اطلاقا ان نقارن الانسان البدائى الحالى بذلك الانسان الحفرى الذى عاش وانقرض منذ فجر التاريخ ٠

ولهذا عندما يستخدم الانثروبولوجيون كلمة بدائى فانهم يقصدون بها الاشارة الى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المساحة او تشعب العلاقات الاجتماعية ، والتى تمتاز ببساطة الفنون الالية والاقتصاد وقلة التخصص فى الوظيفة اذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة ٠

وقد أكد هذا المعنى محاضرة السير « جميس فريزر » تحت عنوان «مجال الانثروبولوجيا The Scope of Anthropology» والتى ألقاها فى ١٥ مايو ١٩٠٨ بمناسبة منحة درجة الاستاذية الفخرية فى جامعة ليفربول ، اذ حدد مجالها فقال : اعتقد أنه من الاوفق ان نميز بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية ، فنطلق التسمية الاولى على دراسة المجتمعات الانسانية بأوسع معانى هذه الكلمة ، ثم نقصر الانثروبولوجيا على قطاع خاص من هذا الحقل الفسيح الارجاء ، وعلى ذلك يكون مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية محصورا فى دراسة الاشكال الاولية البسيطة للمجتمعات الانسانية ، وفى المراحل البدائية من تطورها ، فهى ، لاتشمل اذن دراسة المراحل الاكثر تطورا وتركيبا فى نمو المجتمعات ويستطرد قائلا : ان دراسة الانثروبولوجيا الاجتماعية هى محاولة للكشف عما نسميه بالقوانين العامة General laws التى تحكم الظاهرات وتفسر ماهى المجتمعات الانسانية ، حتى نتمكن بفضلها ان تتنبأ بمستقبل البشرية ، استنادا الى تلك القوانين السسيولوجية العامة التى تنظم تاريخ الانسان ، حيث أن الطبيعة البشرية انما تتسم بأنها واحدة بعينها فى كل زمان ومكان ٠

ودعم ايفانز بريتشارد Erans pritchard هذا الرأى فذكر فى كتابه الانثروبولوجيا الاجتماعية » : انه يمكن النظر الى هذه الدراسة على أنها فرع من الدراسة الاجتماعية يهدف على وجه الخصوص الى دراسة الشعوب البدائية ٠

كذلك اكد الاستاذ راد كليف براون Radcliffe Brown هذا المعنى فى كتابه «الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology اذ قال ان تعريف الانثروبولوجيا الاجتماعية يعنى فحص لطبيعة الانسان بالمقارنة المنظمة لانواع مختلفة من المجتمعات ، مع العناية بوجه خاص الى الاشكال البسيطة لمجتمعات "بدائيين والمتوحشين وغير المتعلمين (٨) ٠

---

(٨) أ٠ ايفانز بريتشارد ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ١٥ ٠

ويمكن تلخيص الاسباب التى دفعت الرحيل الاول من الانثروبولوجيين الى دراسة المجتمعات البدائية فيما يلى :

جذبت هذه المجتمعات انتباه فلاسفة القرن الثامن عشر على انها تمثل حالة الطبيعة التى يظن ان الانسان كان يعيش فيها قبل ان يظهر نظام الحكومة المدنية • كذلك اهتم بها علماء الانثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر لاعتقادهم انهم واجدون فيها دلائل وشواهد تساعدهم فى بحثهم عن اصول النظم الاجتماعية فى أبسط صورها ، وان المنهج السليم يقتضى التقدم والانتقال فى دراسة النظم الاكثر بساطة الى النظم الاكثر تعقيدا حتى يتسنى للباحث ان يستعين فى دراسته بما تعلمه من الدراسة السابقـــة •

وثمة سبب اخر وجيه لدراســـة المجتمعات البدائية فى الوقت الحالى ، وهو ان هذه المجتمعات بدأت تتفتح على العالم الخارجى ،وتتغير بسرعة تحت وطأة الثقافة الاوربية الصناعية مما يستوجب المبادرة الى دراستها قبل فوات الاوان • فهذه الانساق الاجتماعية التى فى طريقها الى الزوال تعتبر نماذج بنائية فريدة ، وسوف تسهم دراستها مساهمة فعالة فى فهم طبيعة المجتمع الانسانى ، لان الذى يهم فى الدراسة المقارنة للنظام ليس عدد المجتمعات المدروسة ، وانما مدى تنوع هذه المجتمعات وتغايرها ويرى وورنز أن المجتمعات البدائية تعتبر بالنسبة للانثروبولوجى الاجتماعية بمثابة المعمل الذى يمكن ان يختبر فيه أفكاره وطرائقه فى البحث الاجتماعى •

وفى وقتنا الحالى لا تقتصر أبحاث الانثروبولوجيا على المجتمعـات البدائية وحدها ، حيث تعرضت معظم هذه المجتمعات البدائية للابادة كما هو الحال بالنسبة لكثير من قبائل الهنود الحمر الامريكيين • كذلك فان تقدم وسائل الاتصال بين الشعوب ساعدت على تطور الشعوب

البدائية والمتخلفة ذات النظام القبائلى · ومن ثم قام الانثروبولوجيون بدراسة الجماعات المحلية القروية والحضرية والبيئات الصناعية فى ايرلنده وكوبيك Quebec ، وماساشوسيت ، المكسيك ، وكندا ، واليابان · والصين والهند · وفى الولايات المتحدة الامريكية خطت الانثروبولوجيا الاجتماعية خطوات واسعة فى دراسة المجتمعات الحضرية والصناعية وهى تهتم بموضوع الهجرة من القرية الى المجتمع الحضرى الصناعى ·

وعلى ذلك فالانثروبولوجيا الاجتماعية هى الدراسة الحقلية للعلاقات الاجتماعية او الظواهر الاجتماعية فى كل المجتمعات الانسانية لا المجتمعات البدائية فقط بحيث تشمل الدراسة موضوعات توزيع الشعوب ، والحركات الاثنولوجية والتراكمات الثقافية ، والاحتكاك الثقافى بين الشعوب ، والقرابة والقانون والعادات والاخلاق والسحر والاساطير والعلم والتكنولوجيا فى المجتمعات المعاصرة البدائية والمتمدنية ، البسيطة والمعقدة ·

ومما هو جدير بالذكر ان وورنر قد قام فعلا بدراسة مجتمع بدائى استرالى (٢٦ ـ ١٩٢٩) ، كما درس أيضا مجتمعا حضريا فى أمريكا بعد عودته من استراليا هو مجتمع (يانكى سيتى) · ومن الامثلة على دراسة المجتمعات المتحضرة كتاب الاستاذ ارنسبرج Arensberg المسمى ، حياة الفلاحين فى جنوب ايرلنده The Irish countryman سنة ١٩٣٨ ومن الدراسات التى قام بها العلماء فى المجتمعات القروية والحضرية نذكر دراسة جون امبرى (سوهى مورا) ودراسة دوبى (شاميربت) · ودراسة روبرت وهيلين لندا (ميدلتاون) ·

ويؤكد ذلك ايفانز ريتشارد اذ يعرف الانثروبولوجيا الاجتماعية بأنها فرع من الدراسات الاجتماعية يتخذ المجتمعات الانسانية جميعها بأنماطها المتنوعة موضوعا له ، وان كان يركز على دراسة النمط التقليدى · كما يقرر راد كليف براون (١٩٤٤) ان الانثروبولوجيا الاجتماعية لايقتصر دراستها على المجتمعات البدائية فقط ، بل انها تدرس كل المجتمعات الانسانية ·

الفصل الثانى

الاتجاهات النظريـــة

تقـــديم :

تعددت الاتجاهات والمسارات التى سار عليها علم الانثروبولوجيا ، ومع ذلك فانها تستهدف جميعا اولا وأخيرا دراسة وفهم الانسان فى ماضية وحاضرة من منظور كلى • وتتمثل هذه الاتجاهات فى الاتى :

أولا : الاتجاه التطورى :

التطور هو أحد الاتجاهات الاساسية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر فقد أسهم كثير من الباحثين فى نظريات هذا الاتجاه ، وفى رأى اصحابـه ان الســير الرتيب للانسانيـــة لا يمكن ان يكون اعتباطـا او خاضعا للمسيرات الفردية والاهواء والمصادفات ، ولكنه يقع فى مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع فى كلماته القصيرة كل تاريخ الانسانية •

ويهتم هذا الاتجاه فى الانثروبولوجيا بدراسة الاصول Origins ، وتخمين البدايات الاولى للنظم مثل اصل الدين ، واصل اللغة ، وأصل القانون ، اى انها تعالج مشكلات الاصول التى صدرت عنها النظـم الاجتماعية •

كما يهتم بالدراسة التتابعية Genetic study ، اذ تحاول ان تتتبـع نشأة الظواهر الاجتماعية ، وتغيرها من حالات بدائية ساذجة بسيطة الى حالات معقدة اكثر تركيبا ، ومن حالة التجانس الى التباين ، وايجـاد العلل والاسباب التى توضح لنا كيف يحدث التغير فى النظم • فلقد أكـد بعض العلماء على سبيل المثال أن تطور الاسرة بدأ بمرحلة الاباحية الجنسية ، ثم مر خلال الاسرة الاموية ، فالاسرة الابوية ، واستقر التطور أخيرا عند الاسـرة الزواجيـــة الصغيرة • واحيانا ما يذهـب الاقتصاديون الى ان الانسانية مرت خلال مراحل متتابعة هى : جمـع

الطعام ، والصيد ، ورعى الماشية ، والزراعة ، وأخيرا الصناعة • ويوصف التطور فى القانون باعتباره انتقالا من الملكية العامة الى الملكية الخاصة ، ومن المكانة الى التعاقد • ويعتبر البعض ان التطور من السحر الى الانيزم (المبدا الحيوى) الى الطوطمية يعبر عن مراحل متميزة من تطور الدين • وفى ميدان السياسة نظر الباحثون الى الديموقراطية كنهاية للتطور التقدمى • ويؤكد اخرون ان التكنولوجيا شهدت عصورا اربعة هى : العصر الحجرى ، والبرونزى ، والحديدى (١) •

وترجع فكرة التطور الى ٢٥٠٠ سنة قبل زمن داروين • فقد اعتقد أرسطو (٣٨٤ - ٣٣٢ ق•م) ان الاشكال الجديد للحياة ظهرت بعد الاشكال القديمة • وعلى وجه العموم فقد اتجهت وجهة نظر الفلاسفة اليونان اتجاها مثاليا •

وتأثر المفسرون الاوائل للتوارة بأفكار ارسطو ، وقالوا بامكانية ظهور انواع جديدة تنبثق عن الانواع الاولى التى صنعها الله • واعتقد رجال الدين المسيحى ان كل شكل من اشكال الحياة قد تشكل من خلال عملية الخلق الاصلية ، وقالوا - حسب ما جاء فى نظرية ارسطو - بأن الطبيعة قد نظمت نظاما متكاملا ، وهم يطلقون على ذلك « قانون التوازن Scala Nalurae » ، او سلسلة الحياة ، حيث توضع القردة اسفل الانسان ، ولكنها تعلو الحيوانات البسيطة •

وفى القرن السابع عشر وضع القس « جيمس اشر James ussher كتابا عن « تاريخ الخلق وتوازن الطبيعة » (٢)

---

(١) انظر د• قبارى محمد اسماعيل • الانثروبولوجيا الوظيفية ص١٩
وانظر د• محمد على محمد • الانثروبولوجيا الثقافية ص ٦٠ •

(٢) Charles A. weitz, Introduction Physical Anthropology and Arhaeology, p. 18

وقد اتجهت الانثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر اتجاها تطوريا بتأثير المدرسة الدارونية • وكان داروين (١٨٠٩ — ١٨٨٢) فى الاصل متخصصا فى الطب ،ثم نشر كتابا بعنوان«أصل الانواع Origins of Species by Means of Natural Selection (عام ١٨٥٩) • وتفترض الدارونية أن كل اشكال الحياة لم تخلق خلقا متخصصا لكل نوع ، وانما يرتبط بعضها ببعض فالجنس البشرى تطور تطورا بطيئا من التنظيمات الحيوية الدنيا • وينتج عن ذلك التكيف مع البيئة • وعلى ذلك فان اشكال الحياة تمثل وحدة توضع تحت قانون التطور • واعتمد داروين فى نظريته على الملاحظة المباشرة للحقائق • وقد اثر هذا الكتاب تأثيرا كبيرا فى علوم البيولوجيا ، وعلم النفس ، والعلوم الاجتماعية ، بل والموسيقى خلال الخمسين سنة التى تلت نشرة •

وتناول أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧) مراحل التطور فى كتابه « مقالات فى الفلسفة الوضعية Cours de philosophie positivism فى محاولة لاقامة « قانون المراحل الثلاث ، باعتباره قانونا يحكم المعرفة والمجتمع •

وكان لويس هنرى مورجان (١٨١٨ — ١٨٨١) يعمل محاميا ثم تحول الى اثنولوجست • وهو من اوائل الانثروبولوجيين الامريكيين الذى قام بصياغة نظريته عن التطور الاجتماعى • ولعل اهم كتاب لمورجان يعكس التطور الذى كان يسود بشكل عام فى تفكير القرن التاسع عشر هو كتابة « المجتمع القديم Ancient Society » (١٨٧٧) •

وكان الهدف الاساسى هو محاولة تتبع المراحل التى مرت بها الانسانية وهى : مرحلة الوحشية Savagery ، والبربرية Barbanism واخيرا مرحلة الحضارة او المدنية Civilization .

وقسم مورجان كل من المرحلة الاولى والثانية الى ثلاث مراحل فرعية وتتولد كل مرحلة من هذه المراحل العامة والفرعية بواسطة اختراع

تكنولوجى عظيم ·ولذلك فان المرحلة الثانية من الوحشية قد ترتبت على اختراع فى اشعال النار وصيد الاسماك · وظهرت المرحلة الثالثة من الوحشية نتيجة لاختراع القوس والسهم Bow and Arrow · وبدات مرحلة البربرية الدنيا بالتوصل الى صناعة الفخار ، اما مرحلة البربرية الوسطى فقد ترتبت على استئناس الحيوان ، وزراعة الذرة والنباتات بالاعتماد على الرى ، كما أقيمت المساكن من الطوب النى والحجارة ، بينما بدات المرحلة البربرية العليا بتشكيل الحديد وتحويله · أما مرحلة الحضارة فقد بدأت باختراع حروف الهجاء والكتابة ، وهى تمتد حتى وقتنا الحاضر · وترتبط كل من هذه المراحل بتطــور متميز فى الدين والاسرة ، والنظم السياسى والملكية (٣) ·

كما اهتم مورجان بوجه خاص بدراسة تطور الحكومة ، واشكالها المختلفة ، واشكال الملكية ، وحاول تطبيق نظريته على الانسانية ككل فى كافة عصورها ، وفى كل مناطق العالم ، حيث تتشابه العمليات العقلية والطبيعة الانسانية عند كل الناس ·

وقبل كتاب « المجتمع القديم » كان مورجان قد ألف كتابا بعنوان « انساق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الانسانية · System of Consonguinity and Affinity of Human family

(١٨٧١) : وتناول فيه اعادة تركيب كل تاريخ الزواج والعائلة · وبين ان الزواج والعائلة تطورت من الحالة الاصلية للجنسية الجماعية حيث الاسرة الامومية ، ثم الاسرة الابوية الى المدنية حيث الزواج الوحدانى / المونوجامى (٤) ·

---

(٣) د· قبارى محمد اسماعيل · اسس علم الانسان · الانثروبولوجيا ص ١٨١ ·

(٤) Godfrey lienhardt, social Anthropology p. 12

وسيطرت على المؤرخ الفرنسى فوستيل دى كولانج fustel de coulange (١٨٣٠ ـ ١٨٨٩) فكرة التطور كما يبدو مى كتابه المدينة العتيقة ١٨٦٤ ، اذ اشار الى ميكانيزمات التغير مشيرا بذلك الى أعمال داوين . وقرر كولانج انه يوجد علاقة وثيقة بين الذكاء الانسانى والظروف الاجتماعية للناس ، ويقصـــد بالذكاء هنا العقيدة . وتأثر بهزى مين فيما يتعلق بالعقيدة ، والقانون ونظم الحضارات الهيلينية والرومانية . والنظم القائمة فى الهند القديمة . وتناول التكامل الاجتماعى وتداخل النظم فى المجتمعات الاولى التى درسها ، مبينا ان فهم اى عنصر من عناصر ثقافة معينة يؤدى الى ادراك كل نسيج الدساتير القديمة ، والتى هى رابطة من الطقوس ، وقواعد الوراثة والعقيدة ، فالمدينة ارتباط دينى ، والعائلة تجمع كنسى ، وتشتق الارستقراطية سلطتها من العقيدة الدينية (٥) .

وكان هربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) من أصحاب الاتجاه التطورى . وقامت نظريته على اساس التقدم التدريجى من الشكل البسيط الى اشكال اكثر تعقيدا او بمعنى اخر من التجانس فى المجتمعات البدائية الى اللاتجانس فى المجتمعات المتقدمة .

ويؤخذ على هذا الاتجاه انه تبين لعلماء التاريخ واثار ما قبـــل التاريخ امثلة لمجتمعات تقدمت وقطعت شوطا بعيدا فى التقدم دون ان تمر بتلك المراحل المفترضه عند التطوريين . كما تجاهل هذا الاتجاه التنوعات الهائلة للثقافات المختلفة حيث لا يمكن ان نرسم خطاً للتنمية بتفصيلاتها وندعى القول بأن كل المجتمعات قد عبرت هذا الخط .

كذلك فان التاريخ اليقينى انما تستند حقائقة الى شواهد مباشرة وبيانات evidence تربط بين الاحداث اللاحقة والاحداث السابقة فى نسق على « طبقا لمبدأ لسببية Causality ، فيربط بين احداث المـــاضى فى سلسلة عليه متصلة مترابطة هذا هو التاريخ بمعناه اليقينى المؤكد أما التاريخ الظنى فيستند الى الافتراض والحدس والتخمين الى حـــد

---

(٥) Ali Issa, op. cit. p. 22.

بعيد . لاننا لذا نكن لدينا الان معرفة بالزمان والمكان ، الا اننا لا نعرف شيئا عن الظروف والاحداث المجهولة التى سبقت هذه المعرفة المباشرة ولذلك يضع اصحاب هذا الاتجاه شتى الافتراضات والتخمينات ، وذلك لاعادة تركيب هذا الماضى المجهول (٦) .

ويذهب دوركايم الى أننا لا نستطيع أن ندرس الثقافة دراسة تاريخية ، كما لا يمكننا ان نتوصل الى تلك التعميمات generalization او اطلاق القوانين العامة General laws ، كتلك القوانين الفيزيقية التى تحاول مختلف العلوم الاستقرائية Inductive sciences اكتشافها والبحث عنها فى العلم الطبيعى . وذلك من حيث ان كل العناصر الجزئية للثقافة لا يمكن تفسيرها عن طريق اطلاق القانون او التعميم ، ولكنها تفسر وتحلل فقط ، عن طريق محاولة الرجوع الى اجزاء او عناصر اخرى للثقافة ، اى ان كل عنصر ثقافى جزئى ، انما يفسر عن طريق محاولة البحث عن اصوله الجذرية وتتبعها فى باطن البناء التاريخى لماضى الثقافة برمتها . بمعنى أننا نبحث عن العناصر الثقافية والسمات الجزئية داخل اطار ماضى من المركبات الثقافية Culture Complex (٧) .

ويعترض الاستاذ راد كليف براون على هذه النظرية التاريخيه الظنية ، بأن هذا الذى يقوم على الفروض غير المقنعة تفسير باطل . فلقد تبين ان نقطة الضعف الشديد فى طريقة الدراسة عند M. Junod أنه اقتصر على جمع المعلومات المؤيدة لنظريته التاريخية ، فلقد وجد ان الخال فى « التونجا » يسيطر تماما على توجيه وحماية ابن الاخت ، ويقدم الاضاحى والقرابين الى الالهة حين يمرض ابن الاخت طلبا للشفاء . كما وجد أن ابن الاخت يطالب ببعض ما ترك الخال من تركات ، كل

---

(٦) د. قبارى محمد اسماعيل اسس علم الانسان – انثروبولوجيا ص ص ١٨١ – ١٨٢ .

هذه المقدمات جعلت Junod يتمسك بنظرية تطور المجتمعات الاموية وسبقها للمجتمعات الابوية ٠

ولكن الاستاذ راد كليف وجد ان تلك المظاهر فى التونجـــا التى يتخذها الخال تجاه ابن الاخت ، انما توجد ايضا فى مجتمعات ابوية بحته كمجتمع باتونجا Bathonga ، والنـــاما Nama ، وفى بولينزيا Polynesia ، وفى جزر فيجى ٠ ففى كل هذه المجتمعات نجد نفس الشواهد والعادات التى تدور حول الخال بالرغم من انها مجتمعات ينتسب فيها الطفل الى زمرة أبيه ، لا الى عشيرة أمه ، كما تورث فيها الملكية فى خط الذكور ٠

ويزيل الاستاذ راد كليف براون من الاذهان هذه الافكار الخاطئة التى تتعلق بتقسيم المجتمعات الى أبوية ، وأموية ، ويؤكد ان وظيفة النسـق القرابى ليست وظيفة جزئيـــة تتعلق بالام او « بالاب » او « بالخال » أو « بالعم » على اعتبار انهم أفراد ٠ وانما تتمثل وظيفة النسق القرابى بانها تكاملية Integrated ، وينطبق ذلك على كل المجتمعات مهما بلغت درجة بدائيتها او تحضرها (٨) ٠

ثانيا : الاتجاه الانتشارى Diffusionism :

وكرد فعل للاتجاه التاريخى التطورى ، برز الاتجاه الانتشارى ٠ فقد افترض المناهضون للتطور ، وهم اصحاب الاتجاه الانتشارى ان الاتصال بين الشعوب المختلفة قد نتج عنه احتكاك ثقافى ، وعمليــه استعارة وانتشار ، ونقل بعض أو كل السمات الثقافية بملامحها المعنوية والمادية اى العادات والعرف والتقاليد وغيرها من المظاهر الثقافية التى تشمل طرائق السلوك وتصرفات الناس وأفعالهم فى حياتهم اليومية

---

(٨) د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا الوظيفية ص ص ١٤٨ _ ١٤٩ ٠

كما تشمل بالطبع الوسائل المادية التى يعتمد عليها الناس فى حياتهم اليومية من مجتمع الى اخر · وبناء على ذلك فان تشابه النظم الاجتماعية والعادات فى المجتمعات المختلفة لا ينشأ عن النمو التلقائى الناتج عن الامكانيات الاجتماعية والطبيعية للانسان ، وانما توصل اليها شعب واحد فى مكان معين ، وفى فترة زمنية من تاريخه ، ثم انتقل بعد ذلك كله أو بعضه من ذلك المجتمع الى المجتمعات الاخرى · ومع ذلك فان كلا من المدرستين النشوئية والانتشارية تهتم بالماضى ، بحيث عند دراستها للنظم تقومان بتتبع تاريخ تلك النظم ·

والمبدأ الاساسى الذى تسلم به معظم نظريات الانتشار انه اذا تساوت كل الظروف الاخرى ، فان عناصر الثقافة ستتبناها او تستعيرها اولا تلك المجتمعات القريبة الى منابعها او مصادرها الاصلية ، وفيما بعد ستتبناها المجتمعات الا بعد ، أو المجتمعات التىيكون احتكاكها المباشر بالمنبع الاصلى اضعف منه فى حالة المجتمعات الاولى ، ويستند هذا المبدأ الى الحقيقة الواضحة التالية ، وهى ان انتشار اى عنصر يتطلب وجود عاملين معا ، وهما الاحتكاك والوقت · فمن المستحيل أن تنتشر أية خاصية الى ثقافة ما ، الا اذا كانت هذه الخاصية على صلةبثقافات اخرى تمتاز بهذه الخاصية · فمثلا نفترض ان هناك ثلاث قبائل هى «أ» و «ب» و «جـ» ، وان المنطقة التى تسكنها القبيلة «ب» تقع فى مكان وسط يفصل بين قبيلتى «أ» و «جـ» ، ويحول دون احتكاك مباشر بينهما ففى مثل هذه الحالة لا يمكن لاية خاصة قد تنشأ عند القبيلة «أ» ان تصل الى القبيلة «جـ» الا بعد ان تقبلها القبيلة «ب» التى تمثل بدورها مركز التوصيل ، ومن الملاحظ ان هناك احتمالا قويا لان تنتشر الثقافة على شكل مجموعات من العناصر ترتبط بعضها ببعض ، وان كان ذلك لا يحول دون انتشار كل عنصر على حده (٩) ·

---

(٩) د· محمد على محمد · الانثروبولوجيا الثقافية · ص ٧١ ·

وكان القرن التاسع عشر هو عصر الترحال والسفر ، واستخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات . وكان باستيان Bastian (١٨٢٦ - ١٩٠٥) من أشهر هؤلاء الرحاله . وعمل كطبيب على سفينة جالت معظم اجزاء العالم ، وزار العديد من المناطق . واهتم باستيان على وجــه الخصوص بالمعتقدات الدينية واسترعى انتباهه اوجه الشبه فى العديد من المجتمعات التى يبتعد بعضها عن بعض . الا انه أرجع هذا التشابه الى الوحدة السيكلوجية بين بنى البشر .

وعلى عكس باستبيان ، اهتم راتزل (١٨٤٤ - ١٩٠٤) بالعنصر المادى للثقافة متمثلا فى الادوات والاجهزة اكثر من اهتمامه بالافكار . وفى رأية ان جميع الناس ليسوا مخترعين او مبتكرين ، ولكن هناك عدد ضئيل جدا يقوم بالاختراع والاكتشاف ، ثم تنتشر هذه الاختراعات والاكتشافات الى جميع انحاء العالم عن طريق الهجرة . ومن ثم يظهر أوجه الشبه بين المجتمعات المختلفة والتى يبتعد بعضها عن بعض (١٠) .

وقد نمى هذا الاتجاه هو ينريخ شورتز H. Schurtz الذى أبرز فكرة وجود علاقات حضارية بين العالم القديم (اندونيسيا وماليزيا) ، والعالم الجديد (أمريكا) ، وكذلك ليوفرو بينوس L. frobenuis صاحب نظرية الانتشار الحضارى بين أندونيسيا وأفريقيا . وانطلاقا من هذا المنظور ، افترض البعض ان عملية الانتشار هذه ربما تكون قد بدأت من مركز حضارى محدد ، ثم انتقلت عبر الزمان الى أجزاء العالم المختلفــة من خلال الاتصال بين الشعوب . ففى انجلترا ظهرت المدرسة الانتشارية التى أرجعت نشأة الحضارة الانسانية كلها من مصدر او مركز واحــد وعن طريق الاحتكاك الثقافى بين الشعوب سواء عن طريق التجارة أو الغزوات او الهجرة انتشرت عناصر تلك الحضارة المركزية او الرئيسية واتسعت دائرة وجودها .

---

(١٠) Lucy Mair, Introduction to Social Anthropology, p. 17.

فقد رأى العالمان اليوت سميث E. Smith (١٨٧١ –١٩٣١) ، وتلميذه **وليم بيرى** w. t. perry ان الحضارة الانسانية نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل فى مصر القديمة منذ حوالى خمسة الاف سنـــة قبل الميلاد قديما ، وذلك بعد فترة طويلة عاشتها الانسانية على الصيد وعندما توافرت الظروف وبدات الاتصالات بين الجماعات والشعوب انتقلت بعض مظاهر تلك الحضارة المصرية القديمة الى بقية العالم التى عجزت شعوبها عن الابتكار والاختراع فعوضت ذلك بالاستعارة والتقليد ٠

وقد رفض الالمان والنمساويون وعلى راســـهم فرتيز جوايبتور (١٨٧٧ – ١٩٣٤) وولهم شميث W. Schmidt (١٨٦٨ – ١٩٥٩ ؛ فكرة المنشأ الواحد للحضارة الانسانية ، واقترحوا وجود عدة مراكز حضارية فى جهات متفرقة من العالم ، وانه نشأ عن التقاء الحضارات مع بعضها مع البعض ، نوع من الدوائر الثقافية ، وحدثت بعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة (١١) ٠

ثالثا : الحتمية الاقتصادية :

جرت العادة عند بعض الباحثين على ابراز عامل واحد باعتباره المؤثر الوحيد فى العلاقات الاجتماعية وفى عمليات التغير ٠ وقد سمى هذا الاتجاه بالحتمية فهناك الحتمية الجغرافية ، وهى التى تقول بأن العوامل الجغرافية دون غيرها هى صاحبة الكلمة اولا فى الحياة الاجتماعية وهناك الحتمية الثقافية ، وهى التى تبرز الثقافة كعامل وحيد يؤدى الى التغير ٠ وفى مجال الانثروبولوجيا اعتبر بعض العلماء الاقتصـــاد كعامل وحيد يفسر الحياة الاجتماعية ومن انصار هذا الاتجاه سان سيمون Saint Siman الذى عاش فى القرن الثامن عشر ، وشـــاهد الثورة الصناعية الكبرى ٠ وكان أول المفكرين الذى تنبأ بتأثير التنمية الاقتصادية

---

(١١) د٠ حسين فهيم – قصة الانثروبولوجيا – فصول فى تاريـــخ **الانسان ص ص ١٥٩ – ١٦٠ ٠**

والتكنولوجية على التنظيم الاجتماعى · وتبنى سان سيمون شعارا مؤداه «كل شىء من اجل الصناعة» ·وفى رأية ان اعادة تنظيم المجتمع بعد انهياره يتأتى بواسطة الفردية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر ، ومن خلال اعادة بناء الوحدة العقلانية · وكان يرى ان السلطة تمر الى أيدى العلماء الوضعيين ، وهى تتميز عن لاهوت الاقطاع ·واعتبر ان العلماء الوضعيين هم قساوسة الدين الجـــديد ، وهم يعملون على مد العقيدة العملية والتى عن طريقها ينظم السلوك الانسانى · وكانت فكرة العقيدة العلمية مسيطرة على معظم كتاباته · واستخدام الفاظا هى : الانسانية والمجتمع والفرد (١٢) ·

رابعا : الاتجاه السيكلوجى :

وكرد فعل للاتجاه التاريخى تحول الانثروبولوجيون الى علم النفس مركزين دراستهم حول طبيعة الانسان وشعور الافراد والدوافع · ويعد الاتجاه السيكولوجى الاتجاه الاكثر ذيوعا فى بعثات جامعة كامبردج · فقد ركزت بعثات هذه الجامعة انتباهها على علم وظائف الاعضاء وعلم النفس · وحمل ريفرز Rivers وماكدوجـــــال ومـــاير Meyer وسلجمان لواء هذا الاتجاه فقد نقلوا معهم الى توريس ستريت Torres Straits معدات ولوازم معمل سيكولوجى اقاموه فى منزل للتبشير غير مستخدم فى جزيرة موراى Murray Island كانت هذه اول محاولة لدراسة سيكلوجية الشعوب البسيطة · ونشير هنا الى ان الاهالى لم يكونوا متوحشين كلية حيث استقرت البعثــة فى توريس ستريت ، فقد احتكوا بالمستوطنين الاوربيين لفترة قاربت الثلاثين عاما · أما جزيرة موراى فكانت اقل تأثيرا بنفوذ الاجانب من سكان جزر توريس ستريت ، وذلك لصعوبة الوصول اليها ·

واستهدف ريفرز وزملاؤه دراسة الخصائص العقلية للمواطنين ، ومن

---

(١٢) Aly Issa, op cit. p. 46.

الموضوعات التى تم فحصها : دقة الاحساس لاختلافات الضوء ، اختيار عمى الالوان ، مدى السمع ، القدرة على الشم والتذوق ، الوزن ، فترة رد الفعل ،قوة العضلات ، الرسم والكتابة وتغيرات ضغط الدم تحت الظروف المختلفة (١٣) ٠

خامسا : الاتجاه البنائى الوظيفى :

قام الاتجاه البنائى / الوظيفى كرد فعل للمدرسة النشوئية التطورية والمدرسة الانتشارية ، فهى لم تعد تهتم بالماضى او بتاريخ النظم الاجتماعية ، ولم تعد تهتم كذلك بالاجابة عن سؤال مؤداه متى ظهر هذا النموذج الاجتماعى الى الوجود ، وهل يمكن أن يتغير ذلك ان الحادثة التاريخية تحدث مرة واحدة ، أما العلم فيهتم بالاحداث المتكررة باستخدام منهج التجربة ٠ وعلى ذلك فان الاتجاه البنائى / الوظيفى يهتم بالكشف عن وظائف النظم الاجتماعية ٠ واتصف الاتجاه البنائى / الوظيفى بأنه لا تطورى ، ولا تاريخى ، اذ ركز على دراسة الثقافات كل على حدة فى واقعها وزمنها الحالى ٠

وينبغى ان نتساءل اولا ما هو مفهوم البناء الاجتماعى ؟ ذلك الذى نراه نسقا طبيعيا تارة ، خلقيا تارة اخرى ٠

اذا القينا نظرة الى ما حولنا من الجمادات او الكائنات الحية ، لوجدنا ان لكل منها « بناء » ، فللكائن الحى بناؤه ، وللذرة بناؤها ، وللقصة أو القصيدة الشعرية بناؤها ٠ اما البناء العضوى فهو مجموعة العلاقات التى تدور بين أعضاء أجهزة الكائن الحى ، وبناء « الذرة » وهو مجموعة العلاقات التى تدور بين النواة nucleus وما حولها من الكترونات electrons كشحنات سالبة ، وعلاقتها بما يدور حول النواة نفسها من شحنات موجبة (بروتونات Protons ، وشحنات (متعادلة neutrons) ٠

(١٣) Ibid., p. p. 75 — 76

وكذلك حال القصة وبناؤها الذى يتألف من مجموعة من الاحداث التى تترابط وتتناسق فيما بينها فى سياق منطقى ، والقصيدة التى يتكون بناؤها من نسق من الابيات الشعرية التى تنتظم فى شكل موسيقى متكامل (١٤) ٠

أما بنية المجتمع فهو وحدة متماسكة او نسق اجتماعى Social System ، يتكون من اجزاء مترابطة ، يعتمد بعضها على بعض ، ويدخل كل جزء فى عدد من العلاقات الضرورية المعقدة مع الاجزاء الاخرى ٠ والمقصود بأن المجتمع الانسانى نسق System ان الحياة الاجتماعيـــة يسودها درجة معينة من الترتيب والتماسك والثبات والاستقرار والاستمرار لا يتيسر للفرد بدونه ان يشبع ابسط حاجاته الاولية او الثانوية ٠ ويرجع هذا الترتيب الى تجمع العلاقات الاجتماعية فى مجموعات تتخذ كل مجموعة صورة نظام اجتماعى Social Institution ويستند ذلك الى انه لن يمكن فهم اى جزء ، او اى نظام اجتماعى فهما صحيحا الا اذا درسناه فى علاقته بالنظم الاخرى السائدة فى المجتمع المحلى بالذات ، ثم فى علاقته بالكل الذى يدخل فى تكوينه ٠ ومن الطبيعى ان التغيرات التى تحدث فى أى نظام معين تؤثر فى النظم الاخرى ، وأننا لا نستطيع ان نقوم بتحليل النسق القرابى بمعزل عن دورة فى التضامن الاقتصادى ، والتوائم الايكولوجى ، والتمايز الثارى ٠ ويمكن عن طريق تحديد تلك العلاقات الضرورية ومقارنتها بما هو موجود فى مجتمعات اخرى الوصول الى القوانين التى تنظم الحياة الاجتماعية ، وبالتالى يصبح التنبؤ العلمى ممكنا (١٥) ٠

---

(١٤) انظر د٠ قبارى محمد اسماعيل الانثروبولوجيا الوظيفية ص ص ١٦٣ - ١٦٤ ٠
وانظر د٠ قبارى محمد اسماعيل الانثروبولوجيا العامة ص ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ٠

(١٥) See John Lewis, Anthropolgy — Made Simple, p. 237.

وقد اختلف الانثروبولوجيون فى تعريف اصطلاح « البنـاء الاجتماعى Social Structure » ، فاذا بحثنا فى قواميس الانثروبولوجيا نجد التعريف التالى : « البناء الاجتماعى نسيج يتكون من العلاقات التى تربط بين اعضاء مجتمع ما ، وفى رأى اخر » يتكون ذلك النسيج من العلاقات التى تربط بين الجماعات الاساسية فى مجتمع ما » ٠

ويذكر العلامة ايفانز بريتشارد فى مؤلفاته بأن البناء الاجتمـاعى هو الجماعات الاجتماعية المستمرة فى الوجود لوقت كاف بحيث تستطيع الاحتفاظ بكياناتها كجماعات رغم التغيرات التى تحدث للافراد الذين يكونون تلك الجماعات ٠ ويقول العلامة كيسنج Keesing يقصد بالبناء الاجتماعى النظم الاجتماعية التى عن طريقها تصل مجموعة من السكان الى حالة للتكامل والترابط ، وهى الحالة اللازمة لتكوين المجتمع » (١٦) ٠

ويرى راد كليف براون ان الملاحظة المباشرة تكشف عن أن الناس انما يرتبطون معا بشبكة من العلاقات الاجتماعية القائمة بالفعل ، وهى التى تكون البناء الاجتماعى ، وهى موضوع « دراسة الانثروبولوجية الاجتماعية » ٠ ويضيف راد كليف براون ان البناء الاجتماعى يشتمل على ثلاثة مجموعات من الظواهر هى :

١ ــ الجماعات الاجتماعية المستمرة فى الوجود لفترة كافية من الزمن وتعرف هذه بالاشكال المورفولوجية للمجتمع الانسانى ، وهى اشكال تكتل الانسان فى وحدات اجتماعية مختلفة فى الحجم والوظيفة ٠

٢ ــ كل العلاقات الاجتماعية بين فرد واخر من اعضاء مجتمع ما

٣ ــ ظواهر التنوع بين أفراد وجماعات مجتمع ما ٠

---

(١٦) د٠ عاطف وصفى ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ٠

أما كلود ليفى - ستروس ، فيرى ان البنية تتألف من عناصر يكون من شأن اى تحول يعرض الواحد منها ، ان يحدث تحولا فى باقى العناصر الاخرى (١٧) ٠

وترتبط بنية المجمتع فى الانثروبولوجيا بالتحليل الوظيفى ٠ ولقد استخدمت كلمة « الوظيفة » استخدامات مختلفة مما أضفى عليها فى النهاية كثير من الغموض ٠ ففى لغتنا اليومية تشير الكلمة الى العمل الذى تؤديه الالة ، كما نقول عن شخص انه يوظف اذا قام يعمل متوقعا ان يؤديه ٠ وفى الرياضة تشير الكلمة الى علاقة احد المتغيرات بمتغير اخر او بعدد من المتغيرات الاخرى ٠ بينما يقصد بها فى الفسيولوجيا ان كل عضو من اعضاء الكائن الحى يقوم بوظيفة او عدة وظائف ضرورية حتافظ بها على بقاء هذا الكائن ٠ فوظيفة القلب - مثلا - هى دفع الدم الى كل اجزاء الجسم ، فاذا توقف القلب عن أداء وظيفته توقفت عملية الحياة ، كما توقف البناء الحى عن الوجود ٠ ولهذا ترى البيولوجيا ضرورة تساند الاجزاء بصفة اساسية ٠

ولكن ما المقصود بالوظيفة فى مجال الانثروبولوجيا ؟ لا شك ان استخدام مفهوم الوظيفة فى دراسة المجتمع يقوم على اساس المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ٠ ان « الوظيفة » فى مجال الانثروبولوجيا يقصد بها الدور الذى يلعبه النظام الاجتماعى فى البناء الاجتماعى الشامل ٠ فالشعائر الجنائزية - فى الواقع - من حيث هى وظيفة اجتماعية تعبر عن الترابط الوجدانى بين افراد المجتمع ، ذلك التعبير الذى يؤكد روابط التضامن التى تربطهم بعضهم ببعض ٠ وكذلك الحال فى شعائر التكريس Initiation Ceremonies ، حيث يشير الفتى

---

(١٧) د٠ حسين فهيم ٠ المرجع السابق ص ٢٢٧ ٠

من أبناء الاندمان انه اصبح عضوا اساسيا له وظيفته ، ويعتمد على نفسه لا على ابائه • ويمكن أن نتكلم ـ مثلا ـ عن الوظيفة الاجتماعية للعقاب على الجريمة أو الوظيفة الاجتماعية للشعائر الطوطمية الاسترالية•

هذا ولم تصدر نظرية البناء اجتماعى من العدم ، ولم تنشأ بطريقة عشوائية بل ان للنظرية جذورها منذ ظهور مونتسكيو Montesqieu فى منتصف القرن الثامن عشر • فلقد ميز مونتسكيو بين البناء الاجتماعى للمجتمع ، ونظام القيم الذى يعمل فى هذا المجتمع ، واطلق على المفهوم الاول اصطلاح « طبيعة المجتمع » ، ويقصد به البناء الخاص المتميز للمجتمع ، ويسمى المفهوم الثانى « مبدأ المجتمع » ويعرفه بأنه الرغبات والاهواء الانسانية التى تدفع البناء الاجتماعى للعمل •

ورأى مونتسكيو ان المجتمع يتكون من نظم يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وظيفيا ، حيث ترتبط قوانين المجتمع بالبيئة الطبيعة ، والنظم السياسية ، والاقتصادية ، وعدد السكان ، ومعتقداتهم ، والعـــرف ، والاخلاق ، وأمزجة الناس• وكان مونتسكيو يعنى بكلمة قوانين العلاقات الضرورية المستمدة من طبيعة الاشياء ، اى الشروط التى تؤدى الى قيام المجتمع الانسنى على العموم ، وكذلك الشروط التى تؤدى الى ظهور كل نوع او طراز من المجتمعات على حدة

ولقد تطور الاتجاه الوظيفى الى حد بعيد عند قدماء الانثروبولوجيين من أمثال « هنرى مين » و « باخوفين » و « ماكلينان » ، فقد درس هؤلاء النظم الاجتماعية دراسة وظيفية ، حيث درس « هنرى مين » الظواهر الاجتماعية فى ضوء الظاهرات الاجتماعية الاخرى ، مثل العلاقة بين القانون ، والدين ، والاخلاق ، وتأثير تقنين القانون فى الظروف التاريخية المختلفة ، وتأثير تنمية روما كامبراطورية عسكرية على تحول المجتمعات من مجتمعات تقوم على المكانة Status الى مجتمعات تقوم على التعاقد Contract ، وعلى السلطة الشرعية / القانونية للاب • وتصور هنرى مين ان السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها رئيس الاسرة الابوية

هى السبب فى ظهور قاعدة القرابة عن طريق الاب ، ومبدأ الانتساب الى أقارب الاب فقط فى كل المجتمعات فى مرحلة معينة من تطورها ٠

وطلع علينا باخوفين Bachofen فى كتابة « حق الام » ، واعتبر ان ظاهرة سيادة الام فى الاسرة لا يمكن فهمها ودراستها كظاهرة معزولة بانتزاعها عن غيرها من سائر الظواهر الاجتماعية الاخرى ٠ ويتلخص رأيه فى ان الاباحية او الشيوعية الجنسية كانت منتشرة فى الاصل فى كل مكان ، ثم جاء بعد ذلك نظام عائلى يقوم على اساس الانتساب الى الام والخضوع لسلطانها ، ولم يظهر الانتساب الى الاب الا فى مرحلة متأخرة من تاريخ الانسان ٠

وفسر « ماكلينان » النظم الاجتماعية ستنادا الى ظاهرة الزواج الاغترابى ومعنى ذلك ان « ماكلينان » كان يشايع هو الاخر فكرة التساند الوظيفى بين النظم الاجتماعية على أساس اعتماد هذه النظم بعضها على بعض ، فقد بين مدى الاغراق فى تأكيد الترابط الوظيفى بين شتى النظم التى تتعلق بالزواج الاغترابى Exogamy ، كالنظام الطوطمى، وعداوة الدم ، والاخذ بالثار ، ووأد البنات ، فيربط بينها فى سلسل القضايا المنطقية التى تؤلف فيما بينها نسقا برهانيا ، بحيث تكون كل قضية منها نتيجة لقضية سابقة ، ومقدمة لقضية لاحقة (١٨) ٠

وتناول أوجست كونت الاستاتيكا والديناميكا الاجتماعية ، ويقصد بالاستاتيكا الاجتماعية الدراسة المنصبة للاجزاء المختلفة للنسق الاجتماعى ككل ، ومدى اثر هذه الاجزاء وتأثيرها وتساندها مع سائر الاجزاء الاخرى . وما يؤدى اليه ذلك التساند من عمليات اجتماعية ، أما الديناميكا الاجتماعية فهى تدرس التغير الاجتماعى (١٩) ٠

---

(١٨) د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ٠ ص ١٢٠
(١٩) د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ اصول الانثروبولوجيا العامة ص ٢٦١ ٠

ولاحظ العالم البريطانى هربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) فى كتابية المشهورين « مبادىء علم الاجتماع Principles of Sociology » ودراسة فى علم الاجتماع The Study of sociology » تشابها وتوازنا بين المجتمع والكائن الحى من حيث البناء Structure والوظيفة function وافترض ان كلاهما قد نمى وتطور ، ويحافظ على بقائه فى الوجود ، ولكن ذلك يحدث فى المجتمع بفضل عوامل اجتماعية اطلق عليها فوق العضوى Super organic وكلما زاد نمو حجم المجتمع يزداد التنظيم ، والتكامل ، والتباين البنائى والوظيفى ، وتساند اجزاء الكائن الاجتماعى واعتماد بعضها على البعض الاخر ٠

واهتدى ادوارد تايلور Tylor (١٨٣٢ ـ ١٩١٧) ، وهو انثروبولوجى بريطانى ، أهم كتاباته « الثقافة البدائية Primitire culture » اهتدى الى ما يسمى بطريقة التلازمات Methods of Adhesions على اعتبار ان عناصر الحياة الاجتماعية تترابط ترابطا عليا ، طبقا لمنهج تعقب ارتباطات Tracing Adhesions بين سائر الظاهرات والنظم الاجتماعية لمعرفة العلاقة العليه بين هذه الظاهرات والنظم ٠

واعتبر اميل دوركايم Emile Durkheim (١٨٥٨ ـ ١٩١٧) أن النظرة الى علم الاجتماع على أنه امتداد للبيولوجيا نظرة خاطئة ٠ فالظواهر الاجتماعية تختلف فى طبيعتها عن ظواهر الفسيولوجيا ٠ وتناول دوركايم « الضمير الجمعى » لا على اعتبار انه ينتج عن المجموع الفردى لضمائر الافراد ، بل انه ينجم عن تفاعل هذا الكل الذى يختلف فى خصائصه عن خصائص الاجزاء الداخلة فى تكوينه ٠ فالظواهر الاجتماعية لا ترتد الى الافراد ، وانما ترجع الى المجتمع ككل ٠ وهكذا فان الحياة الاجتماعية لا يمكن أن تتجزأ ، فالحياة وحدة ، كما أنها توجد فى الكل ولا توجد فى الاجزاء ٠

وتأثر دوركايم فى كتابة تقسيم العمل De La Division du Travail بكتابات سان سيمون عن الثورة الصناعية ، وتقسيم العمل فى المصانع ،

وأورد ان تقسيم العمل لا يوجد فقط فى النظم الاقتصادية ، بل يمتد ليشمل الوظائف السياسية والادارية والتشريعية ٠

واشار دوركايم فى هذا الكتاب الى الظروف التى تسهم فى ظهورنماذج مختلفة من التضامن فى المجتمعات ٠ ويقصد دوركايم بمصطلح التضامن حالة العلاقات بين الافـــراد والجماعات والتى تستند الى الاخلاقيات والمعتقدات المشتركة ، وكذلك الاتفاقات العقلانية ، ويرتكز التضامن على التشابة والتباين ٠ فالتضامن الذى يظهر بين المتشابهات سماه دوركايم التضامن الالى mechanical solidarity والتضامن الذى يظهر بين الاختلافات اطلق عليه التضامن العضوى Organic Solidarity ، وهو الذى تتميز به المجتمعات الحديثة ٠

وفى ضوء هذا قسم دوركايم المجتمعات الى نموذجين المجتمـــع الانقسامى **Segmental** والمجتمع المتباين ٠ ويستند المجتمع الانقسامى الى روابط الدم والقرابة . ويتسم بالتجانس والتشابه ، ويتضاءل فيه تقسيم العمل ، ويحدده العلاقة بين الجنسين ، وبين الافراد من ذوى الاعمـــار المختلفة ٠ وهو يتكون من حدات بنائية قرابين تشبه حلقات الدورة ، اذا ازيلت جزء من أجزائها يحل محله فى الحال جزء اخر ٠ ويرتبط الافراد فى هذه المجتمعات بالتضامن الالى ، حيث يخضع الافراد لما يمليه الرأى العام والتقاليد ، والمسئولية فى هذه المجتمعات مسئولية جمعية ،ويورث المركز الاجتماعى ، ويتجلى ذلك فى المجتمعات التقليدية ٠

اما المجتمع المتباين ، فهو ذلك المجتمع الاكثر تقدما والاشد تعقيدا، من حيث انه يتميز بتمايز الادوار ، ويبدو فيه تقسيم العمل الذى يرجع الى الظروف الاجتماعية الواقعية ، اذ ان تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم المجتمع وكثافة السكان ، وشدة التفاعل ، ومن ثم فهو يقوم على التباين، حيث تتعدد وتتنوع شخصيات الافراد ، ويرجع ذلك الى تعدد وتنوع الخبرات والوظائف التى يمرون بهـا ٠

وقد أكد دوركايم الوظيفة الاجتماعية للدين والطقوس والشعائر الدينية فى التعبير عن التضامن والوحدة الاجتماعية ، ودرس الشعائر الطوطمية فى استراليا على انها من قبيل الشعائر الدينية ، فهى شعائر مقدسة Sacred ، تدور حول اماكن وموضوعات مقدسة ، ولذلك اهتم دوركايم بالوظيفة الاجتماعية للدين باعتباره اساس الضبط الاجتماعى وهو سر تضامن العشيرة وتماسكها وبقائها (٢٠) ٠

واعتبر راد كليف براون A. R. Rad cliff-Brown (١٨٨١ ـ ١٩٥٥) ان البناء الاجتماعى ترتكز عليه الانثروبولوجيا الاجتماعية ، اذ يستبعد راد كليف براون الدراسة الوصنية للثقافـــة ، ويطالب بالتركيز على العلاقات المتبادلة المكونة للبناء الاجتماعى ٠ والبناء الاجتماعى عنده هو شبكة العلاقات الاجتماعية الفعلية التى تقوم بين اشخاص ٠ فالبنـــاء القرابى لاى مجتمع ـ مثلا ـ يكون من العلاقات الثنائية كالعلاقـــة بين الاب والابن ، أو بين الخال وابن الاخت ، ولا يقتصر البناء الاجتماعى على هذه العلاقات ، وانما يتضمن ايضا ذلك التمايز القائم بين الافراد والطبقات بحسب أدوارهم الاجتماعية ٠

وميز راد كليف براون بين البناء الاجتماعى من حيث هو حقيقة عينية توجد بالفعل ونراها بلحمها وشحمها كما يقول الفلاسفة ـ أى الذى يخضع للملاحظة المباشرة وبين الصورة البنائية فعلا ٠ويمكنتوضيح هذا التمييز اذا نظرنا الى استمرار ودوام البناء الاجتماعى خـــلال الزمن ، فاستمرار هذا البناء ليس استمرار استاتيكيا كبنـــاء انبيت ، وانمـــا هو استمرار دينـاميكى تتغير وتجدد فيه الحياة الاجتماعية ، كما يتجدد البناء العضوى بالنسبة لحياة الكائن الحى ٠ وهكذا نجد ان العلاقات الواقعة بين الاشخاص والجماعات تتغير من عام لاخر ، بل من يوم

---

(٢٠) د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا الوظيفية ص ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ٠

لاخر ، فيدخل فى المجتمع اعضاء جدد عن طريق الميلاد والهجرة اليه . فى حين يخرج اخرون بالموت او المهاجرة او النزوح عنه . ثم هنـاك حـالات الزواج والطلاق والاصدقاء الذين يتعـادون ، والاعداء الذين يتصالحون ، ويصبحون اصدقاء ، ولكن بينما يتغير البناء الواقعى بهذه الطريقة ، تظل الصورة البنائية العامة ثابتة نسبيا لفترة طويلة أو قصيرة من الزمان ، لان الصورة البنائية قد يلحقها التغير احيانا ، امـا بصورة تدريجية او بصورة فجائية ، كما هو الحال فى الثورات والغزو العسكرى ، ومع ذلك يظل البناء متماسكا حتى فى أعنف حالات التغير الثورية .

ويميز راد كليف بروان بين الاشخاص persons والافراد Individuals فالانسان من حيث هو فرد ـ هو الكائن العضوى البيولوجى ،كمجموعة هائلة من جزئيات وتغيرات وعمليات فسيولوجية سيكلوجية ، ومـن هنا كان الانسان كفرد موضوعا لدراسة علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا أما الانسان كشخص ، فانه عبارة عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية . فهو مواطن انجليزى ، مثلا وهو زوج وأب ، وممارس مهنة معينة ، وهو عضو فى جماعة دينية .

وبذلك يعتبر راد كليف بروان ان الانسان كشخص Person هو موضوع دراسة الانثروبولوجى ، يدرسه فى ضوء البناء الاجتماعى. والشخص عنده بهذا المعنى لا من حيث هو كائن حى ، بل باحتلاله مكانة او مركز اجتماعيا ـ هو اللبنة الاولى التى يتكون منها البناء الاجتماعى ذلك الذى يستمر باستمرار التنظيم الاجتماعى الذى ينظـم ادوار الاشخاص ويحدد علاقاتهم بعضهم ببعض . وهذا هو السبب فى استمرار الامة ، القبيلة ، والهيئة ، أى أن استمرار البناء الاجتماعى رغم تغير وحداته يماثل تماما استمرار البناء العضوى رغم تغير وتجدد خلاياه (٢١) .

---

(٢١) د. قبارى محمد اسماعيل الانثروبولوجيا العامة ـ صور من قضايا علم الانسان ص ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

وتقوم فكرة الوظيفة عند راد كليف براون على اساس المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ، فقد تكلم عن وظيفة ضربات القلب الفسيولوجية ، او وظيفة السوائل المعوية فى علاقتها بالبناء العضوى . ومعنى هذا ان الوظيفة هى الدور أو النشاط الاجتماعى الجزئى فى النشاط الكلى الذى يؤلف جزءا منه . فكان للنظم وظيفة معينة تؤديها فى البناء الاجتماعى الذى يتألف من الناس الذين يرتبطون بعضهم ببعض فى كل متماسك عن طريق علاقات اجتماعية مقررة .

أما وظيفة الثقافة ككل فهى ربط افراد الكائنات البشرية وتوحيدهم فى ابنية اجتماعية تتمتع بدرجة معينة من الثبات والاستقرار اى فى انساق ثابتة تتألف من جماعات وزمر تحدد علاقة هؤلاء الافراد بعضهم ببعض وتنظمها ، كما تسمح بالتكيف الخارجى مع البيئة الفيزيقية ، وبالتكيف الداخلى بين الافراد والجماعات التى تؤلف هذه الانساق حتى يتسنى قيام حياة اجتماعية متماسكة (٢٢) .

أما مفهوم البناء الاجتماعى عند ايفانز بريتشارد ، فقد استخلصه من دراسته للجماعات القبلية المسماه النوير The Nuer ويقول ايفانز بريتشارد انه يعنى بالبناء الاجتماعى تلك العلاقات التى تربط بين الجماعات والتى تتميز بدرجة عالية من الثبات والركيب ، بمعنى ان الجماعات تدوم وتستمر فى الوجود بغض النظر عما تحتويه من أفراد وتتابع فيها الاجيال ، ويدخلها افراد حين يولدون ، ويخرجون منها حين يموتون ، أى أن الافراد يتغيرون ، اما البناء الاجتماعى فيبقى ويدوم . وفى ذلك الذى يقول به ايفانز بريتشارد لا تعتبر الاسرة « جماعة بنائية » ، فليس هناك بين الاسر علاقات ثابتة ودائمة كما هو الحال بالنسبة للجماعات ، فان الاسر تموت وتختفى أفرادها ، وتظهر أسر جديدة فى الوجود ، اما الاسر القديمة فتختفى الى الابد . ووجد ايفانز

---

(٢٢) أ . ايفانز بريتشارد . المرجع السابق ص ٨٠ .

بريتشارد ان « الوحدة الاقليمية » تعتبر وحدة اساسية ، بمعنى أن كل اقليم تسكنه قبيلة او عشيرة تخضع لرئيس، وغالبا ما يكون اكبر أفرادها سنا ، كما ان الوحدة المكانية هى وحدة اقتصادية وقرابية ، فى نفس الوقت • وحدثنا ايفانز بريتشارد عن مفهوم المكان Space ، وعن طبيعة الزمان Time باعتبار انها انبثقت من صميم الحياة الاجتماعية ، ومن واقع البناء الاجتماعى •

ويعتبر ايفانز بريتشارد ان الانساق الاجتماعية هى أنساق خلقية ويمكن معالجتها بتطبيق مناهج العلوم الانسانية باعتبارها فرع من الانسانيات • وهو يقصد بذلك ان النسق الاجتماعى ليس اليــا او ميكانيكيا كالنسق الفيزيقى مثلا ، وذلك لدخول بعض القيم الخلقية والجمالية • وعلى ذلك فان البناء الاجتماعى كما يتصوره ايفانز بريتشارد كبناء خلقى ، يقصد به العلاقات المجردة والقيم Values السائدة التى تربط سائر الجماعات البنائية بعضها بعض - اى ان التركيب البنائى هو تركيب بين مجردات • ويختلف ايفانز بريتشارد فى ذلك عن راد كليف براون الذى اعتبر الانساق الاجتماعية هى أنساق طبيعة ،ويمكن معالجتها بتطبيق مناهج العلوم الطبيعية ، باعتبارها فرعا من الطبيعات (٢٣) •

وعن الوظيفية يقول ايفانز بريتشارد اذا كان الاتجاه النشوئى قد سيطر على كل ميادين العلم فى القرن الماضى ، فان الاتجاه الوظيفى هو الذى سيطر عليها الان ، مما أدى الى ظهور البيولوجيا الوظيفيــة و « السيكلوجيا الوظيفية » ، والقانون الوظيفى و « الاقتصاد الوظيفى » وكذلك « الانثروبولوجيا الوظيفية » ، فتحدث عن وظيفة الاخذ بالثأر فى المجتمع النويرى ، والاستخدام الدينى لفكرة الوظيفة ، فهى تستخدم للمحافظة على ابقاء النسق الاجتماعى •أما وظيفة الاخذ بالثأر فهى تعمل

---

(٢٣) د• فاروق مصطفى اسماعيل • الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ١٨٠ - ١٨٢ •

على المحافظة على التوازن البنائى بين القبائل المتأخرة (٢٤) ٠

أما « رايموند فيرث » فقد اهتم بالنشاطات الاجتماعية أيضـــا . ولكن من زاوية « البناء الاقتصادى » فى تكوبيا Tekopia ٠ والبنـــاء الاجتماعى عنده يتضمن مختلف انواع الجماعات والنظم التى تربط بين افراد المجتمع ويقوم البناء الاجتماعى عند رايموند فيرث على « التخصص المهنى » حتى فى اكثر المجتمعات بدائية ٠ فالساحر ـ مثلا ـ أو الطبيب يكون فى العادة متميزا بمميزات خاصة ، ولمكانته ومركزه الاجتماعى الذى يميزه عن سائر الافراد ٠ ففى بعض اجزاء افريقيا يكون الحدادون جماعات خاصة كما ان صناعتهم تحيطها طقوس كثيرة ، وهذا ينعكس على مركزهم الاجتماعى،فهم يكرمون فى بعض الاحيان ويعاملون معاملة ملؤها الاحترام بينما نجدهم فى احيان اخرى منبوذين كطبقة دنيا ، لانهم يقومون بحرفة وضيعة تقلل من مكانتهم الاجتماعية ٠

أما المبدأ الثانى الذى تقوم عليه نظرية البنـــاء الاجتماعى عند « رايموند فيرث » فهو ذلك المبدأ الذى يتعلق بالاختلاف « الطبقى » أو « المرتبة » ، فالامتياز فى المرتبة قد يبدأ فى الاسرة نفسها كما يحدث بين الاخ الاكبر والاخ الاصغر وحقوق احدهما على الاخر ، والمرتبة عن طريق الوراثة نشاهدها ايضا فى معظم النظم التى تتعلق بالرئاسة ٠ أما المرتبة التى يحصل عليها الفرد عن الطريق الثروة فأمر نادر فى المجتمع البدائى ٠

وهناك بعض الشروط التى يجب ان تتحقق فى البناء الاجتماعى عنده « رايموند فيرث » ، اذ يقصد بالبناء الاجتماعى مجموعة من العلاقات المنظمة Organized ، تلك التى تربط الاجزاء بالكل الذى تعمل فيه ٠ والعلاقات المنظمة فى رأية هى تلك العلاقات التى لها نصيب من الاستمرار

---

(٢٤) انظر د٠ قبارى محمد اسماعيل : أصول الانثروبولوجيا العامـــة ص ٢١١ ٠

والثبات وعلى ذلك فان « العلاقات المؤقتة » لايدخلها « رايموند فيرث » فى حسابه عند دراسته للبناء الاجتماعى . ولعله فى ذلك يشبه ما يقوله « ايفانز بريتشر » عن البناءات والعلاقات البنائية التى تتمتع بدرجة عالية فى الثابت والاستمرار (٢٥) .

ولقد لقى الاتجاه البنائى / الوظيفى نقدا شديدا من جانب علماء الانثروبولوجيا فقد اعترض العالم البريطانى « ماير فورس Meyer fortes على فكرة البناء الاجتماعى عند راد كليف براون ، وبخاصة بصدد التمييز الذى وضعه راد كليف براون بين « البنـــاء الواقعى » « الصورة البنائية » أو « البنا الصورى » واعلن فورتس بطلان هذا التمييز وتفاهته ، لان البناء الاجتماعى لا يمكن ان يخضع للرؤية العينية المباشرة ، لاننا لا يمكن ان نرى البناء مباشرة فى واقعة المشخص .

وانما ينكشف لنا البناء على حد قوله عن طريق المقارنة والاستقرار ، طبقا لتحليل عينة من الوقائع الاجتماعية . واعترض « فورتس » ايضا على تسمية راد كليف براون التى تتعلق « بالبناء » « والصورة » form على اساس ان كلمة الصورة هى كلمة « مرنة » شاع استخدامها عنــد الكثيرين دون اى تحديد لها .

ويعترض الانثروبولوجى أحمد أبوزيد على الاتجاة البنائى /الوظيفى فيقول « انه من العبث الاكتفاء بملاحظة سلوك الافراد وتتبع علاقاتهم الظاهرة ، او الواقعية فى المجتمع لاستخلاص صور بنائية راسخة وثابتة عن هذه العلاقات ومظاهر السلوك والنظم ، لان مثل هذا النوع من التحليل هو فى افضل حالاته مجرد انعكاس لـما يتصوره الباحث عن المجتمع أو لما يدركه ذلك الباحث فى المجتمع من علاقات او مصالح ونظم وقيم ، وليس صورة لـما يدركه الناس أنفسهم عن واقعهم الاجتماعى او لـما

---

(٢٥) د. فاروق مصطفى اسماعيل . الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ١٨٤ - ١٨٦ .

يتصورونه عن هذه العلاقات والاوضاع والنظم والقيم وعلى هذا الاساس برز الاتجاه المعرفى ٠

سادسا : الاتجاه العرفى :

يقوم الاتجاه المعرفى بالبحث فيما يتصوره الناس طريقة تفكيرهم واسلوب ادراكهم للاشياء والمبادىء التى تكمن وراء هذا التفكير والتصور ، والادراك والوسيلة التى يصلون بها الى ذلك ، لانهم قبل كـــل شىء اصحاب هذا المجتمع ، ومن العدل ان نتعرف على ارائهم فيها ٠

وهكذا اعطى هذا الاتجاه تصورا جديدا للثقافة اعتبار انها « تؤلف بما تحتويه من افكار وانماط سلوكية خريطة معرفية او ادراكية » على حد تعبير جميس داونز Downs فى كتابه « الطبيعة الانسانية Human Nature » ٠ ومع ان هذه الخريطة الادراكية لاى شعب من الشعوب تحتفظ بملامح ومقومات أساسية وثابتة فانها لا تخلو من بعض الاختلافات فى التفاصيل والدقائق من حين لاخر ، بل ومن زمره اجتماعية لاخرى فى الفترة الزمنية الواحدة ٠ ويعنى هذا ان كل مجتمع له تصوراته الخاصة عن العالم او الكون تختلف عن تصور غيره من المجتمعات ٠

وقد اهتم هذا الاتجاه بالصلة بين اللغة والثقافة لتدعيم الاتجاه الادراكى او المعرفى فى فهم مجتمعات الدراسة ، وتأكيدا لهذه الاهميـــه نرى ان الباحث او لستند Olmsted أطلق عام ١٩٥٠ مصطلح علم اللغة الاثنولوجى Ethno - Linguistics على عدة موضوعات ، منها الافادة من نتائج علم اللغة فى الدراسات الانثولوجية ، والافـــادة ايضا من هذه الدراسات فى علم اللغة ، هناك كذلك اهتمام بالعلاقات المتبادلة بين علم اللغة والاثنولوجيا فى الجانب المنهجى ، علاوة على القضايا التى يحتاج بحثها الى مادة من العلمين ، والعمل على الاستفادة من العلمين لتكوين منهج متكامل فى العلوم الاجتماعية (٢٦) ٠

---

(٢٦) حسين فهيم ٠ المرجع السابق ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ٠

الفصل الثالث

تـــاريخ الانثروبولوجيـــا

ان الانثروبولوجيا هى علم حديث جدا يقترب عمره من قرن واحد فقط • ومع ذلك فان البحث فى شئون المجتمعات الانسانية قديم قدم الانسان نفسه ، وقبل ظهور الانثروبولوجيا كعلم • وقد بدأ هذا اللون من الدراسة فى التأملات النظرية الاولى فى تاريخ الانسان • فقد درج الفلاسفة والمفكرون فى كل مكان وزمان على وضع نظريات عن طبيعة المجتمع ، وما يتخلله من دين او سلالة ، وتقسيم المجتمع الى طبقات• ومشاعر التحامل والتحيز • ولا شك ان الحروب والرحلات التجارية قد لعبت منذ عصور ما قبل الميـــلاد دورا هاما فى حدوث اتصال بـين الشعوب ، واكتساب معرفة الواحد بالاخر خاصة فيما يتعلق باللغـــة والتقاليد والعادات • وعلى هذا الاساس فمن الصعب تحديد وقت معين نقول فيه ان انثروبولوجيا بدأت عنده •

وتعتبر الرحلة التى قام بها قدماء المصريون على ١٤٩٣ ق•م • الى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التجارى ، اقدم الرحلات التاريخية •

أما المؤرخ الاغريقى هيرودوتس Herodotus فى القرن الخامس قبل الميلاد (٤٨٠ ــ ٤٢٥ ق•م) ، فكان رحالة محبا للاسفار ، ويطلق عليه البعض من الباحثين ابو الانثروولوجيا Father of Anthropology وكتب عنه العلامة « هادون » بأن كتاباته كانت مستودعا حقيقيا للمعلومات التى تدور حول الحضارات المتقدمة والمتوحشة •

وقد طرح هيرودوتس فكرة وجود تنوع وفوارق بين الشعوب فى النواحى الثقافية واللغوية والسلالية والدينية ، ومدى اقتباس الشعوب بعضها عن بعض • ووصف هيرودتس باسهاب التكوين الجسمى لاقوام قديمة ، وصور أحلامهم ، وعاداتهم • وقدم بعض الفروض حول اللغـة

الاصلية للجنس البشرى • وتناول الصراع بين اليونان والفرس ، كما عرض وصفا للحياة الاجتماعية فى مصر ، ولحياة بعض الشعوب البربرية •

وتناول افلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق•م) طبيعة العلاقات الاجتماعية والجماعات العرقية Ethnic Groups ووضع تصورا مثاليا لتغيير مجتمع أثينا ، وما يجب أن تكون عليه الحياة الاجتماعية • وهو ما تبلور فى كتابة الشهير « الجمهورية » • فقد حدد أفلاطون عدد السكان الذى ينبغى على المدينة الاتتعداه بأى حال وذلك لتحـــاشى كل انفصام للتوازن الاقتصادى والسياسى • ولتنفيذ ذلك يرى أفلاطون انه يجب على القضاة ان ينظموا عدد حالات الزواج للاحتفاظ بنفس عدد الرجال الذى يملا الفراغ الذى ينتج عن الحرب والامراض وكل الاحداث الاخرى • وقد ذهب الى حد أنه وصف بالدنس المواطنين الذين يرغبون فى انجاب الاولاد خارج حدود السن والاحوال التى ينظمها القانون (١) •

وفى رأى افلاطون ، فان النظام السياسى الامثل يجب ان يكون ارستقراطيا يقوم على العدل ، والعدل عنده لا يقوم على المتاع وارضاء اللذات الشخصية ، بل هو صفة من صفات النفس تصون المواطن من اتباع هواه وتهيئة لان يقصر نشاطه على أداء وظيفة واحدة من أجـل الصالح العام (٢) •

ومن ثم فالتخصص ـ كما يرى أفلاطون ـ فى اداء وظيفة الحـكم واستقلال طبقةبها دون طبقات المجتمع الاخرى ليس الا جانبا من جوانب التخصص التى تشغل سائر نشاط الحياة فى الدولة • وتلك الطبقة • الحاكمة هى طبقة عليا ، مزجت الالهة جبلتهم بالذهب ، وتتملكها قوة العقل ، ويتوافر لها المعرفة ، وتتحكم فيها النزعة الفلسفية ، وهى طبقـة الفلاسفة •

---

(١) جاستون بوتول • تاريخ علم الاجتماع ص ٧ •
(٢) د• محمد عبد المعز نصر • فى الثورة الاشتراكية ص ٣٢ •

واخذ افلاطون هذه الطبقة بالتعليم اليونانى الراقى التقليدى المؤلف من الالعاب الرياضية والموسيقى لا لتربية الجسد والروح كوحدتين منفصلتين ، بل لتهذيب النفس كوحدة . وتمتد التربية الى العناية بالقوة الفكرية لابراز ما تنطوى عليه مزية الحكم .

وازاء ذلك ـ استبعد أفلاطون اية امكانية لمكانة الطبقة بالوراثة، ففى رأية ان يكون هناك مساواة تامة بين كل المواطنين ودون اعتبار للمولد ، فالفرص متكافئة امام كل فرد لاظهار مواهبة وصفاته الطبيعية.

وتقتضى ضرورة الوجود ـ فى رأى أفلاطون ـ ضرورة الدفاع عن أفراد المجتمع ، وحماية مصالحهم . وحين تضيق حدود الدول ـ أو المدينة على سكانها بعد ان كانت كافية لسكانها الاولين ، فانها تضطر لمد مراعى المدينة وحقولها بواسطة الحرب . وبالتالى تحتاج الى تشكيل جيش من الجنود المحترفين ، وهؤلاء هم الطبقة الثانية من طبقات المجتمع ـ طبقة الجند . وقد مزجت الالهة جبلتهم بالفضة ، ويتملكها قوة الدفاع والغضب وتتميز بالشجاعة والايثار ، ولهذا فهى أقدر على الدفاع عن الوطن .

وعلق أفلاطون أهمية كبرى على الشيوعية كوسيلة لازالة العقاب التى تعترض طريق السياسة ، ويقوم ذلك على اساس أمرين :

الاول : تحريم الملكية الخاصة التى تزيد عن الضروريات على طبقتى الحراس والجند أيا كانت هذه الملكية سواء إكانت عقارا أم منقولات وان يعيش الحراس والحكام فى معسكرات ويجلسون على مائدة واحدة . ويحصلون على كل ما يلزمهم ، ذلك ان اجتماع السلطة السياسية والاقتصادية وحرية الامتلاك فى يد شخص واحد يؤدى الى سوء استغلال السلطة .

والثانى : الغاء الزواج الفردى الدائم واستبدله « بالانسان الموجه » ، وفقا لمشيئة الدولة وابتغاء انتاج السلالة الصالحة ، وذلك بأن تكثر من تزويج أفضل الرجال بأفضل النساء ، وأن تقل تزويج

أدنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء • ويجب ان نخص الشبان المبرزين فى الحرب وغيرها بحرية الاختلاط بهن مع الامتيازات والمكافات الاخرى• ويستهدف هذا كله ان يكرس الحاكم او الموظف حبه وجهوده للدولة •

واخيرا تأتى طبقة العمال والتجار والصناع والزراع ، وقد مزجت الالهة جبلتهم بالنحاس والحديد • وهى تنهمك فى الاعمال المهنية لكسب الرزق واشباع الحاجات الجسمية ، وليس عندها من الوقت أو قوة العقل ما يجعلها تحرك الفضيلة او كنة الوجود ، ويتحكم فيهـا قوة الشهوة •

ولعل الدافع وراء هذا التخيل للمدينة الفاضلة هو تلك الازمات السياسية والحروب ، واضطراب احوال المجتمع انذاك بصفة عامـة • وفى ضوء هذايتبين ان افلاطون قد وضع نظامه فى صورة معيارية ، فهو لا يصف المدينة كما هى ولكن بما ينبغى ان تكون •

واستخدام ارسطو مصطلح الانثروبولوجيا للاشارة الى العالم الذى يهتم بدراسـة الانسـان وبمعنى ادق للاشـارة الى الشخص الذى يتحدث عن نفسه • ومن الواضح ان هذا المعنى يختلف تماما عن المعنى الحديث للاصطلاح •

وهكذا عرض افلاطون وارسطو لنظريات فلسفية عقلانية هائلة . الا انهما لم يلما بشىء خارج العالم الذى يعيشان فيه •

أما المؤرخ الرومانى تاكيتس فقد كتب دراسة عن القبائل الجرمانية •

وفى العصور الوسطى كانت اوربا تعيش فيما يطلق عليه العصور المظلمة • وخلال هذه العصور ازدهرت حضارتان رئيسيتان خارج القارة الاوربية وهما الحضارة البيزنطية والحضارة الاسلامية • وظهرت الحضارة البيزنطية فى جهات متعددة مثل سوريا واسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، كما تأثرت ايضا بالحضارة اليونانية لدرجة ان اللغة اليونانية اصبحت اللغة المتداولة (٣) •

---

(٣) د• حسين مؤنس ــ الحضارة ــ دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتدهورها ص ٦١ •

ومع ذلك ففى خلال العصور الوسطى تعددت الاسفار التى قام بها المحاربون فى الحروب الصليبية والحجاج والمبشرون والتجار • وظهرت كتابات عديدة عن تلك الاسفار والرحلات • ومن الرحالة المشهورين • الذين عاشوا فى تلك الفترة ماركو بولو Marcopolo البندقى (١٢٥٤ – ١٣٢٣) الذى اشتغل بالتجارة فى الصين لمدة اربع وعشرين سنة ، وقدم وصفا لعادات تلك الشعوب (٤) •

أما الحضارة الاسلامية فقد برز العرب فى اعداد المعاجم الجغرافية كمعجم البلدان لياقوت الحموى ، ومثل مسالك الانصار لابى فضل العمرى كما تميزت مادتها بكونها تعتمد على المشاهدة والخبرة الشخصية الامر الذى جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الانثروبولوجى فى دراسة الشوب والثقافات الانسانية (٥) •

فقد بدأ ابن جبير رحلته الى الاراضى الحجازية سنة ٥٧٨هـ (فبراير ١١٨٣م) وركب البحر من مراكش وأقلعت سفينته الى صقلية، ووصف ما مر بها من العواصف والاهوال ، ثم توجه الى ثغر الاسكندرية ، ووصف بدقه وطرافة اجراءات الجمرك ، وذكر اثارها وعمائرها بما بها من مدارس الغرباء ، كما أشار الى المستشفى الذى شيده السلطان لاولئك الغرباء ، ولاحظ كثرة المساجد •

على أن الجزء الاساسى فى رحلة ابن جبير انما هو وصف مكة والمسجد الحرام ومناسك الحج وزيارة المدينة • وبعد أن أكمل ابن جبير رحلته رافق ركب الحجاج العراقى ، ومر بطريق نجد قاصدا الكوفة ، وعبر الفرات حتى وصل الى بغداد ووصف احياءها المختلفة ومساجدها واسواقها وحماماتهاومدارسها ومستشفياتها • وانتقل ابن حبير الى الموصل واعجب بما فيها من عمائر حربية ودينية ومستشفيات ، ثم

---

(٤) د • على اسلام الفار : الانثروبولوجيا الاجتماعية – الجزء الاول دراسة المجتمعات البدائية ص ٣ •

(٥) د• حسين مؤنس • المرجع السابق ص ٦١ •

واصل الرحلة بين مدن الشام المختلفة فوصف اثارها وتحدث عن عادات اهلها وعن عنايتهم بالغرباء · ثم وصل ابن جبير الى عكا ووصفها بأنهـا ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق · وأرست السفينة أخيرا فى صقلية فقام بوصفها (٦) ·

وقام الرحالة العربى الشهير ابن بطوطه (١٣٠٤ — ١٣٧٧) فى القرن الرابع عشر الميلادى بزيارة الى الهند ، ووصف الحياة الاجتماعية وعادات ومعتقدات الهنود ·

ويعتبر ابن خلدون من أهم الكتا بالذين تعرضوا لمشكلة التعريف بالمجتمع البدوى ، كما انه يعتبر بحق اول من بشر بظهور علم يعنى بدراسة المجتمع البشرى بماله من خصائص وأوضاع اجتماعية وايكولوجية متمايزة وسماه علم العمران ·

وكان ابن خلدون رجل داهية وافر الذكاء يمتاز بذهنية دقيقة ، وقوة ملاحظة على التحصيل والانتاج ، وقام بأسفار ورحلات وعبر البلاد الاسلامية من سمر قندالى المغرب · وكانت دراسة ابن خلدون واقعية وفى ضوء ملاحظاته وتجارية · فنظرة فاحصة الى الظواهر بقصد تحليلها واستخلاص اسباب حدوثهاوتعليلها · ووضع قواعد منهجية اهمها الملاحظة والنقد · وترجع اهمية دراسته الى لستخدام المنهج المقارن ، اذ لاحظ عن كثب تباين المجتمات وتشابهها ، وأرجع هذه العوامل الى اثر البيئة والعوامل الجغرافية فى اخلاقية الشعوب وأحوالهم الاقتصادية ، ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل · وكانت قوانين ابن خلدون مستمدة من ملاحظاته لظواهر الاجتماع ·

واهم مؤلفات ابن خلدون التى كان لها صدى عميق وتأثير علمى ضخم

---

(٦) د· فوذى رضوان العربى · المدخل فى الانثروبولوجيا التطبيقيـة ص ص ١٣٢ — ١٣٣ ·

هى مقدمته فى التاريخ واسمها بالكامل « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر • وقد قسم كتابه الى ستة فصول تستوعب تقريبا كل فروع علم الاجتماع المعروفة عند الاجتماعيين المحدثين ، وهى على التوالى : فى العمران البشرى وأصنافه ، وهو يقابل علم الاجتماع العام ، وفيه وضح ظواهر المجتمع الانسانى والقواعد التى يسير عليها التكتل البشرى • وفى العمران البدوى والامم الوحشية ، وفيه تعرض للاجتماع البدوى ، وأهم الخصائص المميزة له ، وفى الدول والخلافة والملك ، وهو يقابل علـــم الاجتماع السياسى ، وفيه دراسة لقواعد الحكم والنظم السياسية • وفى العمران الحضرى والبلدان والامصار ، وهو يقابل علم الاجتماع الحضرى، وفيه شرح للظواهر المتصلة بالحضر وأصول المدنيات • وفى الصنائع والمعاش والكسب ، وهو يقابل علم الاجتماع الاقتصادى ، وفيه اهتـم بتأثير الظروف الاقتصادية على أحوال المجتمع • وفى العلوم واكتسابها وتعلمها ، وهى تقابل علم الاجتماع التربوى ، وفيه عرض لظواهر التربية وطرق التعلم ، والعلوم وتصنيفها • كذلك عالج ابن خلدون الاجتمـاع القانونى والدينى • كما اشار فى اكثر من موضع الى الظواهر الخلقية واللغوية والجمالية •

ويرى بعض الانثروبولوجيين ان الاصـول النظريـة الاوليـــة للانثروبولوجيا قد ظهرت مع عصر النهضة • ففى القرن الخامس عشر والسادس عشر قام الرحالة والمستكشفون بكتابه تقارير عن عـــادات وتقاليـد شعوب أمريكـا واسيا ، واهتموا بدراسـة الشعوب البدائيـة المختلفة التى صارت اخبارها تصل الى أوربا تباعا • ولكن اغلب أولئك الرحالة والمغامرين كانوا جهلة غير مدربين تدريبا عمليا من جهة ، كمـا انهم كانوا ينظرون لتلك الشعوب بكثير من التعصب الذى عرفت به عقلية الاوربيين فى تلك الفترة التى سبقت عصر النهضة ، فتميزت تلك الفترة نتيجة للجهل والتعصب بشيوع افكار وانطباعات خاطئة عـــن الشعوب البدائية ، اذ كانت توصف بأنها بلا دين ، ولانظام اجتماعى، وانها

تعيش بشكل لا يميزها عن الحيوانات الا استعمالها اللغات وانها لا تعرف الضبط ولا القانون ، وتعيش فى شيوعية جنسية واقتصادية • وقد اهتم الجمهور المثقف بهذه التقارير ، وعرف الناس التنوع الكبير فى النظم والعادات لدى هذه الشعوب المختلفة •

ففى عام ١٥٠١ ظهر مصطلح الانثروبولوجيا كعنوان لكتاب للمفكر Hundt تكلم فيه عن خصائص جسم الانسان من الناحية التشريحية وظهر هذا الاصطلاح فى كتاب L' Anthropologie للمفكر Capella عام ١٥٣٣ . وفيه دراسة الصفات الشخصية الفردية • واتخذ الكاتب الاسبانى ميسى Messie من التنوع بين عادات وتقاليد الشعوب المختلفة موضوعا لكتاب الفه بعنوان « دروس متنوعة » ، ثم ترجم هذا الكتاب كلود جريجية الى الفرنسية عام ١٩٥٥ ، وقد استوحى الفيلسوف الفرنسى « مونتى Montaigne » (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢ مقالته عن العادات من هذا الكتاب ، وفيها بين الاختلافات بين عادات الفرنسيين وعادات الشعوب الاخرى أما جون بودان Bodin ، فقد ألف عام ١٥٥٧ كتابا بعنوان كتب الجمهورية الستة Les six Livres de la Republic ذكر فيه ان الاختلافات بين الشعوب وفى شكل نظمهم الحكومية لا ترجع الى الهرمونات فحسب ، بل ترجع الى اختلاف المناطق التى تسكنها هذه الشعوب وخص الذكر المناخ •

وتقدمت الانثروبولوجيا الاجتماعية فى القرن السابع عشر نتيجة للاكتشافات الجغرافية التى أدت الى التعرف على شعوب لم تكن معروفة من قبل • فحتى منتصف القرن السابع عشر لم تعرف نيوزيلندة الا قبيل عام ١٦٤٧ • كذلك فان الكونجوا البلجيكى لم يظهر على الخريطة الجغرافية الا منذ حوالى سبعين عاما • وقد ألم الحكام الاداريون بالعديد من المجتمعات المحلية فى افريقيا ، وعرفوا انساقها الاجتماعية •

فلقد نشر ادوارد بربر وود فى لندن عـــام ١٦١٤ بحوثا تتعلق باختلاف اللغات والاديان خلال الاجزاء المختلفة من العالم • واعتقد

بربر وود ان سكان أمريكا من نسل التتار قاصدا بذلك هجرة سكان المقاطعات الشمالية فى اسيا الى أمريكا • ورفض الراى القائل بأن التتار قد انحدروا من قبائل يهودية •

وفى ١٦٥٥ ظهر اصطلاح الانثروبولوجيا فى كتاب غير معروف مؤلفه باللغة الانجليزية وعنوانه Anthropology Abstracted وموضوعه الطبيعة البشرية ، وقد انقسمت موضوعاته الى قسمين احدهما خاص بعلم النفس والثانى بعلم التشريح •

ونستطيع أن نعتبر القرن الثامن عشر نقطة بداية مناسبة لدراسة الشعوب البدائية ، فقد ازدادت المعلوما تعن تلك الشعوب زيادة كبيرة نتيجة لتوسع وامتداد حركة الاستيطان الاوربى للامريكتين ، واستعمار الدول الاوربية لعدد كبير من الاقطار فى افريقيا واسيا واستراليا وغيرها من ارجاء العالم • وازداد تبعا لذلك اهتمام العلماء فى أمريكا واوربا بتلك الشعوب البدائية • وكان المبشرون ورجال الادارة ذوى ثقافة عالية فى الغالب ، فاستطاعوا ان يتحفو العالم بدراسات رغم أنها لم تكن علمية ، فانها حوت الكثير من المعلومات الدقيقة المقيدة فكانت خطوة فعالة فى الدراسات الانثروبولوجية (٧) •

ففى ١٧٢٩ قام لافيتو Lafiteau بعمل هام هو Moeurs Des Sauvages Ameriquains Comparees aux Moeurs Des Premier Temps. ألقى فيه ضوءا على حياة الهنود الحمر الذين زار بلادهم،كما قارن بين عادات الهنود الحمر ، وعادات الجماعات الانسانية التى كانت تعيش فى العالم القديم كما وصفها اليونان والرومان القدامى •

وفى ١٧٦٠ نشر تشاولس دى بروس Charles des Brosses كتابا طابق فيه بين ديانة المصريين القدماء ، وديانة شعوب غــرب

(٧) د• شاكر مصطفى سليم • المدخل الى الانثروبولوجيا ص ٩ •

افريقيا • وهو موضوع مازال يشغل انتباه المدرسة الحديثة الى يومنا هذا •

هذا ومن أهم الدراسات التى مهدت لظهور الانثروبولوجيا فى القرن الثامن عشر بحث الفيلسوف الفرنسى تشارلس لويس مونتسكيو Montesqieu (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) ، ففى كتابه روح القوانين De L' sprit des lois (١٧٤٨) ، وهو كتاب يستند الى القراءة لا الى الترحال قدم بحثا يجمع بين الفلسفة والسياسة والاجتماع • وفيه عرف القوانين بانها الروابط الضرورية التى تنبثق من طبيعة الاشياء وأكد مونتسكيو أنه توجد انواع عديدة من المجتمعات ، وعليه فالقوانين تختلف من مجتمع الى اخر واشار الى ان الانسان يتأثر بأسباب مختلفة ، بالمناخ بالمعتقدات الدينية ، القوانين ، بنظم الحكومات ، بالتنظيم الاقتصادى ، بالاخلاق، والعادات بالمزاج ومن هنا يتشكل بروح عام Isprit general هى روح وطنه• وكلما ازدادت قوة احد هذه العوامل فى أمة من الامم ضعفت قوة العوامل الاخرى بنفس النسبة • فمثلا نجد ان الطبيعة والمناخ يوجهان وحدهما تقريبا حياة المجتمعات البدائية ، وتسيطر العادات على الصينيين ، وتسود القوانين اليابان (٨) •

ويضيف مونتسكيو انه مهما اختلفت قوانين الشعوب وعاداتها الخلقية ، فان افرادها لا يصدرون فى سلوكهم تبعا لما يوحى اليهم الهوى ، بل وفقا لقواعد ثابتة تقتضيها طبيعة الاشياء ذاتها • ولذلك فان على المشرعين ان يراعوا الروح العامة فى تشريعاتهم ، فلا يصدرون من التشريعات ما يتنافى معه ، لانه يمثل الذوق العام للمجتمع ، فالاصلاح السياسى يجب ان يكون متمشيا مع هذا الروح ، والا فشل واتى بعكس المقصود منه • فاذا وجدت فى المجتمع عادات وتقاليد لم تعد ملائمة ، فان اصلاحها لا يتم بسن تشريع يحرمها لانها متعلقة تعلقا وثيقا بالروح

---

(٨) أنظر د• حسين فهيم • المرجع السابق ص ص ٩٥ ـ ٩٦ •

العام ، وعلى ذلك سيكون مثل هذا القانون تعسفيا ، انما يتم الاصلاح هنا عن طريق غرس عادات وتقاليد جديدة يوجهها المصلحون ، ويعملون على نشأتها ونموها وتطورها ··· ومن هنا نجد أن ثمة شعوب تسودها روح المحافظة على التقاليد ، واخر تسودها روح التجديد والتغيير بحسب ما يسودها من مناخ فالكسل المسيطر على شعوب المناطق الحارة يجعلها تتخذ مواقف سلبية من عاداتها وتقاليدها ، ومن هذا تنتج روح المحافظة التى تتسم بها ، على حين يسود التغير والتجديد المناطق الباردة · ويجب ان يلاحظ المشرعون كل تلك الظروف عند تشريعاتهم ·

وبعد ثلاث سنوات من ظهور اعمال مونتسكيو أقام ترجوTurgot نظريته عن التقدم الاجتماعى ، وقال ان اسلافنا وروادنا من اليونان القدامى كانوا يشبهون المتوحشين حين اكتشفت امريكا · ونحن نرى شعوبا متمدينة فى بعض اجزاء العالم ، وشعوبا تتجول فى الغابات فى البعض الاخر ، فهناك اذن تقدم غير متكافىء ، اذ ان المتوحشين الذين يعيشون على الصيد لم يتقدموا مثل الشعوب التى تعيش على الرعى او الزراعة ·

أما كوندورسيه Morauis De Condorcet (١٧٤٣ - ١٧٩٤) فقد كتب عام ١٧٩٣ مقالة بعنوان Lsquisse D, un Tableau Historique De progre De L' Esprit Humain

وهى مسودة لتاريخ تقدم الانسان ·

وخلاصة القول فان فلاسفة القرن الثامن عشر قد مهدوا لظهور علوم موضوعية تدرس النظم الاجتماعية · ومن أهم تلك العلوم التى مهدوا لها الانثروبولوجيا الاجتماعية · وكان ذلك ذا تأثير عظيم فى القرن التاسع عشر ·

وأصبحت الانثروبولوجيا ذات وضع اكاديمى مميز خلال القرن التاسع عشر · فمع بداية هذا القرن وجدنا عددا من الباحثين قد اهتموا

---

(٩) أ·أ· ايفانز بريتشارد · المرجع السابق ص ٦٥ ·

بدراسة الاطلال والبقايا التى جدوها فى المناطق المختلفة ، وقد تقدمت تلك الابحـــاث والدراســـات كنتيجة لتقـدم البحـوث الجيولوجيـة والباليونتولوجية Geologial and palaeontola gical ، والتى كشفت عن عمر الارض التقريبى • وبرهنت على انها اقدم كثيرا مما كان يظن ، كما نجد ان أحد الباحثين الفرنسيين ذهب الى تأكيد وجود الانسان فى أوربا فى العصر الجليدى Ice Age •كما عثر الباحث نفسه على ادوات حجرية فى حصى بعض الوديان فى بداية عام ١٨٣٠ ، ثم على أدوات أخرى من ١٨٤٧ ــ ١٨٦٤ (١٠) •

وفى هذا القرن اصبحت المجتمعات البدائية مجال البحث الرئيسى فى الانثروبولوجيا ، وذلك بدلا من تفكير وتأملات الانثروبولوجيين الاوائل والمجادلات غير العلمية بين المفكرين واستهدف هذا العلم اكتشاف القوانين العامة التى تحكم تنمية الطبيعة الانسانية • وشجع على دراسة الانسان البدائى فى بداية الامر عدة عوامل اهمها :

١ ــ ان القرن التاسع عشر كان قرن الاكتشافات الجغرافية ، بمعنى ان الرحالة والعلماء الاوربيين بوجه خاص بدأوا يهتمون بعلم الحياة فى القارات الاولى ، وبدأت عدة رحلات تخرج من أوربا بقيادة بعض العلماء الاوربيين وتتجهِ على وجه الخصوص الى افريقيا لاكتشاف مجاهل تلك القارة ، واتصلت أوربا لاول مرة اتصــالا وثيقا وقويا بالقبائل البدائيـــــة •

٢ ــ كان القرن التاسع عشر هو عصر الحروب والغزاة وانشـاء المستعمرات سواء اكان ذلك فى أفريقيا او استراليا ، وكانت بريطانيا العظمى على رأس الدول الاستعمارية ، فقد أنشأت امبراطورية تسيطر على ربع العالم • وفى الربع الاخير من القرن التاسع عشر كان لها نصيب فى المستعمرات الامريكية وأقاليم عديدة فى افريقيا واتصل الاوربيون

---

(١٠) انظر د• فاروق مصطفى اسماعيل • الانثروبولوجيا الثقافية ص١٥•

نتيجة لهذه الغزوات بشعوب غير اوربية ، وكان لابد للمستعمرين الاوربيين من أن يدرسوا تلك الشعوب التى تم لهم فتحها حتى يستطيعوا ان يتعرفوا على انماط الحياة والقبائل ، ولذلك ظهرت الانثروبولوجيا كعلم يهتم بالرجل البدائى ٠

٣ ـ كذلك كان القرن التاسع عشر هو العصر الذى ظهرت فيه نظرية داروين Darwin عن التطور ٠ والمعروف ان داروين حين وضع تلك النظرية ذهب الى ان الانسان العاقل Homo Sapiens لم يظهر الا بعد أن سبقته عدة انواع مختلفة من القرديات والادميات تمثل كل منها مرحلة معينة من التطور والتقدم ٠ وبذلك بدأ علماء الانثروبولوجيا يهتمون بوجه خاص بالتعرف على اشكال الحياة الاجتماعية وانتقالها من مرحلة التوحش والبربرية التى تختلف عن الحياة السائدة فى المجتمع الاوربى الى الحضارة والمدنية ٠ واتبعوا فى دراستهم المنهج المقارن ، وذلك من لجل اعادة تركيب الماضى ٠

٤ ـ ربما كان السبب الوحيد الذى يتصل اتصالا مباشرا بظهور الانثروبولوجيا كعلم هو ان المجتمعات المسماه بالبدائية بدأت نتيجة اتصالها بالشوب المتقدمة تفقد كثيرا من مميزاتها ومن خصائصها الاصلية ، اذ بدأ المستعمرون يغيرون عمدا النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية التى كانت توجد عند تلك الشعوب ، كذلك بدات تلك الشعوب الافريقية والاسترالية نتيجة لاتصالها بالحضارة الاوربية المستعمرة تستعير بعض مظاهر هذه الحضارة،ووجد بعض العلماء انه يتعين عليهم لصالح العلم أن يقوموا بتسجيل ملامح تلك الحياة البدائية قبل أن تختفى تماما نتيجة لعوامل التغير ، وأدى هذا الى ظهور الانثروبولوجيا كعلم يهتم بدراسة المجتمع البدائى (١١) ٠

---

(١١) انظر د٠ فوزى رضوان العربى ٠ المدخل فى الانثروبولوجيا التطبيقية ص ص ١٩ ـ ٢١ ٠

٥ ـ اعتقد الانثروبولوجيون ان المنهج السليم يقتضى ان نبـدأ بدراسة النظم الاجتماعية البسيطة ، حيث انها تكون اكثر وضوحا عما عليه الحال فى المجتمعات المتروبوليتانية الحديثة ، ثم نتدرج من هذه النظم الاجتماعية البسيطة الى النظم الاجتماعية فى المجتمعات المعقدة والاكثر تركيبا •

وتعد الفترة من ١٨٦١ ـ ١٨٧١ فترة نشأة الانثروبولوجيا لظهور مجموعة من الكتب ينتمى اصحابها الى جنسيات مختلفة ، فمن الانجليز نجـــد هنرى مين Sir Henry Main ، ومن كتبـه « المجتمــع القــديم Ancient society » (١٨٦١) ، والمجتمعات القروية فى الشرق والغرب • Millage Community in East and west

(١٨٧١) وتايلور Sir Edmard tylor (١٨٣٢ ـ ١٩١٧) ، ومن كتبه « أبحـــاث فى التاريخ القديم للجنس البشرى Reseaches into the Early Historyof Mankind (١٨٦٥) ، وكتابه عن الثقافة البدائية • وفى هذين المجلدين تناول تايلور تطور الاساطير ، والفلسفة ، والدين ، واللغة ، والفن ، والعادات • واهتم اهتماما بالغا بأصل النظم ونموها من الاشكال البسيطة الى الاشكال الاكثر تعقيدا ، وتكامل العناصر المختلفة للثقافة • واشرف تايلور على تدريس علم الانثروبولوجيا فى جامعة اكسفورد خـلال الفتــرة من عام ١٨٨٤ ـ ١٩٠٩ • وتضـــمنت الانثروبولوجيا بجامعة اكسفورد قسمين رئيسيين لدراسة الانسان هما الاانثروبولوجيا الفيزيقية ، والانثروبولوجيا الثقافية ، مع التركيز على اثار ما قبل التاريخ اكثر من اهتمامها بالمجتمعات البدائية •

وساهم السير هنرى لابوك Labbock مساهمة فعالة فى هذه الدراسات بنشره كتــابا بعنــوان « أصــل الحضــارة The oigin of civilization وكان ماكلينان Mclennan (١٨٢٧ ـ ١٨٨١) محاميا اسكتلانديا • وبدأ يكتب فى الفن ، ثم نشر مقالا فى دائرة المعارف البريطانية عـــام ١٨٥٧ بعنوان «القانون» ، ثم كتب كتـــابا بعنوان « الزواج البدائى

Promitive Marriage « (١٨٦٥) وتناول حقائق حصـــل عليها عن طريق الرحالة من جميع انحاء العالم ، ليبرهن على ان عادة وأد البنات كانت منتشرة بين الشعوب المتوحشة ، وأدى هذا الى ظهور ظاهرة خطف البنات من اجل الزواج ، ومن ثم ظهر نوعان من الزواج : الزواج الخارجى / الاغـــترابى Exogamy ، والـــزواج الداخــــلى Indogamy ومـن العلمـــاء الفرنسيين ظهر فوستيل دى كولانـج fustel Coulange ونشر كتابا بعنوان المدنية العتيقة La cité Antique (١٨٦٤) ومن الامريكيين نجد مورجان Lewis Henry Morgan فقد قـام بدراسة حقلية عند قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية · ومن كتبة أنساق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الانسانية ، (١٨٧١) · وفى سويسرا نجد باخـــوفين It. Bachofen ، ومن كتبه كتابه « حـــق الام » (١٨٦١) ·

وقد تعرض انثروبولوجيو القرن التاسع عشر لنقد شديد ، اذ لم تكن مؤلفاتهم تابعة من تخصصاتهم · فقد كانت المحاماه هى العمـل الاصلى لكل من مورجان وباخوفين وماكلينان · اما فوستيل دى كولانج فقد كان مؤرخا للعصور الكلاسيكية والوسطى وكان تايلور متخصصا فى دراسة اللغات ·

كذلك فان هذه الدراسات كانت تميل الى السرد والوصف والاصطباغ بصيغة ادبية خالصة ، ولا تهتم بالتحليل المنهجى الا فى القليل النادر · كما نزعت دراساتهم نزعة تاريخية فانشغلوا بمسالة الاصول Origins وثارت المناقشات النظريـــة والتـأملات الظنيـــة حـول أصـل النظـم الاجتماعية ، والتفتوا الى « اصل التوتمية » ونشأة الدين واصل الزواج الخارجى الاكسوجامى Exogamy ·

هذا الى ان رواد الانثروبولوجيا فى القرن التاســع عشر كانوا يعرفون باسم « علماء المقاعد الوثيرة Armychair Anthropogist ·

ويقصد بذلك أنهم لم يعتمدوا على انفسهم فى جمع المعلومات ، ولم يستخدوا منهج الدراسة الميدانية، وانما اعتمدوا فى ابحاثهم على اقوال الرحالة والمستكشفين ، ورجال الادارة من المستعمرين الاوربيين • وبما ان الدراسة الميدانية هى احد الاركان الاساسية للانثروبولوجيا الاجتماعية فانه لا يمكن اعتبار القرن التاسع عشر فترة نضـــوج الانثروبولوجيا واستكمال عناصرها ، انما فترة نشأة الانثروبولوجيا •

ومنذ بداية القرن العشرين (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤) وصلت الانثروبولوجيا الى مرحلة التخصص ، وهى مرحلة ذات مظاهر متعددة اولها : التمييز بين الانثروبولوجيا من ناحية والاثنولوجيا من ناحية أخرى • ومنذ بداية تلك المرحلة أخذت الدراسات الميدانية او الحقليه field work عن المجتمعات البدائية تتوالى وتصبح اكثر نضجا • وكان العلامة الانجليزى هادون أول من طبق منهج الدراسة الميدانية عندما راس بعثة جامعة كامبردج المؤلفة من بعض العلماء لدراسة منطقة توريس Torres straits فى المحيط الهادى ، واستغرقت تلك الدراسة عامين من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٠ ، ثم عين استاذا للانثروبولوجيا فى جامعة كامبردج عام ١٩٠٠ •

وكان مالينوسكى وراد كليف براون روادا بارزين فى دراســـة المجتمعات البدائية • وتعلم العالمان لغة اهالى المجتمعات التى قامـوا بدراستها ، وعاشوا معهم ، متتبعين عاداتهم ووصف حياة تلك المجتمعات فى اتجاه بنائى / وظيفى • وقد كشف هذا الاتجـــاه قصور وخلل الانثروبولوجيا فى الفترات السابقة ، والتى كانت تتمثل فى جمع المعلومات عن طريق المخبرين ، او عن غير الطريق الشخصى ، أو من رجال الادارة الاستعماريين الغير مدربين •

فقد وصل تعميق وتركيز الدراسه الميدانيه الى القمة على يد العلامة البريطانى الجنسية والبولندى المولد « مالينوسكى B. Malinowski الذى أنفق فى دراسة لسكان جزر التروبرياند بمنطقة ميلاينزيا مـدة أربع سنوات من عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، واستطاع ان يتغلغل فى الحياة

الاجتماعية عند سكان جزر التروبرياند ، وان يحللها ويفهمها فهما عميقا ومنذ عام ١٩٢٤ بدأ مالينوسكى تدريب مجموعة من الانثروبولوجيين الاذكياء فى مجال الدراسة الميدانية

ويعد راد كليف براون من اشهر علماء الانثروبولوجيا ، وكان تلميذا لكل من « ريفرز » و « هادون » ٠ وقام بدراسة لسكان الاندمان ، وهى مجموعة جزر فى خاليج البنغال جنوب بورما تتبع الهند٠ وفى عام ١٩٣٧ اعاد تنظيم معهد الانثروبولوجيا فى جامعة اكسفورد ، وعمل على تطوير اتجاهاته ٠

ومن الدراسات الانثروبولوجية التى ظهرت فى هذه الفترة دراسة ايفانز بريتشارد (الازاندى والنوير) ، ودراسة ريموند فيرث (تيكوبيا) ٠

الفصل الرابع

فروع الانثروبولوجيا وصلتها بالعلوم الاخرى

تقديـــم :

تشغل الانثروبولوجيا مكانا بارزا فى علوم الاداب ، وهى فى مقدمة العلوم التى تدرس فى برامج الدراسات الادبية والاجتماعية · ويرجع هذا الى ان العلوم الانسانية والاجتماعية بل والطبيعية يمكن ان تفيد وتستفيد من هذا العلم · ومن ثم فهى ترتبط بهذه العلوم ، وتتقارب معها تقاربا شديدا ·

وتشمل العلوم الانسانية الادب ، والفن والموسيقى ، واللغويات ، والفلسفة ، والجغرافيا والتاريخ وعلم الاثار ، والايكولوجيا والاقتصاد والسياسة ، وعلم النفس وعلم الاجتماع · أما العلوم الطبيعية فتشمل علم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا · والبحث الانثروبولوجى يمتد ليشمل جميع هذه المجالات ان الانثروبولوجيا هى احد العلوم الاجتماعية الذى يرتبط بهذه العلوم ·

ففى مجال الفن ــ مثلا ــ أمدتنا الانثروبولوجيا بقدر كبير مـــن المعلومات حول الفن الشعبى فى المجتمعات غير الاوربية ، والدور الذى يلعبه الفن فى المجتمع والثقافة · كما ترتبط الانثروبولوجيا بعلم اللغويات · وهو دراسة مبادىء اللغة ، حيث يحرص الانثروبولوجى على دراسـة وفهم لغة الناس الذين يقوم بدراستهم · وترتبط الانثروبولوجيا كذلك بعلم الجغرافيا ، فهى تدرس العلاقة بين الثقافة والبيئة · كما تستفيد من علم الايكولوجيا ، وهو ذلك العلم الذى يدرس العلاقةبين الكائنات الحية وبيئاتها · وفى مجال التاريخ وعلم اثار ما قبل التاريـــخ ساهمت الانثروبولوجيا فى تفهمنا لحياة شعوب مضت وانقضت خلال أزمنـة ما قبل التاريخ ، وقبل حفظ السجلات ·

واذا كان موضوع علم الاقتصاد هو الطريق الذى يستخدمه الانسان ليكسب معيشته ، وعلم السياسة يتخذ من ظاهرة السلطة موضوعا لدراسته ، فان الانثروبولوجيا تضع فى اعتبارها القانون والاقتصاد والسياسة باعتبارها اجزاء فى نسق ثقافى متكامل ، ولا يمكن ان نفهم أى عنصر من هذه العناصر الا فى ضوء ارتباطه بباقى العناصر اذ لا شك ان هذه الموضوعات جميعا تشكل الحياة الاجتماعية كما ترتبط الانثروبولوجيا بعلم النفس ، فهى تدرس العلاقة بين الثقافة والشخصية ٠

ومما هو جدير بالذكر ان تطور الانثروبولوجيا ذاتها ، كان مرتبطا بتطور بعض العلوم الاخرى ، فلم تكن معرفتنا بتاريخ الانسان وثقافته يمكن ان تتضح الا بعد ان يصل علم الجيولوجيا الى جدول زمنى ملائم يكشف عن تتابع هذا التاريخ خلال مراحل محددة ٠ وبالمثل كان من العسير بالنسبة لعلمى الحفريات والحيوان ان ينهضا على اساس مكين قبل معرفة طبيعة الانسان وعلاقته بالحيوانات الاخرى ٠

ويتداخل علم الاجتماع بعلم الانثروبولوجيا تداخلا كبيرا ، حتى ان البعض مثل راد كليف براون - يعتبر الانثروبولوجيا هى « علم الاجتماع المقارن Comparative Sociology ، وفى معظم الاحوال نرى ان الانثروبولوجيين فى مختلف الجامعات ينضمون الى أقسام الاجتماع ، ويحصل الطلاب على درجة علمية فى المجالين : علم الاجتماع والانثروبولوجيا

ومع ذلك فهناك اختلاف كبير بين العلمين سواء من حيث الموضوعات التى يدرسها كل منهما او المناهج المستخدمة ٠ فاذا قلنا ان موضوع الانثروبولوجيا هو البناء الاجتماعى ، نلاحظ ان موضوع علم الاجتماع السلوك الاجتماعى ٠ واذا كان علم الاجتماع يهتم بالمجتمعات المتقدمة ، فان الانثروبولوجيا تدرس مختلف المجتمعات والثقافات فى كل مكان من العالم ٠ ويميل علماء الاجتماع الى دراسة سلوكيات الجماعة ، والجماعات العمرية ، والنوع ، والمستوى الاقتصادى ، والمكانة الاجتماعية ، والظروف

التعليمية كذلك فان علم الاجتماع يستعين فى دراسته باستمارة الاستبيان وعن طريق عينة احصائية تكشف عن العلاقة بين بعض المتغيرات مثل الطلاق ، الدخل ، والمستوى التعليمى ، بينما الانثروبولوجيا على النقيض من ذلك تكشف عن عناصر الثقافة ككل ٠ وهى تستطيع كذلك انتعقدمقارنات بين مظاهر الثقافة فى مجتمعات مختلفة ٠

كذلك ترتبط الانثروبولوجيا خاصةالفيزيقية بعلوم البيولوجيا ـ أى بعلم وظائف الاعضاء (الفسيولوجيا) ، وعلم الاجنة ، وعلم الوراثة ٠ وهكذا هناك تعاون وثيق بين الانثروبولوجيا وغيرها من العلوم من اجل التوصل الى حلول للمشاكل العملية المشتركة بينهما (١) ٠

وفى ضوء هذا تنقسم الانثروبولوجيا ـ أى علم الانسان الى الاقسام الاتية :

الانثروبولوجيا الفيزيقية / الطبيعية

Physical Anthropology

الانثروبولوجيا الفيزيقية / الطبيعية هى اقدم فروع الانثروبولوجيا وقد ظهرت بشكل متميز فى اواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر تحت تأثير المدرسة الدارونية ٠ ونشأ هذا العلم عن الجمع بين علم التشريح والابحاث المنسقة التى اجريت فى علم الحيوان خلال تلك الفترة ٠ وكان فى مستهل عهده علما وصفيا ، فلم يبد الا اهتماما عرضيا بمشكلة الاصول العنصرية والقوى المحركة للتباين البشرى (٢) ٠

وتهتم الانثروبولوجيا الفيزيقية بدراسة الانسان من حيث سماته الفيزيقية ـ أى من حيث الخصائص الجسمية والصفات التشريحية مثل

---

(١) See Ralph L, Beals & Harry Hoijer, An Introduction to social Anthropology p.p. 13 — 14.

(٢) انظر رالف لينتون ٠ دراسة الانسان ص ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

الجمجمة ، وارتفاع القامة ، ولون البشرة ، ونوع نسيج الشعر ،وشكل الانف ، ولون العـــين · ولذلك فاذا كـــانت الانثروبولوجيـــا الاجتماعية ـ مثـلا ـ تعـــالج ما يسمى « بالبنـــاء الاجتمـــاعى » ، فـــان الانثروبولوجيا الفيزيقية انما تدرس تلك الخصائص والملامح العامة « للبناء الفيزيقى » للانسان ·

وتدرس الانثروبولوجيا الفيزيقية كذلك الانسان العضوى فى نشأته الاولى ، وفى تطوره من الرئيسيات Primates حتى اكتسب الصفات والخصائص السلالية والوراثية التى تميز وتصنف سلالتـه وأجناسه وبمعنى اخر ، فهى تدرس التاريخ التطورى للكائن البشرى بالالتفات الى مختلف خصائصه وملامحه الحالية والمنقرضة ·

فقد اثبت الانثروبولوجيون الفيزيقيون التطور والمراحل التى مـر بها النوع البشرى حتى وصل الى الشكل القائم عليه الان · فبينوا ـ مثلا ـ أن مخ الانسان قد نما بصورة واضحة خلال الاحقاب التاريخية المختلفة فى حين تضاءل حجم الوجه ، وهذا ما أكدته الدراسة المقارنة بين الانسان الحديث Modern Man ، والانسان المنتصب القامـــة Homo Erectus ، والشـــمبانزى Champanzee · ويـــدرس الانثروبولوجيون الفيزيقيون كذلك الميكانيزمات التى أدت الى حدوث هذه التغيرات ، كما يدرسون التغيرات المستمرة فى حياة السكان ·

واكد الانثروبولوجيون الفيزيقيون ان هذا التغير لا يحدث بطريقة عشوائية ، ولكنه يتم طبقا لنمط محدد · وقد بين تشـــارلى داروين طبيعة هذا الميكانيزم ·

وعليه تجيب الانثروبولوجيا الفيزيقية على عديد من التساؤلات التى كانت موضع اهتمامه منذ القدم حتى العصر الحديث مثل : أين ومتى ظهرت الكائنات الحية لاول مرة ؟ وما هى صفات هذه الشعوب

وما هى اوجه الشبه والاختلاف بينها ؟ وكيف تغيرت الخصائص الجسيمة للانسان خلال الازمنة المتعاقبة على وجه الارض ؟ ٠

ومن هنا يسعى علم الانثروبولوجيا الفيزيقية الى التعرف على النتائج المترتبة على الاتصال والاحتكاك الجنسى بين الشعوب المختلفة وهل هناك انواع اقوى من غيرها ، بمعنى انها تستطيع ان تورث صفاتها لغيرها من الشعوب ، وهل هناك صلة بين التركيب الجسمى للانسان وبين الصفات الاخرى كالمزاج والذكاء والنواحى النفسية (١) ٠

هذا وقد استعانت الانثروبولوجيا الفيزيقية فى دراستها بعلم الايكولوجيا ، الا وهو دراسة العلاقات والتأثير المتبادل بين كل مظاهر البيئات الحية وغير الحية ، وبمعنى اخر دراسة العلاقة والتأثير المتبادل بين الانسان وبيئته الطبيعية التى يعيش فيها ٠ وتشمل البيئة الارض والماء والهواء ، وكذلك المناخ والطقس واشعة الشمس ٠ كما يتأثر الانسان كذلك بالكائنات الحية النباتية والحيوانية التى تحيط به ، ويستخدمها كطعام ، وتمده بالطاقة التى يحتاجها الجسم حتى ينمو ويتحرك وينتج وينجب ٠ وتمد البيئة الانسان بالمأوى والملبس لتخفف من وطأة المناخ ٠ وقد اخترع الانسان التكنولوجيا الزراعية ، واستطاع ان يحول بها الغابات الى اراضى خضراء ، وتحولت الصحارى الى حدائق كذلك مكنتنا التكنولوجيا الصناعية من اكتشاف كل بيئات العالم (٢) ٠

وقد تؤدى ظروف البيئة الى عزل جماعة من الجماعات ، وتتحكم فى التوزيعات السكانية أو تؤدى الى الحفاظ على بعض السمات الفيزيقية، وهذا على النقيض من أولئك الذين لديهم القدرة على الاتصال المستمر (٣)

---

(١) د٠ محمد على محمد ٠ الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ١٢ - ١٥ ٠

(٢) Charles A. weitz, op cit. p.p. 33 — 34

(٣) انظر د٠ فاروق مصطفى اسماعيل الانثروبولوجيا ص ص ٢٧ - ٢٨

ولكى تحقق الانثروبولوجيا الفيزيقية اهدافها كعلم ، فانها تستعين بعلم البيولوجيا Biology ، وعلم وظائف الاعضاء Physiology ، وعلم التشريح Anatomy والبستولوجى Histology ، الذى هو علم الانسجة العضوية الحية ، وعلم الوراثة ، وعلم العظام Osteology وعلم البنـاء الانسانى Human Morphology ، ومقاييس حجم الانسان ، ودراسة مقاييس الاجسام الحية Biometrics ، وعلم الجراحة الانسانى Human Serology ، وعلم الاجنة Imbryology .

كما ينبغى ايضا ان يدرس الباحث فى الانثروبولوجيا الفيزيقية علم اثار ما قبل التاريخ Prehistoric Arhaoelogy ، وعلم اصول السلالات البشرية الذى هو علم الانثولوجيا Ethnology ، كما لن يخـلو بالطبع عمـل الدارس الانثروبولوجى الفيزيقى من دراسـة اللغـويات Linguistics ، او حتى دراسة الانثروبولوجيا الاجتماعية (١)

الانثروبولوجيا الثقافية :
Cultural Anthropology

الانثروبولوجيا الثقافية هى احد فروع علم الانثروبولوجيا · حيث ان الثقافة الانسانية فى كل الازمنة والامكنة هى الموضوع الرئيسى فى الانثروبولوجيا الثقافية فهى تهتم بدراسة الناس وعاداتهم وتقاليدهم تحت ظـروف ثقافيـة معينـة ، والتطور الرئيسى لمراحل الثقافـة فالانسان على ما يقول مالينوسكى Malinowski (٣) فى مقالة المشهور الذى كتبه فى دائرة المعارف الاجتماعية عن الثقافة هو كائن له شكله الفيزيقى،وتراثه الاجتماعى ، وسماته الثقافية ، فاذا كانت الانثروبولوجيا

---

(١) انظر د· قبارى محمد اسماعيل · الانثروبولوجيا الوظيفية ص ٣٠ وانظر د· قبارى محمد اسماعيل · الانثروبووجيا العامة ـ صور من قضايا علم الانسان ص ٤٤ ·

(٣) د· قبارى محمد اسماعيل · الانثروبولوجيا الوظيفية ص ٩ ·

الفيزيقية تصنف الانسان تبعا لبنائه العضوى وخصائصه الفسيولوجية واذا كانت الانثروبولوجيا السيكلوجية تهتم بالطبيعة الانسانيـــة فان الانثروبولوجيا الثقافية تدرس الانسان كما يعيش فى ثقافة ، اذ ان الطفل حين يولد زنجى الاصل ، وحين ينتقل الى فرنسا ، فلسوف يشب هناك بطريقة تتمايز تماما عما يكون عليه اذا كان نفس الطفل قد نشأ فى الغابة موطن ثقافته الاصـلية ٠

وفى نفس هذا المعنى يقـــول الفيلسوف الفرنسى « ديكـــارت Descartes (١) » فى مقال عن المنهج : « ولمـا تأملت فى الرجل نفسه ، بنفس عقله اذا نشأ منذ طفولته بين فرنسيين أو المـانيين فانه يصبح مختلفا عما يكون لو عاش دائما بين صينيين او كانيباليين (أكـــلة الحـوم البشر) ٠

« كما ان الازياء التى اعجبتنا منذ عشر سنين ، والتى قد تعجبنا أيضا قبل ان نمضى عشر سنين ، تبدو الان شاذة ومضحكة ، بحيث تكون العادة والتقليد هما اللذان يؤثران فى ارائنا اكثر من اى عـــلم يقينى » ٠

ومعنى ذلك ان الانسان فى كل زمـــان ومكان له ثقافته وتراثـــه وهذا التراث هو المجال الرئيسى فى الانثروبولوجيا الثقافية ٠

وقد أدى اهتمام علماء الانثروبولوجيا الثقافية بالثقافة الى ظهور كثير من المصطلحات او المفاهيم الرئيسية التى تتصل بمعالجة موضوع الثقافة والمجتمعات المحلية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الاتصال الثقافى ، والتغير الثقافى ، والاكتساب الثقافى ، والتخلف الثقافى ، وأنماط الثقافة ، والثقافات الفرعية ٠

وتعنى الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة ثقافة اسلافنا أبناء العصر

---

(١) انظر د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا العامة ص ص ١٩ - ٢٠ ٠

الحجرى ، وذلك بالكشف عن البقايا المادية لطرق الحياة ، وذلك فى محاولة لاعادة تركيب صور بنية الحياة لشعب معين فى مرحلة زمنية ونطقة اقليمية معينة • وهى تستعين فى ذلك بعلم اثار ما قبــــل التاريخ •

وتعنى الانثروبولوجيا الثقافية كذلك بدراسة الثقافة البدائيـــة Primitive culture فى المجتمعات التى تتسم بالبساطة والعزلة النسبية . كما تهتم بثقافات الجماعات المحلية المعاصرة فى أوربا وامريكا والتى تمتاز بالحضارة والرقى والتقدم ومن هنا يمكن عقد المقارنات ودراســة أوجه التشابه والاختلاف بين طرق الحياة فى دراسة الشعوب المنقرضة والحالية ، البدائى منها والمتقدم •

ولكن ما المقصود بالثقافة ؟

يختلف علماء الانثروبولوجيا الثقافية فى تعريفهم للثقافة • فيذهب بعض البيولوجيين ، ومن أمثلتهم لينتون Lenton الى تعريف الثقافة بأنها « الوراثة الاجتماعية » ، الا اننا نجد ان هذا التعريف البيولوجى لا يخلو من انتقاد وتجريح ، حيث يوحى الينــا الانســان ان يكتسب ثقافته مثلما يكتسب جيناته • فالثقافة عند البيولوجيين هى اكتساب وراثى او نظرى ينتقل الى الانسان دون ان يبذل أى جهد فى التكيف معها ، أو حتى فى مقاومتها ، الا أننا فى الرد على وجهة النظر البيولوجية نقول ان الانسان ليس مجرد الناقل او الحامل السلبى لانماط الثقافة وسماتها العامة ، ولكن الانسان هو خالق الثقافة وصانع لها ، فللانسان دوره الايجابى الفعال فى عملية النقل الثقافى ، ولا يقتصر دوره على الحل السلبى ، او النقل المحايد . ومن هنا تتهافت وجهة النظر البيولوجية فى تحديد مفهوم الثقافة •

ويفسر التاريخيون الثقافة بأنها « راسب تاريخى » على اعتبار ان الثقافة عندهم هى مجرد عمليات تاريخية الاصل ، وتتراكم خــلال

السياق الحضارى ، أو تترسب فى الزمان التاريخى ، فتنمو وتنتعش وتترقى وتنتقل وتهاجر من منطقة الى اخرى ٠

وقد يقال أن الثقافة هى عملية انتقائية توجه ردود افعال البشر نحو منبهات داخلية وخارجية » ٠ وهذا مفهوم سيكلوجى يتضمن دراسة « المنبه » أو « المثير » ، بالاضافة الى الاستجابة والنزوع (١) ٠

وفى نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كان هنـاك شبه اتفاق بين العلماء على الاخذ بالتعريف الشهير الذى وضعه العالم البريطانى ادوارد بيرنت تايور E. B. Tylor (١٨٧١) وافتتح به كتابه الشهير الثقافة البدائية Primitire culture ، وفيه يقول : الثقافة أو الحضارة هى ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفـة والعقيدة والاخلاق والقانون والعادات وكل المقدرات المكتسبة التى يكتسبها الانسان بصفته عضوا فى المجتمع » ٠

ويعود تايلور فى موضع اخر من الكتاب الى تاكيد ان الثقافـة تشتمل على الاشياء مثل الفأس والقوس والرمح وما الى ذلك ، وكذلك على الفنون العملية مثل صيد السمك ، واشعال النار ، وصيد الحيوانات البرية ، وصناعة الحراب ٠٠٠ الخ ٠

الا ان هذا التعريف يقتصر على « محتوى الثقافة » ، فهو تعريف قاصر وناقص ، اذ انه مجرد قائمة بمحتويات الثقافة ، ولكن الثقافة هى تنظيم Organization » قبل ان تكون محتوى ، فلم يفعل تايلور الا انه قام بعملية وضع او رص لمحتويات الثقافة ورصها رصا ، بحيث اذا استثنينا كلمة « كل » لتفرق وتبعثر هذا المضمون الذى رصـه دون ما تنظيم او تنسيق (٢) ٠

---

(١) د٠ قبارى محمد اسماعيل اصول علم الاجتماع ومصادرة ص ٢٦١ ٠
(٢) د٠ قبارى محمد اسماعيل اصول علم الاجتماع ومصادرة ص ٢٦٠ ٠

ويرى « هــوبل Hoeble (١) ان السلوك المكتسب بصفة عامة ٠ يعتبر هاما وضروريا فى تعريف الثقافة ، وعلينا عند تعريف اى ثقافة ان نحذف كل ما هو بيولوجى او موروث من مفهوم الثقافة ، لان الثقافة هى مجموع التجريدات الاجتماعية ، والتى تنتقل عبر الاجيال المتلاحقة عن طريق التنشئة والاكتساب الثقافى المستمر ٠

كما يعرف ماكيفر وبيج (٢) الثقافة بانها تستخدم للاشارة الى كل ما صنعه اى شعب من الشعوب او أوجده لنفســه من مصنوعات يدوية ومحرمات ونظم اجتماعية سائدة وادوات واسلوب تقليد وباختصار كل ما صنعه الانسان اينما وجد ٠ اذن فمهوم الثقافة ، يعنى مجمـل التراث الاجتماعى للبشريــة ٠ ويريــان من ناحيــة اخرى ان علمــاء الانثروبولوجيا أدركوا ادراكا تاما خلال دراستهم للشعوب البدائيــة وثقافاتها علاقة الفرد الوثيقة بالثقافة نفسها ٠

وجملة القول فان الثقافة هى الحياة ، انها نمط المعتقدات والافـكار والرموز والتجارب التى نتجت عن التفاعل بين الافراد ، وبين النظـــم الاجتماعية ٠ وهى تتكامل تكاملا وظيفيا وتعمل على تكيف الافراد مع بيئاتهم فيكتشف الشخص بيئته ويتعلم ان يحمى نفسة ٠ ويواجــه مواقف الجوع ، والتوترات الجنسية ، وهى تشكل الشخصيات فى المجتمع بحيث تتشابه الشخصيات فى المجتمع الواحد ٠

وتجيب الثقافة عن تساؤلات مؤداها : كيف تعمل المجتمعات ؟وكيف يسلك الافراد ؟ وكيف يختار الافراد شركاء حياتهم ؟ وكيف يبنــون مساكنهم ؟ وكيف ينتظمون سياسيا ؟ وكيف ينتجون الطعام ؟ وكيف يتصلون بعضهم ببعض ؟ وكيف يتعبدون ؟ وكيف يقتسمون العمـل ؟

---

(١) د٠ محمد عباس ابراهيم ٠ الثقافات الفرعية ص ٩٩

(٢) د٠ محمد عبد محجوب ٠ دراسات سسيوانثروبولوجية — الكتاب الاول ٠ ص ١٦٤ ٠

وكيف يحافظون على الضبط الاجتماعى ؟ وكيف يعبرون عن انفسهم باستخدام الاساليب الفنية ؟ وما الى ذلك ٠

كذلك فهى تساعد الفرد على توقع الاختراعات ، وتقوم بعملية الاحلال، فلقد حل السكين المصنوع من الحديد محل السكين الحجرى ٠ فهنود اليوروك Yurok Indians استعاروا السكاكين الامريكية ، واستخدموها فى اغراض متعددة ، ومع ذلك ففى خلال جيلين ظلوا يستخدمون السكين المصنوع من الحجر ، والسكين المصنوع من الحديد فى نفس الوقت ٠

ولقد ظهرت العديد من الاتجاهات فى دراسة الثقافة ، تذكر منها اتجاه الايكولوجيا الثقافية ، والاتجاه التطورى ، والاتجاه الانتشارى والاتجاه الوظيفى ، الى جانب الاتجاه السيكولوجى المتصل بوجه خاص بدراسة الثقافة والشخصية ، أو بمعنى اخر دراسة الشخصية فى الثقافة ، ودراسة الثقافة فى الشخصية ٠

خاصائص الثقافة :

١ ـ الثقافة انسانية :

الانسان هو الحيوان الوحيد الذى منحه الخالق جهازا عصبيا خاصا وقدرات عقلية فريدة تتيح له امكانية ابتكار افكار وأفعال جديدة ٠ ويتميز ذلك الجهاز العصبى بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشرى من وقت لاخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة ٠

ان حياة المجتمعات التى تعيشها الفيلة وجماعات النحل والنمل وغيرها هى تصرفات فطرية ، ويرى الكثيرون ان الانسان لديه دافع فطرى يحتم عليه التجمع فى جماعات مختلفة الحجم ، ومن هنا اتضح لنا ان المعيشة فى جماعات تمثل سلوكا فطريا ٠ وبما ان بعض الحيوانات تشارك الانسان ذلك الدافع وغيره من الدوافع الفطرية ، فان ظاهرة تكوين المجتمعات لا ينفرد بها الانسان وحده أما فيما يتعلق بالثقافة

فالامر يختلف تماما ، وذلك لان الثقافة هى افكار يخترعها العقل البشرى وينفذها الانسان بأعضائه وبغيرها من الادوات والالات التى يصنعها . ولا خلاف على ان العقل واقصد به هنا القدرة على التفكير وبالتـالى على اختراع الافكار والاعمال التى من شانها اشباع حاجات الانسان ، والتكيف مع البيئة قدرة تخص الانسان وحده . واذا نظرنا ببساطة للحياة أمامنا - لا نجد حيوانا غير الانســان يصنع الادوات والالات والمساكن والاثاث والمدن والمصانع وما الى ذلك ، ولا نجد حيوانا غـير الانسان له لغات متمايزه فى اصولها وحروفها وقواعدها ، ولا نجد حيوانا غير الانسان له قيم تنير له الطريق بحيث تحدد له ما يجب ان يكون عليه سلوكه ، ويمكن تطبيق تلك المقارنة على باقى النظم الاجتماعية (١) .

٢ - الثقافة مكتسبة :

ليست عناصر الثقافة موروثة او فطرية ، وانما هى فوق عضوية ، وتعلو على الفرد ويكتسبها الانسان كعضو فى المجتمع خلال عملية التعليم . فالطفل يكتسب ثقافة المجتمع الذى تربى فيه منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية . ولا تؤثر العوامل الفسيولوجية والسلالية فى تلك العملية - اى عملية التنشئة الثقافية ، وهى عملية نقل ثقافة المجتمع الى الطفل الذى يعيش فيه . وهى نتيجة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعى ، اذ تنمو وتتأصل خلال التفاعل الانسانى ، وتلبى حاجات اعضاء المجتمع سيكلوجيا وفسيولوجيا .

---

(١) د. عاطف وصفى . الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ٧٦ - ٧٧ .

وهى بهذا المعنى ذات صفة تراكمية ، ويمكن للفرد ان ينمو على حصيلة الاجيال السابقة ، فهو ليس فى حاجة لان يبدأ من جديد فى كل جيل ، وعلى ذلك تتسم الثقافة بانها لا تموت ، وانما تبقى وتستمر ٠

٣ - تخضع الثقافة بشقيها المادى واللامادى الى التغير ٠ ولكن تختلف درجة واسلوب ونحوى التغير من ثقافة الى العرى ، فقديسيرالتغير ببطء ، وقد يكون سريعا ٠ ويعتمد التغير الثقافى على عمليتى الاختراع والانتشار ٠ فقد حدثت تغيرات ضخمة فى المستوى التكنولوجى الاقتصادى نتج عن ثورة العصر الحجرى الحديث ، والثورة الصناعية فى القرون الحديثة ، وكذلك التحضر المستمر والمتزايد فى عصرنا الحالى ٠

أما الانتشار ، فيعنى انتقال عناصر الثقافة من مجتمع الى اخر ، او من وسط ثقافى الى وسط ثقافى اخر ، مما اوجد بالتالى تشابها فى السمات الثقافية بين مجتمعات متباعدة فى المكان ، ومتمايزة فى السياسة، والسلالة ، واللغة ٠ ويكون ذلك اما عرضيا او متعمدا ، فمن خلال الطريق العرضى تنتشر الثقافة من مجتمع الى اخر اذا وجدت انها ذات فائدة بالنسبة للمجتمع المنقول اليه ٠ أما اذا ارسل المبشرون من مجتمع الى اخر ، فان انتشار الثقافة يكون متعمدا ٠ وقد يكون انتشار الثقافة عن طريق الغزوات والحروب ، او عن طريق الهجرة او التجارة او غير ذلك من الوسائل ٠

كذلك تنتشر الثقافة داخليا وخارجيا ويقصد بالانتشـار الداخلى انتقال الثقافة من شخص الى اخر فى المجتمع الواحد ٠ أما الانتشار الداخلى فهو انتقال الثقافة من مجتمع الى اخر ٠ ويحدث نتيجة انتقال الثقافة من مجتمع لاخر صراع بين الثقافات القديمة والجديدة ، ينتهى عـادة بانتصار احداها ومحو الاخرى ، واما بنوع من المواءمة بين الثقافتين ٠

ومن امثلة الثقافات الجديدة التى انتصرت ، الثقافة العربية التى ظهرت فى القرن السابع الميلادى ، على حين ان الثقافة الرومانية عند غزوها اليونان لم تنجح فى محو الثقافة اليونانية ، بل لقد تأثرت بها • ومن الامثلة على المواءمة بين الثقافات القديمة والجديدة ما نراه فى العصور الحديثة فى مصر •

٤ ـ تتسم الثقافة بأنها كل مترابط متكامل منسق معقد ، فلو حللنا ثقافة اى مجتمع ، فاننا سوف نجد انها تتكون من اجزاء مختلفة وكثير من الملامح والسمات والعناصر التى يتصل ببعضها بحيث تكون كل ثقافى ، عناصره متداخله ومترابطة ، ويؤثر كل عنصر منها ويتأثر بالاخر. فهنود المايا Maya فى يوكان Yukan يقومون ببعض الطقوس قبل حراثة حقولهم وزرعها ، ولا يمكن ان نفهم سلسلة أعمالهم الزراعية أو اجراءاتهم الطقسية دون ان نفهم ما بينهما من علاقة • ان نجاح او فشل محصول الذرة يعتمد اعتمادا كبيرا على كمية الامطار التى تسقط ، وهذه بدورها تعتمد على سلسلة من قوى فوق طبيعية تتمثل فى الطقوس التى يقومون بها •

والثقافة متكاملة ـ اى لا يوجد صراع بين العناصر الثقافية المختلفه ولكن التكامل مسألة درجة ، اذ قد لا نجد ثقافة كاملة التكامل • وقد أكد راد كيلف براون (١) فكرة التكامل ، فكتب يقول ان الشعائر الجنائزية فى المجتمعات البدائية لا تعبر عن الحزن ، ولكنها تعبر عن تماسك الجماعة والثقافة متناسقة اى تتوازن توازنا متحركا خلال الزمن باستمرار •

أما كونها معقدة فيرجع هذا الى تراكم التراث الاجتماعى خلال عصور طويلة من الزمن ، وكذلك الى استعارة كثير من السمات الثقافية من خارج

---

(١) Ralph l, Beals & Harry Hoijer, An Introduction to Anthropology, p. 110.

المجتمع نفسه . وتتضح تراكمية الثقافية من خلال عصور التاريخ . فأشكال الحكومات لم تظهر نتيجة حدث تاريخى واحد او عمل مفرد ، وحكم الاقليات ثم الحكم الدكتاتورى ، فالديموقراطى أشكال تمت وتراكمت بعضها فوق بعض . ويظهر تعقد الثقافة فى التفرقة التى يمكن اقامتها بين « العناصر الثقافية العامة » ، وبين ما يمكن ان نطلق عليه مظاهر « الثقافية الفرعية Sub — culture » .

٥ — ومن خواص الثقافة عموميتها وخصوصيتها . وتتمثل عموميتها فى وحدة المشاعر والافكار والتقاليد والعادات ... الخ التى يشترك فيها افراد المجتمع كالشعائر والمعتقدات الدينية واللغة .

غير ان هذه العمومية لا تمنع من ان توجد فى كل قطاع من قطاعات المجتمع ، جماعة لها ثقافتها الخاصة ، فعلى الرغم من وحدة السمات الثقافية فى المجتمع كله ، الا ان هذا لا يمنع من وجود سمات ثقافية ينفرد بها الرجال دون النساء ، كما قد يوجد للمتزوجين او الاباء بعض العادات الاجتماعية تميزهم عن غيرهم من العزاب وعن الابناء .

٦ — **الثقافة متنوعة المضمون :**

تختلف الثقافة فى مضمونها بدرجة كبيرة فى بعض الاحيان ، وقد يصل هذا الاختلاف الى درجة التناقض فى بعض الاحيان ، بحيث نجد ان النظم التى يتبعها مجتمع ما ويعتقد انها الفضيلة بعينها ، قد تعتبر جريمة فى مجتمع اخر يعاقب عليها القانون (١) .

الانثروبولوجيا الاجتماعية
Social Anthropology

يستخدم اصطلاح الانثروبولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا ودول الدومينكان Dominion على وجه الخصوص والى حد ما فى الولايات المتحدة الامريكية ليشير الى ذلك الفرع من فروع الانثروبولوجيا العامة

(١) د. عاطف صدقى . الانثروبولوجيا الثقافية ص ٨٤ .

وقد استخدم هذا المصطلح حديثا السير جميس فريزر Sir James frazer الذى كان أول استاذ كرسى لهذا الفرع فقد احتل هذا المنصب فى جامعة ليفربول عام ١٩٠٨ وحدد الانثروبولوجيا الاجتماعية بأنها محاولة عملية للكشف عما يسميه القوانين العامة التى تحكم الظاهرات ، وتفسر ماضى مجتمعات الانسان حتى نتمكن بفضلها ان تتنبأ بالمستقبل (١) ٠

والانثروبولوجيا الاجتماعية فى ذاتها هى دراسة من نوع خاص قوامها التجربة والفرض ، وتستند التجربة الحقلية على فروض نظرية موجهة ، وتقوم على المشاهدة العلمية المنظمة ٠ ومن ثم كانت الدراسة الحقلية هى تلك المحاولة السوسيولوجية لتطبيق المنهج الاستقرائى المرتبط أصلا بصلب مناهج العلوم الطبيعية على دراسة المجتمع البشرى للكشف عن طبيعته ونظمه وتطوره (٢) ٠

وتهتم الانثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة أنماط السلوك الاجتماعى الذى يتخذ فى العادة شكل نظم وانساق اجتماعية ٠ كالعائلة والقرابة والنظام السياسى ، والاجراءات القانونية ، والعادات القانونية ، والعادات الدينية بالاضافة الى دراسة العلاقات المتبادلة بين هذه النظم سواء فى المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية - أى انها تدرس ما يعرف بالبناء الاجتماعى Social structure ٠

وهكذا اذا كان الانثروبولوجيون الثقافيون يهتمون بدراسة الانسان ككائن حضارى يعيش فى ثقافة ، ويركزون دراستهم على ثقافة الشعوب بشقيها المادى واللامادى، فان الانثروبولوجيين الاجتماعيين يهتمون بدراسه الانسان الاجتماعى وبالنظم والعلاقات الانسانية والبناءات الاجتماعية ٠

وقد اختلفت الاراء حول العلاقة بين الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية ٠ وترى المدرسة الانجليزية ضرورة الفصل بينهما على أساس

(١) Radcliffe — Brown, A. R., Method on Social Anthropology, p. 133.

(٢) Ibid., p. 96.

ان كلا منهما فرع مستقل للانثروبولوجيا ، وهى تهتم اساسا بالانثروبولوجيا الاجتماعية أما المدرسة الامريكية نترى أن الانثروبولوجيا الاجتماعية هى فرع من الانثروبولوجيا الثقافية على أساس الفهم الامريكى لاصطلاح ثقافة ، وهى تهتم اساسا بالانثروبولوجيا الثقافية ٠

والحقيقة انه كثيرا ما يصعب الفصل بين هذين الاتجاهين الاجتماعى والثقافى ، بحيث يمكن القول أن الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية تدرسان الموضوعات نفسها ٠ فالعالم الذى يدرس البناء الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية غالبا ما يدخل فى دراسته ثقافة الشعب الذى يدرسه ، واذا ما بدأت الانثروبولوجيا الثقافية بدراسة الاشياء المادية والفنون العملية ، فانها سوف تنتقل الى دراسة النشاط الاجتماعى والسياسى ٠ واذا ما بدأت الانثروبولوجيا الاجتماعية بدراسة الحياة الاجتماعية ، فانها تنتقل من ذلك الى دراسة الاشياء التى هى من نتاج العلاقات الاجتماعية ، وعن طريقها تعبر الحياة الاجتماعية عن نفسها ٠

وفى هذا الصدد يذكر موس ومالينوسكى : ان الاشياء المادية كالادوات الصناعية والاسلحة والالات يمكن ان تتضمن فى مجال كل من الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ٠ ذلك ان الانثروبولوجى الثقافى سوف يسير تدريجيا فى ابحاثه من تلك الادوات والاشياء المادية الى النظم الاجتماعية والسياسية وانواع الانشطة الاخرى التى تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة ٠ كذلك الانثروبولوجى الاجتماعى يبدأ دراسته بالحياة الاجتماعية ثم يسير منها تدريجيا الى الاشياء المادية التى تستخدم فى المجتمع ٠

ولهذا يرى العلامة ايجان Eggan (١) ، ضرورة التعاون بين هذين العلمين لاستمرار ازدهار الدراسات الانثروبولوجية وللوصول الى نتائج اكثر عمقا ونضجا ٠

---

(١) د٠ عاطف وصفى ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ٨٦ ٠

الانثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology

تختص الدراســـات التى اطلق عليها اسم « العلوم التطبيقيـــة بتطبيقات تقوم على اساس من التسليم بالمبادىء ، وأحسن الامثلة لهذه الدراسات هى الهندسة التى تطبق مبادىء علم الفيزياء ، والطب الذى يطبق مبادىء علم الفسيولوجيا فالمهندس يوظف لبناء السد او قنطرة قدانتهى شخص اخر الى قرار بالحاجة الى اقامتها فى مكان معين ، وهو لا ينبغى له ان يتساءل عما اذا كانت اقامة بحيرة صناعية ، او اقامة اتصال بين ضفتى نهر يعتبر أمرا مرغوبا فيه لقيمة معينة او اخرى ٠ وكذلك الطبيب يستشيره مريض يحسب ان به علة معينة ، ولا يجادل هذا الطبيب ، كما انه لا ينبغى له ا نيجادل فى الحقيقة فيما اذا كان من الصواب او الخطأ ان يعالج هذا المريض ليشفيه من علة معينة ، ولكنعليه ان يتبصر أفضل الطرق لتحقيق تلك الغاية ٠

وتؤدى المماثلة بين الانثروبولوجيا التطبيقية والهندسة الى توقع انها يجب ان تصف لنا طرق انشاء المجتمعات المرغوب فيها بصورة أو بأخرى ٠ كما ان المماثلة بينها وبين الطب سوف تؤدى بنا الى توقع انها يجب ان تزودنا بوصفات لعلاج الحالات الباثولوجية والمرضيـــة التى تعرض للمجتمع (١) ٠

ولقد استخدم مصطلح الانثروبولوجيا التطبيقية فيما بين نهاية العشرينات ومنتصف الثلاثينات من هذا القرن ليشير الى الاهتمام الجديد لعلماء الانثروبولوجيا الاجتماعية او الثقافية فى البحث لتقديم المعرفة العلمية والارشاد العلمى للحكومات والتنظيمات الاخرى التى تتحكم فى الحياة العامة ٠ ومن ثم فهى فن علمى عملى يرتكز على محاولة الانتفاع والاستخدام الاساسى للنتائج التى يصل بها البحث العلمى التحليلى ،

---

(١) د٠ محمد عبده محجوب واخرون ٠ دراسات سسيوانثروبولوجية الكتاب الاول ٠ ص ١٧٩ ٠

واستغلالها فى النواحى العملية التطبيقية فى معالجة مشكلات الجماعات المتأخرة او القطاعات المتخلفة من المجتمعات المتمدنية ·

وقد عرفت لوسى مير Lucy Mair الانثروبولوجيا التطبيقية بأنها من الميادين الهامة للناس لانها تساعد على اتخاذ القرارات الاجتماعيه وفى معرفة اشياء عن السكان ، والتعريف بالعادات المختلفة للشعوب ·

ويعرفها د· حسن شحاته سعفان بأنها العلم الذى يبين كيف يمكن الاستفادة من علوم الانثروبولوجيا النظرية فى ادارة المجتمعات البدائية وتربيتها والنهوض بها وتطويرها ، وفى النهوض بوسائل رفاهيتها . فهو - مثلا -يشترك فى وضع خطة للتعليم فى مثل تلك المجتمعات ، او خطة لتهيئة مجتمع ما للحكم الذاتى ، وكذلك الخطط الاقتصادية ، والتفسير الدينى الى اخر ذلك (١) ·

وفى عام ١٩٤١ تأسست جمعية للانثروبولوجيا التطبيقية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وقامت الجمعية بنشر دورية باسم الانثروبولوجيا التطبيقية Applied Anthropology ، وتغير هذا الاسم عام ١٩٤٩ ليصبح التنظيم البشرى Human Organization ولقد وصفت الجمعية بأن موضوعها الاول هو ترقية البحث العلمى فى المبادىء التى تحكم العلاقات القائمة بين الكائنات البشرية ، وتشجيع التطبيق الواسع للمعرفة بهذه المبادىء فى مواجهة المشكلات العلمية ·

ولقد كانت اهتمامات تلك الجمعية تتمثل فى ثلاث مجلدات رئيسية هى الصحة العقلية ، ودراسة التنظيم الاجتماعى ، والعلاقة بين التنمية الاقتصادية والتغير الثقافى · وكانت هناك دورية اتخذت عنوانها من هذا الموضوع الاخير · Economic Development

---

(١) د· فوزى رضوان العربى ود· فاروق أحمد مصطفى · دراسات فى الانثروبولوجيا التطبيقية ص ص ٢٠ - ٢١ ·

and cultural change (١) .

وتتمثل تطبيقات الانثروبولوجيا فى انها تقدم العون والنصحية وتعرف بعادات واخلاق الشعوب البدائية ، وكذلك عقليتها وظروفها الاجتماعية والحاجات والامانى لرجال الحكم والسياسة ومن فى يدهم زمام السلطة ، والهيئات التبشيرية والمعاهد الدراسية . ويؤيد مالينوسكى هذا الرأى فيقول ان الانثروبولوجى يجب ان يكون رأية حاسما فيما يتعلق بالاحتمالات المخيفة للاسلحة النووية والتى سوف تؤدى الى وجود عالم بلا سكان ، ومشاكل الحرب والسلام وسباق التسلح ، وان الاذاعة يجب ان يكرس نشاطها لخير الانسانية ، ومشاكل الانسان المعاصر .

وقد ظهر بوضوح اهتمام وزارة المستعمرات فى بريطانيا ، وكذلك الحكومات الاستعمارية على العموم اهتماما متزايدا بتدريس الانثروبولوجيا والابحاث التى يقوم بها الانثروبولوجيون . فمعرفة النظم السياسية مثلا للجماعات البدائية التى تتبع الامبراطوريات الاستعمارية يساعد الدولة صاحبة السلطة ان تشكل سياساتها تجاه هذه الجماعات حتى تظل فى حالة ولاء لها . فلقد سنت الحكومة البريطانية حربين على الاشانتى فى ساحل الذهب قبل ان تكتشف ان الناس كانو يعتبرون « الكرسى الذهبى » الذى كانت الحكومة تطالب بتسليمه هو المركز الذى تتجمع فيه روح الشعب كله ، وأنهم بذلك لن يفرطوا فيه بحال .

ومن الوسائل الشائعة لاتمام الزواج عند كثير من الشعوب الافريقية أن يدفع العريس وأهله عددا من رؤوس الماشية لعائلة العروس واهلها . وقد كان الظن السائد لوقت طويل هو ان المهر (او ثمن العروس كما يسمى) نوع من الشراء ، وان الفتاة كانت تباع لقاء الماشية . وعلى ذلك أبدى المبشرون استياءهم واستنكارهم لهذه العملية كما حرمتها

---

(١) د. محمد عبده محجوب . قراءات سسيوانثروبولوجية ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .

حكومات المستعمرات ولكن بعد ان بينت الدراسات الانثروبولوجية ان دفع الماشية عند تلك الشعوب البدائية لا يتضمن من معانى الشراء اكثر مما تتضمن الدوطة فى المجتمعات الاوربية من معانى شراء الزوج، وان تحريم هذا النظام ادى الى تفكك روابط الزواج وتصدع العلاقات العائلية ، والى انزلاق النساء الى مهاول الانحلال ،بدأت الحكومات تنظر الى المسألة نظرة اخرى مختلفة • وهكذا أنارت الانثروبولوجيا السبيل • لانه لا يمكن معرفة طبيعة ثمن العروس او وظائفه الا بالبحث الانثروبولوجى (١) •

ولهذا نجد انه بعد ١٩٢٦ وضع برنامج لتدريب ضباط الادارة بالمستعمرات البريطانية فى أفريقيا الوسطى يتضمن دراسات فى الانثروبولوجيا كما خصصت نيجيريا وساحل الذهب بعض وظائف ضباط الادارة فيها لانثروبولوجيين حكوميين • وبالمثل فقد أنشئت بعض وظائف مماثلة فى اقليم بابوا Papua الاسترالى فى جنوب شرقى غينيا الجديدة،وفى السودان المصرى الانجليزى ، كما كانت تنجانيقا تجربة فى الانثروبولوجيا التطبيقية قام بها باحث انثروبولوجى ببعض البحوث الموجهة للاجابة على اسئلة محددة قام بصياغتها ضابط ادارى ، وقد نشرت نتائجها فى كتاب يحمل عنوان الانثروبولوجيا فى المعركة •

وفيما يتعلق باهتمامات الباحثين الانثروبولوجيين الحكوميين : نجد مثلا « مايرفورتس Meyer fortes » ، وقد قام بطلب من الحكومة باعداد مسح لقانون الزواج فى المجتمع التالنزى الذين يعيشون فى المناطق الساحلية من ساحل الذهب (٢) •

---

(١) أ•أ• ايفانز بريتشارد الانثروبولوجيا الاجتماعية الطبعة الخامسة ١٩٧٥ ، ص ١٥٣ •

(٢) د• فوزى رضوان العربى ود• فاروق احمد مصطفى • دراسات فى الانثروبولوجيا التطبيقية ص ١٨٢ •

ولم يكن عنوا ان يتمكن الاستعمار من حشد ملايين الجنود المتخلفين من المستعمرات فى الحربين العالميتين للدفاع عن مصالحه ان لم يكن قد عرف الاستعمار كيف يستغل عقائد هؤلاء الجنود وثقافتهم فى التحكم فيها ،وتعليمهم قواعد الحرب الحديثة ، فقد احترم الاستعمار عادات هذه الجماعات ومسايرتها واحياء التقاليد القديمة عندهم التى تتفق واغراضه واستغلال ميولهم وحوافزهم فى تسخيرهم لخدمته (١) ٠

وللدراسات الانثروبولوجية اهمية قصوى فى ظروف الحرب وفى تشكيل نتائجها ، ولقد كان للدراسات التى أجرتها العالمة الانثروبولوجية « روث بندكت Ruth Benedict » عن الشخصية والثقافة اليابانية خلال زمن الحرب العالمية الثانية اثر كبير فى الوصول الى نتائج مفيدة فى نجاح سياسة الولايات المتحدة الامريكية فى علاقتها مع اليابان عند نهاية الحرب العالمية الثانية (٢) ٠

ومن الناحية الاقتصادية فان الدراسة الانثروبولوجية التطبيقية تفيد من ناحية تطور تكنولوجيا وسائل الانتاج ، وطريقة الاستغلال فى حدود النماذج والانماط الثقافية المألوفة على نحو يسمح برفع المستوى المادى والاقتصادى للحياة ومن المعروف ان نجاح أى مشروع لا يعتمد على الاسس الاقتصادية لهذا المشروع ، وانما يعتمد اساسا على العامل البشرى - أى على الافراد الذين يعملون فى هذا المشروع ، وبهذا تبدو اهمية الانثروبولوجيا التطبيقية فى انها تسهل على الرجال واصحاب رءوس الاموال المستثمرة الحصول على اصلح العمال ملاءمة النواحى الانتاجية بأقل تكلفة وبأدنى اجر ، بالاضافة الى ان هذه الدراسة تفيد فى مجالات التسويق للسلع المصنعة (٣) ٠

---

(١) د٠ عبد المجيد عبد الرحيم ٠ الانثروبولوجيا - علم الانسان ص ٦٠
(٢) د٠ محمد عبده محجوب ٠ دراسات سسيوانثروبولوجية - الكتاب الاول ص ٤٧ ٠
(٣) أنظر د٠ احمد الختساب ٠ دراسات انثروبولوجية ص ١٤٢ ٠

وقد عرفنا من الانثروبولوجيا ان الجماعات البشرية تخضع لانماط معينة من الثقافات تجعل سلوك هذه الجماعات متميزا بصفات معينة قد تتعارض مع الاسس الاقتصادية ، فمثلا فى جزر التروبرياند يرفض المواطنون الغوص من اجل اصداف اللؤلوء التى يدفع فيها التجار مبالغ كبيرة ، ولكن هؤلاء يفضلون الخروج فى حملة الصيد من أجل القبيلة قد لا يكسبون منها الا قليلا جدا ٠ وفى غينيا الجديدة ، وفى كثير من الاقاليم قد يبدد الشخص البدائى ما كسبه طيلة العمر فى شراء هدايا للاقارب او حلى تافهة لزوجته ٠

وفى شرق جنوب بتريقيا حيث تكون حراسة القطعان جزءا من الحياة القبلية يجد البدائى ان هذا العمل هو اشرف الاعمال ، ولذلك يرفض ان يقوم بأى عمل اخر ، لانه يعتبره حقيرا بالنسبة الى الرعى مهما أعطى من أجور على هذا العمل الاخر ٠

وتستغل نتائج الانثروبولوجيا كذلك فى نقل الجماعات الى الاراضى المستصلحة حديثا لتعميرها ، وذلك بمراعاة النظريات الانثروبولوجية فى معاملة الجماعات المنقولة ٠ وتيسير ممارستها لثقافتها التقليدية مثلما حدث فى تعمير الواحات المصرية (مشروع الوادى الجديد) ، والاستعدادات التى راعتها الحكومة قبل انشاء السد العالى ، اذ شجعت اهالى اسوان على الرجوع اليها بعد ان نزح منها عدد كبير فى الاعوام السابقة على انشاء السد ، اذ كانت منطقة اسوان بسبب فقرها منطقة طاردة ، بينما كان العمل فى السد العالى سيتطلب اعدادا هائلة من العمال٠ ولذلك قامت الحكومة بتنشيط التجارة فى هذه المنطقة ٠ وانشاء بعض المشروعات والمصانع التى جذبت عددا كبيرا من العمال لان اهالى اسوان هم خير من يتجاوب مع بيئة اقليمهم وتراثهم الحضارى (١) ٠

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم ٠ المرجع السابق ص ص ٦٠ - ٦١ ٠

ولقد ظهرت كفاءة هذا العلم التطبيقى بظهور دراسة مشهوره اشرف عليها فى جامعة هارفارد البروفسور « التون مايو Elton Mayo » ، وتتعلق هذه الدراسة بميدان الانثروبولوجيا الصناعية Industrial Anthropolog حيث درست بعض المشكلات التى تتعلق بالانتاج وقياس مـــدى كفاءة المصانع ، ولقد قامت اخيرا دراسة انثروبولوجية تتناول تحليل البناء الاجتماعى لمحلات « سلفردج » وهى من اكبر المحلات التجاريه فى لندن (١)

وتتجلى أهمية الدراسات الانثروبولوجية فى مجال التربية والتنشئة الاجتماعية من منظور ان جوانب الثقافة فى مجتمع ما لا يمكن ان تستمر عبر الاجيال الا بنقلها من الاباء الى الابناء ، وما يرتبط بذلك من نقــل التراث الثقافى كله بجميع العناصر المكونة له كما هى ، او انتقاء بعض العناصر التى يتم تعديلها والقواعد المنظمة والمحددة لعملية انتقاء تــلك العناصر التى يتم تغيرها كذلك فقد ولع الكثيرون بالدراسات المقارنة لاختبارات الذكاء بين الزنوج والبيض فى الولايات المتحدة الامريكية ، وكان لهذه الاختبارات اثارها فى نظم التربية والتعليم ، وفى تبرير التفرقة العنصرية فى بعض الولايات الامريكية ٠

ويعتبر موضوع الصحة العامة من الموضوعات الهامة التى ساهم الانثروبولوجيون فيها ، وقاموا بشرحها ٠ فرجال التغذية فى افريقيا غالبا ما يقومون بأعمال تتعارض مع القيود الخاصة بالغذاء ٠ ومن الشائع — مثلا — ان أكل البيض محرم على النساء ٠ وفى بعض الاحيان يغرى النساء على اكل هذه المحرمات خارج بيوتهم ولكنهم حين يرجعون الى بيوتهم يعودون الى هذه القيود ، لا خوفا من الخزعبلات التى تمنعهم من أكل البيض ، ولكن خوفا مما يقوله الازواج لهن اذا هم فعلوا ذلك ٠

ويستطيع الانثروبولوجيون فى مجال الصحة العامــة — ان يقوموا بشرح وتفسير ما يتعلق بالصحة والمرض ٠فالبدائيون مشهورونبمعتقداتهم

---

(١) د٠ تبارى محمد اسماعيل اسس علم الانسان — الانثروبولوجيا ص ٣٥ ٠

الخاصة بالمرض باعتباره عقاب ، او ان سوء الحظ ينتج عن حقد بعض الاشخاص • ويرتبط ذذلك بالدين ، وبمحرمات خاصة بالطعام مفروضه على بعض الجماعات مثل النساء والابناء الكبار او الصغار ، ففي جاوه يعتقد النساء ان السمك المجفف ، وهو ارخص انواع البروتين الحيوانى، يعد خطرا على الاطفال الصغار ، فهو اساس امراض الاطفال السائدة •

وفى دراسة البيروتين تبين وجود افكار تتعلق بسخونة وبرودة الطعام فسكان موسى مولينو Mos Molino يقسمون الماكولات الى ساخن وبارد وحين يمرض فرد فانه يجب ان يتجنب ما هو ساخن جدا او باردا جدا • وتعد الاشياء الباردة على وجه الخصوص خطيرة عليهم • ومن ثم يشرب المرضى ماء ساخنا (١) •

كذلك فان النتائج التى تصل اليها بفضل الانثروبولوجيا تساعد على معرفة الطرق السليمة لتطوير المجتمعات المتخلفة التى تختلف ثقافتها عن ثقافة المجتمعات المتقدمة ، وذلك بمعرفة ثقافة سكانهاوالقوانين الانثروبولوجية التى ينبغى مراعاتها عند رسم السياسات التخطيطية المناسبة لهذه المجتمعات • ولا شك ان عدم ادراك هذه الحقيقة أو عدم التعمق فى فهم الثقافات يترتب عليه فشل البرامج أو السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى نستهدف النهوض بالمجتمعات •

وللمعرفة العلمية التى تتوصل اليها الدراسات الانثروبولوجية أهمية نظرية قصوى بالنسبة لعلم الاجتماع العام ، كما ان لها قدرا من الاهمية بالنسبة لعلوم اخرى كالاقتصاد والدين وعلم اللغة والسياسة • فقد اسهمت تلك الدراسات الانثروبولوجية فى توجيه الباحثين الى استخدام النظرة الكلية ، وتكوين صورة عن مدى تساند العناصر والمكونات فى المجتمع وتأثيرها فى التفاعل الاجتماعى (٢) •

---

(١) Lucy Mair, An Introduction to Social Anthropology, p. p. 263 — 264.

(٢) د• محمد عبده محجوب دراسات سيسوانثروبولوجية ـ الكتاب الاول ص ٤٧ •

وترتبط الانثروبولوجيا ارتباطا وثيقا بالعلوم الاتية :

الانثولوجيا : Ethnology

يعتبر هذا العلم أقرب العلوم الى الانثروبولوجيا ، بل انه يوجد قدر كبير من التداخل بينهما ، حيث كان يطلق حتى أوائل هذه القرن على الانثروبولوجيا الاجتماعية اصطلاح الانثولوجيا فى بعض الجامعات البريطانية

والاثنولوجيا هى علم دراسة الشعوب ، وهذا ما يعينه الاصل اليونانى Ethnos ، وهى تعنى دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدين والتقاليد والمعتقدات والفنون الشعبية وفروع المعرفة الصناعية ، ونوع المساكن الذى تسكنها ، والملابس التى يرتدونها وكذلك المثل العليا والفلسفات لهذه الشعوب • وتهتم كذلك بالدراسة المقارنة للمميزات الطبيعية للاجناس البشرية وعمل تصنيف للشعوب يقوم على الصفات المميزة وعلى الظروف الثقافية لكل منها •

وتفسر الاثنولوجيا توزيع الشعوب فى الماضى او الحاضر كنتيجة لتحرك هذه الشعوب واختلاطها وانتشار الثقافات التى ترجع الى كثرة الحوادث المعقدة التى بدأت عند ظهور الانسان منذ مليونا من السنين . فهى تبحث ـ مثلا ـ مسألة المصادر التاريخية للشعوب البولينيزية Polynesian People من اين اتت ؟ وأى طريق سلكت ؟ وكيف ومتى احتلت هذه الشعوب الاجزاء والمناطق التى تحتلها الان ؟ ومن أى جهة دخل أجداد الهنود الحمر الحاليين وتسللو الى امريكا ؟ وكيف ومتى ظهرت الاجناس الهندية الحمراء ؟ وكيف انتشرت هذه الاجناس فوق القارة الامريكية وما هى المميزات اللغوية والملامح الثقافية التى نشرتها الثقافة الهندية ، قبل احتكاكها بالثقافة الاوربية ، وقبل اتصال الهنود الحمر بالاوربيين لاول مرة (١) •

---

(١) د• قبارى محمد اسماعيل • الانثروبولوجيا الوظيفية ص ١٦ •

واكتشف الاثنولوجيون ان الصلة قريبة جدا بين اللغة المالاجازية The Malagsy Language لسكان مدغشقر Madagascar وبين لغات مالاى ارشبيلا جو Malay Archipeago ، وهو دليل لا يحتاج الى سؤال للعلاقة القديمة بين هاتين المقاطعتين · ومن الامثلة على ذلك عبيد النجرو Negro Slaves الذين سافروا من أفريقيا الى قارة امريكا ، اذ ان أوجه الشبه السلالية بن السكان النجرويين فى العالم الجديد ، وبين اولئك النجرويين الذين يعيشون فى أفريقيا سوف يجعلنا نستنتج احتمال هذا الرحيل الذى حدث عبر الاطلنطى ·

كذلك فان ظهور الاهرامات فى السودان شرق « دامر او شمال كسلا » او فى « شندى » ، ربما يرد الى التأثير المصرى القديم فى الفترة من ٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠ ق·م . حيث استعاروا من مصر فكرة اتخاذ الاهرامات مقابر لدفن الاسر المالكة (١) ·

أما الاثنوجرافيا Ethnography فهى دراسة ثقافات الشعوب دراسة وصفية عميقة فى المكان ، وعلى نحو أفقى · وهى دراسة متزامنة تتعلق بالاحداث والوقائع التى تحدث لشعب معين او عدد من الجماعات ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا ، وذلك فى وقت معين بالذات · وتقــوم الاثنوجرافيا بتصنيف الشعوب ، وعقد المقارنات بين أوجه الشبــه والاختلاف فيما بينها ، اذ تتشابه الجماعات العنصرية بصفات سلالية ، كما تتميز باختلاف اللغة ووسائل المعيشة ، وطرائق التفكير وانماط الســلوك ·

ويقضى الاثنوجرافى فى دراسته من سنة الى سنتين فى عمـل حقلى ، يتعلم خلالها لغة الاهالى التى تصبح لغته الثابتة ويناقش الاثنوجرافى اكتشافاته ووجهات نظره فى ضوء اكتشافات ووجهات نظر اخرى · وتفيد هذه الدراسة فى انها تمكن الانثوجرافى من عقد المقارنات

بين ثقافة مجتمعه وثقافة المجتمع الذى يدرسه · وبعد ان يتم الاثنوجرافى دراسته يعود مرة ثانية الى المجتمع الذى درسه ، ويدرسه مرة اخرى مما يسمح له بوضع نظرية شاملة (١) ·

وللتفرقة بين الاثنولوجيا والاثنوجرافيا نذكر ان الاخيرة هى الدراسة الوصفية المقارنة لمجتمعات وثقافات الانسان ، مثل مقارنة صناعات وأدوات مجتمع معين ببقية المجتمعات الاخرى والقائمة الان بالفعل ، وتلك هى المقارنة الافقية · وعلى ذلك تنحصر دراسة الاثنوجرافيا على الناحية الوصفية الحضرية ،أى فى مجرد جمع البيانات دون تفسيرها او تحليلها ·

أما الاثنولوجيا فهى الدراسة الرأسية لمظاهر الثقافة بشقيها المادى واللامادى ، مع محاولة التعرف على ماضى تلك السمات ، والظاهرات الثقافية · وهذا يعنى ان الدراسة الانثوجرافية اذا كانت مقارنة فى المكان Space فان الدراسة الاثنولوجية انما هى مقارنة فى الزمان Time خاصة الزمان الماضى المنقرض ·

ومن ناحية اخرى فان الانثوجرافى بعد ان يجمع البيانات يأتى دور الاثنولوجى بعد ذلك لكى يستفيد من البيانات التى يزودة بها الاثنوجرافى ، فيقوم بتصنيفها وتحليلها واستخلاص المبادىء التى تفسر الحقائق الاثنوجرافية واقامة النظريات التى تتعلق بطبيعة التصرفات الانسانية والنماذج الحضارية ووظائفها وعلى ذلك فانه اذا كانت الدراسة الاثنوجرافية هى دراسة وصفية فان الاثنولوجيا هى تفسيرية (٢) ·

وتفيد الاثنولوجيا والاثنوجرافيا فى أنهما يمدان الانثرولوجى الثقافى بحقائق عن الشعوب التى تم دراستها والواقع انه من العسير ان تميز

---

(١) Paul Bohannan, op cit., p. 7.

(٢) انظر د· [illegible] لطفى · الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ١٦ ·

بين هذه العلوم ، فمجال الدراسة فيها يكاد يكون واحدا من ناحية ان كلا مها يهتم بالحضارات والمجتمعات الانسانية فى اى مكان من العالم، كما انهما يشتركان ايضا فى ناحية اخرى هى التركيز على دراسة المجتمعات والحضارات التى نسميها بالبدائية ٠

ومع ذلك فهناك فروق ميثودولوجية بين الاثنولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية ، فالاخيرة تدرس السلوك الاجتماعى الذى يتخذ فى العادة شكل نظم اجتماعية كنظام الاسرة ، والقرابة والنظام السياسى ، والنظم انتشريعية ، والعقائد الدينية وما شابه ذلك ٠ كما تهتم بتوضيح العلاقة بين هذه النظم سواء فى المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التى يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة ويستند ذلك الى التجربة التى تتحقق بالدراسة الحقلية Field Work بينما تهتم الاثنولوجيا بتصنيف الشعوب ودراستها من ناحية صفاتها والخصائص المميزة للاجناس الانسان من ناحية الملامح الفيزيقية والخلقية ٠ السائدة بين بنى البشر ٠ وكذلك تفسير توزيع هذه الشعوب فى الوقت الحاضر او فى الماضى عن طريق الهجرات والاختلاط والانتشار الحضارى ٠

علم الاجتماع :

علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع ، اى يختص بكل ما هو انسانى اجتماعى ، او بكل ما يتعلق بالانسان من الناحية الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الانسانية ، ذلك ان المجتمع عبارة عن سلوك اى جماعة مكونة من اعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم فى ذلك التافعل والعلاقات المتبادلة ٠ ويعتبر جورج لندبرج (١) من أبرز من أخذ بهذا التعريف ٠

---

(١) د٠ محمد عاطف غيث علم الاجتماع ٠ النظرية والمنهج والموضوع ص ١٣٣ وما بعدها ٠

وعرف « أوجبرن Ogburn » ونيمكوف Nimkoff » علم الاجتماع بأنه « الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية » ، ويقولان ان الحياة الاجتماعية تقوم على التفاعل ، والتفاعل يؤدى الى التنظيم الاجتماعى الذى يؤدى بدوره الى خلق اشياء كثيرة كالمبانى والموسيقى والاخلاق والالات - أى خلق الثقافة · وعلى هذا فان الجماعات والمجتمعات تكون موضوعا صالحا لعلم الاجتماع · وعلم الاجتماع فى نظرهما هو العلم الذى ينبغى ان يعالج الخصائص المشتركة بين الجماعات والمجتمعات المختلفة ·

ويرى « روبرت ماكيفر R. Maciver » ان علم الاجتماع يعنى العلاقات الاجتماعية ، ونحن نطلق على هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية الكلمة الاصطلاحية : المجتمع · فمثلا تدرس الانثروبولوجيا الثقافية - الانسان (وعلى الاخص الانسان البدائى) متناوله مجمل نشاطه وانتاجه من فنون ووسائل مادية واساطير وخرافات · ويدرس علم الاقتصاد الانسان كساع وراء جمع الثروة او متصرف فيها بالانفاق · ويدرس علم التاريخ سجل حياة الانسان مرتبا أحداثه ترتيبا زمنيا ويدرس علم النفس الانسان من حيث كون فردا ذا سلوك · اما علم الاجتماع فانه يدرس العلاقات الاجتماعية ذاتها او المجتمع نفسه ·

ويرى ماكفير ان علم الاجتماع لا يدرس الثقافة الا فى اضيق الحدود ، وعندما يكون ذلك ضرورة ، ويبرر وجهة نظره قائلا : اننا فى علم الاجتماع لا ندرس الدين كدين ، ولا الفن كفن ، ولا الاختراع كاختراع · وحقيقة الامر غير ذلك فدراسة التغير الاجتماعى دليل أكيد على أنه لا يمكن لعلم الاجتماع ان يدرس التغير دون ان يركز على اهم عوامله وهى الثقافة ·

أما سوروكن فيرى ان علم الاجتماع هو « درسة الخصائص المشتركة بين كل انواع الظواهر الاجتماعية » · ويرى سوروكن أن علم الاجتماع هو علم عام وعلم خاص فى نفس الوقت ، فهو عام لانه يدرس الخصائص العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية والثقافية - أى العالم الثقافى

الاجتماعى ككل وهو خاص لانه دراسة هذه الخصائص تقتضى تخصصا لا يقــل عن تخصص علم الطبيعة او علم الاقتصـــاد ، فهو يدرس هذه الخصائص فى اتجاه بعينه كالاتجاه الاقتصادى او السياسى او النفسى او الاجرامى او القانونى او الاخلاقى او الدينى او العمالى او الحضرى أو القروى ... الخ ·

وقد اهتم سوروكن بالثقافة حتى انه عرف علم الاجتماع مرة أخـــرى بأنه العلم الذى يدرس الثقافة الاجتماعية ·· وقد دعاه هذا الى ان يقول ان الحقيقة الاجتماعية ذات ابعاد ثلاث متداخلة هى الشخصيـــة Personality ، والثقافة Culture ، والمجتمع Society

وأبرز جونسون اهمية التفاعل الاجتماعى - ويتناول علم الاجتماع عنده دراسة الجماعة من حيث صور او نماذج تنظيمها الداخلى والعمليات التى تميل الى استمرار او تغيير هذه الصـــورة التنظيمية للعلاقات الاجتماعية · والعلاقات الاجتماعية تختلف عن التفاعلات المؤقتة مثل تبادل التحيات ، وكل الجماعات عبارة عن علاقات اجتماعية ،ولكن ليس كل العلاقات الاجتماعية جماعات · ونظرا لان الثقافة تهيء وتعدل وتغير عددا كبيرا من مطالب وانشطة الانسان ، فان جونسون يهتم بدراستها خاصة لما لها من تأثيرات جوهرية فى عمليات هامة كالتنشئة الاجتماعية ويتضح من ذلك ان جونسون يعرف علم الاجتماع فى ضوء الفعل الاجتماعى الهادف الذى يتحرك لبلوغ غايته داخل جماعة ·

وجملة القول - فان اصطلاح « علم الاجتماع » مشتق كلمتين ليسا كالعادة من اصل يونانى كما هو الحال فى كلمة « علم الحياة Biology او كلمة « علم النفس Psychology » وانما اشتق من كلمة لاتينية Socius وتعنى رفيق او رابطة أو مجتمع ، وأخرى يونانية Logos وتعنى علم او منطق او دراسة على مستوى عال · ومن هنا فان كلمة علم الاجتماع تعنى علم المجتمع او علم المجتمع او علم دراسة المجتمعات الانسانية ى بحث مضمون تلك العبارة الارسطية القائلة بأن الانسان حيوان سياسى ·

وهكذا نجد تداخلا كبيرا بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا . كلاهما يدرس البناء الاجتماعى والوظائف الاجتماعية ، مما دعى راد كليف براون الى القول بأن علم الانثروبولوجيا الاجتماعية هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن » • فهو يدرس الظواهر الاجتماعية فى كل المجتمعات القديمة والمعاصرة ، المتأخرة والمتقدمة ، وتتعرض لكثير من مشكلات المجتمع الصناعى كمشكلات الهجرة ، ومشكلات الصراع العرقى ، ومشكلات التنمية الاجتماعية ، ومشكلات الانحراف ، ومشكلات التربية •

ومع ذلك تختلف الانثروبولوجيا عن علم الاجتماع من زاوية مجال البحث ، فالانثروبولوجيا تركز على دراسة الانسان وثقافته ونظمه الاجتماعية فى المجتمعات التى نسميها بالبدائية او المجتمعات البسيطة نسبيا • أما علم الاجتماع يهتم بدراسة المجتمعات الانسانية بأوسع معانيها أى المجتمعات المتحضرة والصناعية البشرية الكبرى •

وتختلف الانثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع كذلك فى ان الانثروبولوجى الاجتماعى يدرس المجتمع ككل - اى يدرس كل نواحى الحياة الاجتماعية فيه ، وينظر اليه نظرة عامة شاملة ، اذ يدرس فيه البيئة العامة او الايكولوجيا ، ونظمة الاقتصادية والقانونية ، كما يدرس العائلة ونظم القرابة ، والدين ، والتكنولوجيا والفن ، والعادات ،والتقاليد وغير ذلك على انها اجزاء فى نسق اجتماعى عام هذا وان درس ظواهر معينة فانما يدرسها من وجهة نظر ارتباطها بالبناء الاجتماعى الكلى والثقافة الكلية •

أما علم الاجتماع فدراسته تكون متخصصة الى حد كبير ، فقد يقتصر على دراسة ظواهر محددة او مشكلات معينة فى المجتمعات المتحضرة الصناعية • كما انه قد يتعدى نطاق دراسة النظم التى يقوم بناء المجتمع ويدرس مشكلات اجتماعية قائمة بذاتها ، كمشكلات الاسرة والطلاق والجريمة والبطالة والجنون والاضطرابات العمالية ، والاضطرابات

النفسية والاجتماعية التى تصاحب الانتحـــار ، والبغاء ، والادمـان ، ومشكلات التنظيم الطبقى فى المجتمع ، والتنظيمات الطائفية ، والبواعث فى الصناعة ٠

كذلك يختلف المنهج فى كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتمـــاع فالانثروبولوجى يدرس المجتمعات دراسة مباشرة ، اى يعيش فيها لعـدة شهور او سنين ، ويعتمد على الملاحظة المباشرة او قد يستعين بالمخبرين الذين يزودونه بالمعلومات او التفسيرات التى يعجز عن ادراكها ٠ وعليه ان يلم بلغة المجتمع ، بينما يعتمد عالم الاجتماع فى الغالب على الوثائق والاحصائيات وعلى ملء استمارات البحث او الاستبيان ٠ وهكذا فان الاتجاه الكمى فى الدراسات السيسولوجية تعتبر احد الخصائص المميزة لهذه الدراسات ، بينما الاتجاه الكيفى يعتبر احد الخصائص المميزة فى البحوث والتحليلات الانثروبولوجية ٠

كما تختلف الانثروبولوجيا عن علم الاجتماع ، فى ان علماء الاجتماع خاصة الفرنسيون يهتمون بالدراسة النظرية التى تصطبغ بصيغة فلسفية بينما يفضل علماء الانثروبولوجيا مواجهة الوقائع الملموسة عن طريق الملاحظة المباشرة ، والمشاركة الفعلية فى الانشطة الاجتماعية المختلفة التى يمارسها اعضاء المجتمعات موضوع الدراسة من خلال الدراســة الحقلية ٠

كذلك تختلف الانثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع فى أن مؤلفات علم الانثروبولوجيا ـ كما يقول روبرت فيليد ـ لا تشتمل على قضايا عامة وافية قابلة للتطبيق على كل حالة ضمن فئات محددة تحديدا دقيقا ، أما علم الاجتماع فانه يستهدف الحصول على قوانين ونظريات عامة تخضع لها الوقائع الاجتماعية ٠

ومع ذلك فالاعتماد متبادل بين العلمين ، اذ يقدم علماء الانثروبولوجيا مشاهداتهم وملاحظاتهم لعلماء الاجتماع الذين يفيدون منها فى صياغة

نظرياتهم ، والتى تخضع للاختبـار مرة اخـرى عن طريق البحـوث الانثروبولوجية ٠

عـلم النفس :

هو أحد فروع العلم الاجتماعى ، ويبحث فى مجـال دراسة سلوك الانسان، ودوافع الفرد الداخلية ، وانفعالاته وميوله الفردية ، وتفكيره واحساسه وأدراكه وذكائه ، أى دراسة العقل والشخصية الفردية ، فمثلا يبين علم النفس ان الحرمان Frustration يتسبب عنه اما الكبت depression الذي يؤدى الى عقدة نفسية Imperiority Complex أو امراض عصبية او عقليـة mental diseases ، واما ان يتصف الفرد بصفة العدوان agression التى تظهر فى مناقشاته مع الغير ، وقد يكون التعويض replacement نتيجة للحرمان ، وهنا يقنع الفرد المحروم ويستبدل بما حرم منه شيئا اخـر ٠

وعلى ذلك يختلف علم النفس عن علم الانثروبولوجيا ، فعـلم النفس يقصر دراسته على الفرد بينما تركز الانثروبولوجيا اهتمامها على المجموعة ، وعلى كل فرد كعضو فى تلك المجموعة ٠

ومع ذلك هناك صلة وثيقة بين علم النفس والانثروبولوجيا ٠ فقد صدرت بعض الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعى Social Psychology, واكتشف علماء النفس ان الانسان لا يعيش الا فى وسط بيئة اجتماعية يؤثر ويتأثر بها ، واهتم الكثير منهم بموضوع تفاعل الفرد مع بيئته، او التفاعل بين شخصين او اكثر ، وكذلك دراسـة العلاقـات بين الجماعات ٠ وتنصب الدراسة فى علم النفس الاجتماعى على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمع والذوق العام والقيادة والزعامة وتأثيرها على المجتمعات ، وكذلك دراسة الاتجاهات ٠

كذلك صدرت بعض الدراسات المتعلقة بالانثروبولوجيا السيكلوجية

Psychological Anthropology تلــك التى تدرس المظـــاهر السيكولوجية العامة لبنى البشر حين يعيشون فى « مصنع » أو فى « طبقة » او فى « جماعة » ، حيث ان الطبيعة الانسانية هى من صميم علم النفس العام ، كما انها عامل حتمى فى تكوين النظم الاجتماعيـــة الانسانية ٠

فقد يستخدم الباحث اثناء دراسته بعض الاختبارات السيكلوجية كأداة معملية ٠ وذلك كان يجرى اختبار ذكاء على الافـــراد البدائيين ونفسياتهم لمعرفة علاقة الذكاء بالوراثة ، او الاكتساب ، وعلاقة الامراض النفسية بظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية ، مثل بحوث الدكتور / مصطفى فهمى عـن طبيعـــة الذكاء عند الاطفـــال فى قبائل الشـيلوك فى اعالى النيل (جنوب السوادن) ٠

ونذكر من تلك الاختبارات :

١ ـ اختبار الروشاخ :

وهو يكون من عشر لوحات رسم على منها صورة مبكرة كنقطة حبر تقذف بها على ورقة ، فاتخذت شكلا غير منتظم ٠ وتعرض الواحدة تلو الاخرى على من يراد فحصه ، ويطلب منه ان يذكر ما يراه ، ويصف ما يتصوره ، ويطلق تعليقا حرا على كل شكل عندما ينظر اليه ٠ وعلى اساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل الى تحديد بعض الخصائص الشخصية ٠ وهذه الاداة يستخدمها بكثرة الانثروبولوجيون الحضاريون فى تحديد العلاقة بين الشخصية والحضارة فى مجتمع ما ٠

٢ ـ اختبار تفهم الموضوع T. A. T. :

ويتكون من عشرين صورة بعضها للذكور وبعضها للاناث وبعضها للاطفال تمثل مواقف مثيرة يحتوى كل منها على شخص من جنسه ٠ ثم يطلب من المفحوص ان يروى لنا قصة توحى بها الصورة ،وتتحدث

عن احوال من فيها من الاشخاص ٠٠٠ هنا يسقط المفحوص مشاعره ويعبر عن ارادته (١) ٠

هذا واذا كان علم النفس يهتم بدراسة الشخصية ، فان الانثروبولوجيا الثقافية تركز دراستها على العلاقة بين الثقافة والشخصية ، ويؤدى فهم المتغيرات السيكلوجية الى فهم « المتغيرات السسيوثقافية »٠ وقد اخذ الاهتمام بهذا الفرع يتزايد بعد تركيز الانثروبولوجيين على دراسة عمليات التغير الثقافى فى المجتمعات البدائيــة والنامية ٠ ولاحظ الانثروبولوجيون ان الفهم الدقيق لظاهرة « التكامل الثقافى » ،والعمليات « التغير الثقافى » يتطلب الرجوع الى حقائق علم النفس ٠

ولقد كانت هناك نظرة قديمة يقول بها الفلاسفة حيث قالوا بمبدأ « الوحدة النفسية للجنس البشرى Psychic Unity of Mankind بمعنى أن الانسان ذو عقل واحدة ونفس واحدة

ولكن تحطم مبدأ الوحدة النفسية للجنس البشرى ، حيث تتمايز الانساق السيكلوجية الثقافية ، فتدرس الانثروبولوجيا السيكولوجية الخصائص العقلية والسيكولوجية السائدة فى مختلف الانماط الثقافية٠ وعلى سبيل المثال لا الحصـر ، حينمـا يدرس عـلم الانثروبولوجيا السيكلوجية مجموع الخصائص لسيكلوجية الفرنسيين او الالمـان ، انما يعالج تلك الصفات الخاصة « بالعقل الفرنسى » أو « الروح الالمانى » كما يتجلى فى سلوكه وانماط افعاله (٢)

وقد قام بعض العلماء باجراء تجارب لمعرفة مدى التأثير الذى يحدث بين الثقافات نتيجه الاحتكاكات والتفاعل بين المجتمعات البشرية التى تنتقل من بيئات اجتماعية حضارية الى بيئات اخرى ، مثل أبنـــاء

---

(١) د٠ فاروق مصطفى اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا الثقافية ص ٧٩ ٠
(٢) انظر : قبارى محمد سماعيل اسس علم الانسان ـ الانثروبولوجيا ص ص ٣٧ ـ ٣٨ ٠

القبائل الذين يهاجرون الى عاصمة للتجارة او العمل ويستمرون فيها وتستغل هذه النتائج فى النواحى العملية • وقد قام بعض العلماء الامريكيين بتجارب للمقارنة بين ذكاء الاطفال الزنوج والبيض واستغلوا ذلك فى التفرقة العنصرية • وقد دلت تجارب قام بها العالم الامريكى جارت على ان الفروق فى الذكاء انما ترجع الى البيئة التربوية اكثر مما ترجع الى الوراثة • وعن طريق هذه التجـــارب التى اقتبست من علم النفس قام عماء الانثروبولوجيا بمحاولة تحديد الفروق الوراثية بين السلالات ، ومعرفة ما يرجع منها الى البيئة الاجتماعية (١) •

ويمكن القول ان البدايات الاولى للانثروبولوجيا السيكولوجية تمتد الى المعالجة التى أتى بها المفكر الفرنسى ليفى بريل Levey Bruhl وتحليله للعقلية البدائية عن طريق التطور والنمو السيكولوجى للانسان ، وهى العقلية التى تميزت بخصائصها وسماتها الفكرية السابقة عـــن المنطق Pre - Logic (٢) •

الجغرافيـــا :

يبحث عالم الجغرافيا فى المناطق المختلفة من زاوية الظروف الطبيعية والمناخ • وجذور الحتمية الجغرافية ضاربة فى القدم ، فنجد فى كتابات هيبوقراط وأرسطو ، وفى معرض حديثهما عن اسباب التمايز والتنوع فى انماط السلوك البشرية وطبيعة المجتمعات الانسانية ــ للبدايات الاولى لتفسير ذلك التنوع والتمايز فى الانماط الجمعية المختلفة بالظروف الطبيعية التى تؤثر على الخصائص الفيزيقيـــة للناس • ويذهب الفيلسوف الفرنسى فيكتور كوزان (٣) الى حد القول بأننا نحصل على خريطة لبلد

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم • المرجع السابق ص ص ٥٤ ــ ٥٥ •
(٢) د• محمد عباس ابراهيم المرجع السابق ص ٣٢٩ •
(٣) د• محمد عبده محجوب • مقدمه فى الانثروبولوجيا ــ المجالات النظرية والتطبيقية ص ص ١٢٩ ــ ١٣٢ •

معين تحدد تضاريسه ومناخه ومياهه ورياحه وكل جغرافيته ، ومنتجاته الطبيعية وانواع النبات والحيوان الذى يوجد فيه ، فاننا نستطيع ان نحدد بصفة اولية كيف يكون المكان او كيف يكون الانسان الذى يعيش فى هذا البلد ، وما هو الدور الذى سوف يلعبه فى التـــاريخ بالضرورة وليس عن طريق الصدفة ··· وذلك ليس فى حقبة زمنيـــة معينة ، ولكننا نستطيع ان نحدد ذلك ايضا عبر الاستمرار التاريخى لذلك البلد ·

ويعرض بيرسنت للعوامل الجغرافية الاربعة التى تؤثر فى الحياة وفى المصادر الطبيعية فى المجتمع ، فليس من شك فى ان لحركة الارض ـ وما ينتج عنها من تعاقب الليل والنهار والفصول الاربعة ـ من أهمية فى تحديد انماط السلوك التى تصدر عن الانسان · وكذلك فان مصادر المياه فى الاراضى الخصبة وحول المصادر الطبيعية للمياه تحدد كل منها مدى الجماعة التى تعيش معها ، كما تحدد طبيعة الانتاج · كما ان للمناخ تأثير فى مزاج الناس واخلاقهم ، وبالتالى فى القيم المثاليـة والسمات العامة للسوك ـ واخيرا فان مدى وجود مصادر الثروة الطبيعية يحدد القدرة الانتاجية للجماعة التى تعيش فيها ·

ويهتم الانثروبولوجى اهتماما كبيرا بموضوعات البيئة الطبيعية وطبيعة الارض ، والموقع الجغرافى ، المناخ ، والبحار ، والانهار والحيوانات والنباتات فى المنطقة موضوع الدراسة · فهى تلعب دورا هاما فى الحياة الاقتصادية ، والامداد بالطعام ، والملابس ، وتحديد اماكن الاقامة . وتعيين المهن التى يعمل بها السكان · كذلك تؤثر فى العلاقات الاجتماعية فندرة الامطار او قلتها تؤثر على المحاصيل الزراعية بل وقد تؤدى الى المجاعة التى تعمل بدورها على ان يتشتت الناس ويتبعثروا هنا وهناك ، ومن ثم تتكون علاقات اجتماعية جديدة · ومن ثم تركز الدراسات الانثروبولوجية على العلاقة بين المجتمعات المحلية الانسانية والبيئية ، وهى ما يطلق عليها الايكولوجيا الانسانية · فالصحارى اوجدت البدو

الذين يعتمدون كل الاعتماد على الجمال · كذلك فان الافريقيين النيليين فى جنوب السودان يرعون حيواناتهم بالقرب من الانهار الرئيسية فى فصل الجفاف ، حيث تفتقر المناطق الداخلية الى المياه والحشائش كما تقع الحروب بين القبائل بسبب الحصول على المياه من الانهار والابار ·

ويمكن للباحث الانثروبولوجى ان يستقرىء شواهد كثيرة تدل على ان البيئة الطبيعية تحكم بالممكن وليس بالواقع حقيقة المجتمع · فقد توجد نفس الانماط المجتمعية فى الظروف المناخية المتنوعة ، كما قد توجد أنماط مجتمعية فى نفس الظروف المناخية الواحدة ·

التاريـــــخ :

ليس من السهل تحديد معنى كلمه « تاريخ » او « تأريخ » او « توريخ » فى قواميس اللغة العربية ، وكتب المؤرخين القدامى فهى كلمة معربة عن الفارسية او السريانية ، او حتى فى اصلها فى اللغـة العربية الجنوبية لتدل على معان متعددة ، منها : تعريف الوقت ، او ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل ، وكيفما كان فان كلمة تاريخ تدل بصفة عامـــة على العلم الذى يسعى الى انقاذ الحقائق الماضية منالنسيان(١) فهو يسعى الى دراسة التطور الماضى للمجتمعات الانسانية ، وترابط الاحداث التاريخية ، والدوافع التى أدت الى حدوثها · وهو يمثل تجارب الماضى خاصة خلال المرحلة التى كانت فيها السجلات المكتوبة متيسرة ·

والتاريخ بذلك ليس احد العلوم التجريبية ، لمـا يوجد من فروق واضحة تفصل بينها ، ذلك ان التاريخ بمعناه الخاص لا يدرس سـوى أفعال الناس وتجاربهم فى الماضى وما يترتب عليها من اثار نفسيـــة وحضارية ومادية · ومن ثم فهو ليس بعلم تجربة واختبار ، ولكنه علم

---

(١) د· عبد المنعم ماجد · مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى – تعريف بمصادر التاريخ الاسلامى ومنها جه الحديث ص ١٢ ·

نقد وتحقيق ، يستند الى الوثائق التى يفحصها المؤرخ فحصا نقديا ويحكم عليها حكما احتماليا ٠

ويميز المؤرخ بين الحسن والقبيح ، وبحكم على الاحداث باعتبارها وقائع حسنة ام سيئة مما يسمح بالاتجاه الذاتى والتعبير عنالموضوعات من وجهة نظر المؤرخ الشخصية ٠ ويتعارض ذلك مع الموضوعية التى تعنى اتفاق كل الناس على موضوع ما ٠

وقد اثار ذلك السؤال الذى مؤداه « هل التاريخ علم أم فن » ـ العلماء ، حيث يرى البعض ان التاريخ ليس جدير بأن يسمى علما . حيث يرى البعض ان التاريخ ليس جديرا بأن يسمى علما ، ويؤسسون رأيهم على ان المؤرخ لا يلاحظ الظواهر التى يدرسها بطريقة مباشرة ، وانما يعتمد على الطريقة التقليدية التى تتلخص فى السماع من الاخرين والنقل عنهم ، او الاخذ عن بعض الوثائق التى كتبها اشخاص شاهدوا هذه الظواهر او سمعوا عنها ، او قراءة الاساطير والقصص التى تنقل سمعا ، او مشاهده القبور ،والكتابات المحفورة والادعية ، وأدوات النفع والزينة ، والمحفوظات والاثار والمبانى مما يؤدى الى نتائج خاطئة ومن البديهى انه يجب الحذر من مثل هذه الطريقة والشك فى كل ما تؤدى اليه من نتائج ، اذ كثيرا ما يشوه الناس الحقائق عندما ينقلونها ٠

اما العلوم التجريبية فانها تدرس عادة الظواهر الراهنة ، وتحاول ان تكتشف القوانين العامة ، اى العلاقات الثابتة بين الاشياء ٠ وهى تتسم بالتعميم بصرف النظر عن اختلاف الزمان والمكان ، وهى تعتمد على الملاحظة والتجربة ، ويمكن تحديد صيغ القوانين او العلاقات فيها تحديدا يكاد يكون رياضيا ٠

ومع ذلك فهناك اوجه شبه بين طريقـــة البحث فى التاريخ وفى العلوم التجريبية ، وأصبح المؤرخ اليوم لا يكتفى بوصف الحـــوادث الفردية وتتابعها فقط ، بل يحاول الكشف ايضا عن العناصر الجوهرية فى

النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك ، بهدف الوقوف على اسباب الظواهر دون اهمال تأثير العوامل الفردية ، وكذلك الكشف عن العلاقة السببية بين الحوادث الماضية · ومضى الزمن الذى كان المؤرخ فيه يعتمد على الطريقة التقليدية وهى طريقة سماع الاخبار ونقلها · وصار المؤرخ المحقق لا يعتبر خبرا مقبولا الا اذا نقده وفحصه وقارن بين مختلف رواياته ، لانه يريد الوصول الى حقيقة تاريخية مجردة من كل طابع شخصى ، والتجأ المؤرخون الى وضع الفروض والقيـــاس الكمى كما استخدموا طريقة استقرائية يغلب عليها طابع التحليل والتركيب العقليين ·

كما يمر المؤرخ بمرحلتين اساسيتين همـا التحليل والتركيب ، وتتكون المرحلة الاولى من عدة خطوات تدريجية تبدأ بجمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصية اصحابها ، وتنتهى الى تحديد الحقائق التاريخية الجزئية · ثم تبدأ المرحلة الثانية ، فيأخـذ المؤرخ فى تصـنيف هذه الحقائق الجزئية ، وتحديد شروط الاستدلال التركيبى ، وتحديد بعض الصيغ العامة ، والوصول الى القوانين التى تحكم تاريخ البشرية ·

وهكذا تبنى العلماء فكرة التاريخ العلمى ، او القول بأن التاريخ شأنه شأن اى علم اخر ، بعد ان اقترب من العلوم الاستقرائية ، وأضحى المؤرخ يكابد من اجل الحصول على الحقيقة التاريخية ، فقد ارتقت علوم كعلم قراءة الكتابات القديمة ، وعلم المسكوكات القديمة ، وعـــلم البناءات اللغوية ، وعلم تنظيم المراجع ، ارتقت هذه العلوم حتى بلغت من التطور حدا بعيدا ، باعتبارها تقنيات تساعد على أداء التاريخ لمهمته ·

وقد ظهرت كتابات كثيرة تفحص العلاقة بين التاريخ والانثروبولوجيا حيث يشترك العلمان فى كثير من النقاط ، كما يلتقيان فى اكثر مـن موقع سواء من حيث المنهج او من حيث الهدف ان عملية تجميع الحقائق التى يقوم بها الانثروبولوجى تشبه عمل المؤرخ وقد اثار ذلك عددا من التساؤلات مثل : ماهى الانثروبولوجيا ان لم تكن تاريخا ؟ ان التاريخ

يشير الى أشياء مختلفة ، فهو يعنى كل ما يستطيع الانثروبولوجى ان يكشفه عن ماضى الشعوب التى يدرسها ، وكذلك كل ما يتعلمه من كتابات المؤرخين الذين عاصروا تلك الاحداث حول النظم الاجتماعية • فالانثروبولوجى يهتم بوصف الاحداث والتعرف على الاسباب والعوامل التاريخية التى أسهمت فى نشأة الظاهرة الحضارية وتكوينها • وهو بذلك انما يستخدم مناهج البحوث التاريخية فى المجتمعات التى يدرسها والتى ليس لديها سجلات مكتوبة • وعلى ذلك فان مناهج الانثروبولوجيا والتاريخ تكاد تكون متكاملة •

وقد كتب ميتلند F. W. Maitland (١) عام ١٨٩٩ يقول :

يجب على الانثروبولوجيا ان تختار بين ان تكون تاريخا ، أو لا تصبح شيئا على الاطلاق • وكان ميتلند من المهتمين بالمراحل التتابعية التى يمر بها المجتمع البشرى • وقد كرر ميشيل او كيشوت Michael Oakeshott هذا القول•

وينظر ليفى ستروس Levi - Strauss الى التاريخ والانثروبولوجيا على أنهما يشتركان فى أصل واحد ، فهو يذهب مع المؤرخين الى ان معرفة الماضى يعتبر ضرورية لفهم أية ظاهرة اجتماعية ، كما انه يقرر مع الانثروبولوجيين بأن تتبع تاريخ المجتمع يمكننا من تحديد ما هو دائم فى البناء الاجتماعى ، اى يجعلنا نتعرف على تلك العناصر التى يكتب لها الاستمرار والبقاء بغض النظر عن التغيرات الراجعة الى أحداث مثل الحروب ، او الهجرات ، ومعنى ذلك بعبارة أخرى ان ليفى ستروس يعترف بضرورة التعاون بين المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا ذلك ان التوصل الى تعميمات يحتاج منا الى فحص عديد من الصور

---

(١) انظر د• محمد على محمد • علم الاجتماع والمنهج العلمى ص ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ •

والاشكال الاجتماعية فى أمكنة وأزمنة مختلفة ، حتى نستطيع ان نكشف المبادىء الاساسية للبناء الاجتماعى ·

ومع ذلك تختلف: الانثروبولوجيا الاجتماعية عن التاريخ ـ لا من حيث الهدف او المنهج ، وانما من حيث التأكيدات التكنيكية وقد حدد الاستاذ نادل S. E. Nadel (١) هذا الاختلاف فى عبارة يقول فيها (حين ننظر الى العلاقة بين الانثروبولوجيا والتاريخ ، فاننا نرى ان العالم الانثروبولوجى الاجتماعى ليس مؤرخا ، فالمؤرخون يدرسون الاحداث والوقائع التى مضت وانقضت ، ولكن الانثروبولوجى انما يدرس ويصنف ما يوجد (هنا والان Here and Now) · أما التاريخ او المؤرخ فلا دخل له بالحاضر وانما يدرس الاحداث والظاهرات السابقة ·

كذلك فان أهداف الانثروبولوجيا تكون اكثر وضوحا من اهداف التاريخ خاصة فيما يتعلق بالمقارنة والتعميم ·

علم الاثار :

علم حديث نسبيا يدرس مجتمعات وثقافات ما قبل التاريخ Prehistoric human culture ويعرفه توماس دافيد Thomas David فى كتاب له بعنوان « التنبؤ بالماضى Predicting the past ان «الاركيولوجيا هى دراسة الماضى او دراسة الانسان فى عهوده القديمة ، وهى تركز على الجانب المادى من ثقافة الانسان » · ويرى P. Hammond فى كتاب له بعنوان « مقدمة فى الانثروبولوجيا الثقافية ان «الاركيولوجيا تهدف الى اعادة البناء التاريخى القائم على الادلة المادية لنمو ثقافة الانسان خلال الزمن ، وان عمل الاركيولوجى يمدنا برؤية مساوية نسبيا لاهتمامات الانثروبولوجى الاجتماعى او الثقافى لانه يبحث عن سؤال أساسى الا وهو كيف تنمو الثقافات وتتغير عبر الزمن » ·

---

(١) د· قبارى محمد اسماعيل · راد كليف براون ـ مؤسس الانثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة نظريا وحقليا ص ٩٥ ·

(٢) د· فاروق مصطفى اسماعيل · الانثروبولوجيا الثقافية ص ٢٩

ويتناول علم الاثار اقدم المجتمعات الانسانية منذ ظهور الانسان العـاقل Homo Sapiens ، ويتابع التغير الثقافى والحضارى على مـــر العصور ، وتطور اساليب الحياة لهذه الشعوب القديمة ،وذلك بالاستناد الى الاكتشافات واعمال الحفريات والمخلفات والبقايا التى تركها الانسان الاول فيما قبل التاريخ ، حيث لا توجد خلال تلك العصور سجلات ووثائق مكتوبة • وهو بذلك يساعد على اعادة بناء التاريخ الماضى ـ الاجتماعى والثقافى للانسان ، ويوضح سيطرة الانسان على الطبيعة ، وتكيفه ، ومجهوداته ، ونضاله وصراعه مع البيئة ، وصراع الانسان مع الانسان والنمو البطىء للثقافات عبر الزمن •

وتتمثل المخلفات والبقايا فى بعض الادوات الحجرية والاسلحـــة التى صنعها ذلك الانسان واستخداماتها ، والاوانى وغيرها من الادوات المدفونة فى باطن الارض سواء مع صاحبها الذى كان يستخدمها او فى اكوام مكدسة فى مكان انتاجها • كذلك قد يعثر عالم الاثار على بعض الرسوم ، والنقوش الحجرية ، والاشكال المصنوعة من الطين المحروق (الفخار) ، والادوات الحديدية القديمة ، وعظام الحيوانات ، وعلى انواع واعداد لا حصر لهـا من المواد الاخرى المصنوعة من خامات استطاعت أن تقاوم الزمن • كما قد يعثر على أطلال المبانى والمعابد والبيوت واسوار المدن القديمة •

ويحاول الاركيولوجيون أن يربطـوا بين هذه البقايا والمخلفـات بسلوكيات الانسان الذى تركها خلفه • ولذلك فهم يقومون بمســح الارض ، والحفر ، ويؤرخون ، ويصنفون ، ويفسرون • فهم يفسرون لماذا نوع من الفخار حل محله نوع اخر ، ويضعون هذه الانواع فى تتابع زمنى (١) •

---

(١) Charles A. waitz, p. cit. p.p. 7 — 8:

ولا يسعنا عندما نجد فى كهوف ما قبل التاريخ اشكال حيوانات محفورة كما فى كهف الاخوة الثلاث ، او منحوتة كما فى كهف مونتسيان، أو مثقوبة بضربات الحراب والسهام الا ان نقرب هذه الظواهر من طقوس توجيه الطعنات للعدو فى صورته او تمثاله التى لا يزال يزاولها عدد من قبائل المتوحشين الحاليين ٠

ويسهم علم الاثار مساهمة فعالة فى اثراء معرفتنا بتاريخ الثقافات وتطورها ٠ فهو يزودنا بحقائق تدور حول اسئلة مؤداها : اين ومتى اكتسب الانسان الثقافة ؟ وما هى ثقافات الشعوب الامية ؟ وما هى الاساليب التى تنتقل بها عناصر ثقافة من مجتمع الى اخر ؟ وكيف تطورت تكنولوجيا الزراعة ؟ وما هى البدايات الاولى لاستخدام البرونز والحديد وتصنيعه فى شكل الات وأسلحة ؟ ٠

وقد أمدنا علم الاثار بحقائق تساعد على ادراك العوامل المعقدة والمتعددة التى تؤدى الى التغير الثقافى ، وان التطور الثقافى لم يقع بنفس السرعة فى جميع مجتمعات العالم ٠ فالتغير الذى حدث فى المجتمعات الاوربية كان اكثر سرعة من التغير الذى وقع فى مجتمعات الشرق الاوسط أو اسيا، وتلك الاخيرة كانت اسرع من التغيرات التى حدثت بين سكان استراليا الاصليين ، وهنود امريكا الشمالية ، او الشعوب الافريقية الواقعة جنوب الصحراء (١) ٠

ويستعين عالم اثار ما قبل التاريخ بعلوم اخرى لدراسة البقايا المادية للهياكل والعظام ، فهو يستعين بعلم التشريح والبيولوجيا ٠ وعن طريق الاستعانة بالجيولوجى Geology يستطيع العالم الاثرى ان يحدد العصر الجيولوجى لاثاره وحفرياته ٠ كما يحتاج عالم الاثار الى معرفة واعية بالكيمياء والطبيعيات والمساحة والمهارات الدقيقة ٠

---

(١) See Raleh L' Beals & Harry Hoijer, op. cit. p.p. 9—10.
وانظر رالف ل٠ بيلز وهاوى هو يجر ٠ الانثروبولوجيا العامة ص ص ٢٣ — ٢٤ ٠

ويبدأ الانثولوجى عمله من حيث ينتهى الاركيولوجى ،فالاثنولوجى يبحث ويصفويفسر الثقافات المتنوعة التىاكتشفعلمالاثار بقاياها ، مثلالخلفات والبقايا التى اكتشفت فى صحارى وغابات افريقيا ، وفى جزر شمال الباسفيك ، ومدن اوربا ، واسيا ، وامريكا (١) ٠

هذا ويوجد اختلاف جوهرى بين علم الاثار وعلم التاريخ ، فبينما يدرس علماء التاريخ الفترات المسجلة للكتابة للمدنيات الكبرى فى الشرق الاوسط واوربا والشرق الاقصى ، يهتم علماء الاثار بالفترات والمراحل الطويلة التى قضاها الانسان قبل اكتشافه القراءة والكتابة (٢) ٠

وهكذا نجد ترابطا واوجه شبه واختلاف بين علم اثار ما قبل التاريخ والانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ٠ فاذا كان علم اثار ما قبل التاريخ يدرس ثقافات انسان ما قبل التاريخ ، اى الثقافات التى مضت وانقضت ، فان الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية انما تدرس الثقافات الحالية او المجتمعات البدائية والمعاصرة Contemporary Primitive Culture - اى القائمة « هنا والان » ٠

علـــم الاقتصـــاد :

يهتم علم الاقتصاد بالحياة المادية للمجتمع ووسائل تنمية ثرواته ، وما يتصل بها من نمو وسائل التكنولوجيا الحديثة ، وانتاج هذه الثروات وتداولها وتوزيعها واستهلاكها ٠ كما يهتم بالعوامل او العناصر التى تنتج السلع والخدمات ، وهما الارض ، والموارد الطبيعيـة ، والقيـم الثقافية ، والمعرفة الفنية ، وكذلك العمل الذى يتمثل فى مهارات الافراد ودوافعهم ، ورأس المال ، والموارد المتاحة للانتاج ، والتنظيم ، وتوزيع الدخول بين الافراد والجماعات نتيجة للعمل الاقتصادى ٠ كما يهتم علم

---

(١) Ralph L, Beals &Harry Hoijer, op. cit. p: 10

(٢) د٠ عاطف وصفى - الانثروبولوجيا الثقافية ص ص ٣١ - ٣٢ ٠

الاقتصاد اهتماما بالغا بالنقود والاسعار ، حيث لا يوجد مجتمع يخلو من تبادل السلع من أجل الحصول على النقود ٠

وقد تعددت تعريفات العلماء لعلم الاقتصاد ، عرفه البعض بأنه علم الاختيار Choice ،ومثل هذا التعريف متسع كل الاتساع حيث ان الاختيار يمتد ليشمل كل مظاهر الحياة ، وليس مظاهر الحياة الاقتصادية فقط ٠ وفى الحقيقة فان علم الاقتصاد يهتم بادارة الناس لمصادرهم ، وتنافسهم من أجل الحصول على السلع النادرة ٠

وعرف ادم سميث الاقتصاد بانه علم الثروة واسبابها وميدانه يقتصر على دراسة طبيعية ثروة الامم واسبابها ومظاهرها الخارجية ٠ وعرفه جون سيتوارت مل John stewart Mill بأنه العلم الذى يبحث بالطرق العلمية فى انتاج الثروة وتوزيعها ٠ وعرفه بيرو Biru بأنه العلم الذى يبحث فى مبادلة الاشياء بين الافراد والذى بمقتضاء يتنازل فرد عما فى حوزته لفرد اخر مقابل حصوله على ما فى حوزه الاخر من سلعة اخرى ٠ ويقصر هذا التعريف عن توضيح كافة المسائل التى يتناولها علم الاقتصاد ، الا انه اوجد صلة بين انتاج الثروات المادية ومبدأ رغبة الانسان فى اشباع حاجته منها عن طريق التبادل ٠

وعرفه روبنز Robbin بأنه العلم الذى يدرس سلوك انسان كحلقة اتصال بين الغايات والاهداف والمارب وبين الاشياء النادرة ذات الاستعمالات الحديثة ٠ ويشير تعريف روبنز الى مشكلة الندرة حين يربط بين قلة الموارد وندرتها مقارنة بالحاجات المتعددة التى يطلبها الانسان (١) ٠

وعرف رايموند فيرث Raymond firth (٢) العالم الشهير فى

---

(١) انظر د٠ عبد الله غانم ـ النظرية فى علم الانسان الاقتصادى ـ دراسة للاتجاهات النظرية فى الانثروبولوجيا الاقتصادية ص ص ١٠٦ ـ ١٠٩ ٠

(٢) Lucy Mair, op. cit., p. 144.

اقتصاديات المجتمعات الصغيرة بأن علم الاقتصاد هو العلم الذى يهتم بالمصادر وتحديدها واستخداماتها ، والتنظيم ، وعلاقة ذلك باحتياجات الانســــان ٠

وترمى الدراسات الاقتصادية بصفة عامة الى معـالجة العلاقات القائمة بين النشاط الانسانى والجانب المادى من الحياة الاجتماعية ، ودعامة هذه الدراسات هو اعتبار الانسان كائن حى له نشاط او مجهود ايجابى فى استهلاك وتوزيع وتناول الاشياء التى تسد حاجاته ٠

والنشاط الاقتصادى هو احد مظاهر التنظيم الاجتماعى الذى لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات ، مما يعتبر معه نشاطا اجتماعيا بطبيعته لان الانسان يحتاج فى عمله الى الات متنوعة لا يمكنه ان ينتجها بنفسه حتى فى المراحل الاولى فى المجتمعات الانسانية كحالة جمع الثمار ،لان هذه الثمار كانت منحة من الطبيعة ،وكذلك الشأن اذا كان مستهلكا لان الفرد يستهلك أشياء من انتاج غيره ، والانسان فى المجتمعات المعاصرة لا ينتج ما يستهلكه ٠ ولا يستهلك كل ما ينتجه ، وانما يستبدل عملا ومجهودا بعمل اخرين، فتنشأ بذلك علاقات متعددة تنظمها قواعد وقوانين ونظم تشرف على تنفيذها وحمايتها السلطة المركزية فى الدولة ٠ ولذلك تختلف المجتمعات البشرية فى نظمها الاقتصادية والتشريعية والسياسية ، بل تختلف هذه النظم فى المجتمع الواحد باختلاف العصور وفقا للتطور الاجتماعى العام الذى يطرأ على المجتمع ٠

وقد اكدت الدراسات الترابط القوى بين النظم الاقتصادية وباقى النظم الاجتماعية فى المجتمعات البدائية ٠ وعلى ذلك ظهرت الانثروبولوجيا الاقتصادية وهى فرع من فروع الانثروبولوجيا العامة ذات تاريخ طويل ومع ذلك فالمصطلح ذاته جديد نسبيا ويختص هذا الفرع بدراسة النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية والزراعية ٠

وتتمثل بؤرة اهتمام الانثروبولوجيا الاقتصادية فى الدراسة المقارنة

للانساق الاقتصادية ، والتى تتدرج من تلك المجتمعات المحلية المنعزلة والبدائية تكنولوجيا الى تلك المجتمعات القروية المتاثرة بالتصنيع . ويغطى هذا المجال : مفهوم الندرة والمرونة ، ودراسة امتلاك الاراضى ، واسلوب تنظيم الانتاج ، وتحرك قوى العمل وتقسيم العمل ، والحراك المهنى ، ودراسة المشروعات التجارية ، ومجال دورة التبادل ، ونظم السوق واشكال النقود ، والعرض والطلب ، والرصيد ، ومستويات الاستهلاك ، ومستويات المعيشة ، وتوزيع الثروة وعلاقتها بالمكانة الاجتماعية فى المجتمعات البدائية والريفية .

فقد اهتمت كثير من الاسهامات البريطانية فى الانثروبولوجيا الاقتصادية باقتصاديات الزراعة ، وتأثير استصلاح الارض ، ونمو المزارع ، وتزايد الاهتمام بالمحاصيل النقدية ، وهجرة العمال ، والعلاقة بين تلك الارض ومختلف مظاهر البناء الاجتماعى ، كما اجريت دراسات عن أنماط الانتاج فى مجتمعات الصيد والرعى والجمع (١) .

ورأى بعض الانثروبولوجيين امكانية تحويل كل المبادلات السسيواقتصادية (بوتلاش ، كولا ، مهر العروس) لتصبح موضعا لتحليلات اقتصادية . فها هو هو مانز وبوسبيسيل حولا البوتلاش الى نوع من الاستثمار يدر فائدة ١٠٠٪ فى دراستين منفصلتين . ومهر العروس bride wealth درس على انه ثمن يدفع مقابل الخدمات الجنسية والمنزلية (جراى ١٩٦٠) ، كما حولت النقود الصدفية فى جزيرة روسيل الى مدفوعات نقدية مقابل مشتريات السوق على ما فعل (ارمسترنج) (١).

ويعتبر المدخل الاقتصادى مدخلا ممتازا لدراسة البناء الانقسامى لنسق البدنات . وذلك لان العلاقات الاقتصادية التى تقوم بين الوحدات

---

(١) انظر د. غريب سيد احمد ود. السيد عبد العاطى . دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(١) د. عبد الله عبد الغنى غانم . المرجع السابق . ص ١٠٤ .

القرابية والاقليمية تلعب دورا هاما واضحا فى تحقيق وحده وتضـامن وتماسك هذه الوحدات الاجتماعية • وحيث تقوم علاقات التعاون المباشر فى المناشط اليومية للانتاج وبخاصة الوحدات الانتاجية النواة ، والتى تتمثل بصفة خاصة بين الاقارب الذين يقيمون فى وحدة سكنية واحدة . فان هؤلاء باعتبارهم يكونون وحده قرابية متمايزة تتحكم فى معاملاتهم الى حد كبير المصالح الشخصية القريبة والمباشرة ، ويتوقف على مدى اشباع حاجاتهم الاقتصادية تحديدهم لمدى تعاونهم وعمق تعاونهم مـع الوحدات الاخرى المماثلة (١) •

عـلم السياسـة :

هو فرع من العلوم الاجتماعية ، يعرف بأنه « علم الدولة » (٢) ، ويختص بدراسة ممارسة الدولة لسلطانها ، والتنظيم والحكومة وأسلوب حكمها ، واختصاص السلطات القائمة ، وعلاقة الحاكم بالمحكومين — أى علاقة الطبقة الحاكمة بأفراد المجتمع ، وحقوق وواجبات الافراد ، ومدى مراعاة السلام والنظام داخل المجتمع • ويميل علماء السياسة الى التركيز على دراسة النسق السياسى او العملية السياسية اكثر من الاهتمام بدراسة الدولة كنظام سياسى •

وهكذا يهتم علماء السياسة بالسلوك السياسى وسعى الجماعات والتنظيمات والنظم المميزة عن الدولة وراء السلطة وتنظيم ونشاطات الاحزاب السياسية وجماعات الضغط وطبيعة الرأى العام والدعاية • كما يشمل هذا العلم موضوعات مثل اصل وتطور الدولة ، وتفسير وتحليل ومقارنة النظم القائمة فى الوقت الحاضر ، وبناءات الحكومة والعمليات

---

(١) د• محمد عبده محجوب الانثروبولوجيا السياسية — مقدمة لدراسة النظم الساسية فى المجتمعات البدائية ص ١٨٢ •

(٢) Anderson Roddee & christol, Introduction to Political Science, p. 4.

السياسية ، وانساق القانون ، والعمليات والهيئات التى تشرع من خلالها القوانين • وتؤدى مثل هذه الدراسات الى الاهتمام بمواضيع الادارة والعلاقات الدولية •

ولا شك ان النسق السياسى يلعب دورا واضحا له رد فعله فى سائر الانساق الاجتماعية الاخرى ، كما وقد يقوم النسق السياسى بدور رئيسى يغير من صميم الحياة الاقتصادية وعليه ظهر فرع من فروع الانثروبولوجيا هو الانثروبولوجيا السياسية ، هو علم يهتم بأشكال ونظم الحكم سواء تركزت السلطة فى يد « رئيس » او « زعيم » أو تحت اشراف مجلس كبار السن ، او هيئة شيوخ القبيلة ، كما يهتم بمشكلات الادارة ومعرفة طبيعة القوانين والعادات عند الشعوب البدائية •

وقد اهتم لويس مورجان بموضوع التعريف بالسياسة حيث يقسم التطور السياسى للبشرية فى مرحلتين وجدت فيهما حكومات • فقد تأسست الحكومات فى المرحلة الاولى على الاشخاص والعلاقات الشخصية البحتة ، وهو ما يعنى فى الواقع بقول اخر تأسست على القرابة • ويطلق مورجان على هذا النظام القائم على العلاقات الشخصية مفهوم التنظيم الاجتماعى •

وقد حمل لويس مورجان لواء فكرة ان الملكية قد ظهرت فى وقت متأخر من تطور الانسان ، كما ظهرت فى نفس الوقت فكرة الحدود الاقليمية للحكومة • وقد اطلق مورجان مصطلح « التنظيم السياسى » فقط على الحكومات التى تقوم فيها السلطة على حدود اقليمية محددة ، وهو ما اطلق عليه « مصطلح الدولة » • وقد استند مورجان ومعاصروه الى اللغة اليونانية واللاتينية اللتين تحمل فيهما كلمة « شرطة » بصفة اصلية معنى « المدينة » •

وقد نمت دراسة الانساق السياسية فى السنوات الاخيرة الى حد بعيد بالرجوع الى افريقيا • ذلك لان القارة قد تميزت باحتوائها

على امثلة لدول او جماعات سياسية تتعدى حدود الوحدات الصغيرة التى تمثلها جماعات الصيادين وشعوب الجزر الصغيرة التى اجتذبت اهتمام علماء الانثروبولوجيا الاوائل (١) ٠

الادب :

يجدر بنا ان نتساءل ما هو الفرق بين ما يقوم مراسل صحفى اديب وانثروبولوجى ؟ ان هناك كثيرا من الصفات المشتركة بينهما منها الصعوبات التى تواجه كلا منهما لمقابلة من يرغبون مقابلاتهم ، ثم دقة كل منهما فى اختيار مصادر معلوماته ، ثم اهتمام كل منهما بتسجيل ما قال وما يعمل بكل دقة ٠ ومع ذلك فهناك فروق بينهما ينجم عن الاغراض التى يسعى كل منهما لتحقيقها ٠ فالمحرر الصحفى يجب ان تكن كتابته مسلية ، بينما يتحتم على الانثروبولوجى ان يسجل الملاحظات ما يفرح منها وما يزعج ٠ والكاتب الصحفى يتحتم عليه ان يتناول دائما ما يجذب جمهور القراء مسايرا وسائل معيشتهم ٠ بينما نجد مهمة الانثروبولوجى الاول تنحصر فى تسجيل للوقائع كما رواها من موضع دراسته ٠

ويرى بعض الانثروبولوجيين انه لا يوجد ارتباط بين الفولكلور والانثروبولوجيا ٠ وعلى ذلك فان هذين العلمين يشتركان فى كثير من الاهتمامات العامة ٠ وتدلل على ذلك ان كثيرا من المهتمين بالفوكلور كرسوا جهدهم لقراءة مؤلفات العديد من الانثروبولوجيين مثل تايلور ، وفريزر ، ولانج Lang.

وقد صاغ وليام جون الاثرى البريطانى كلمة فولكلور عام ١٨٤٦ ومع ذلك فان دراسة التقاليد والمعتقدات وعادات الناس سبقت هذا

---

(١) د٠ محمد عبده محجوب ٠ مقدمة فى الانثروبولوجيا ـ المجالات النظرية والتطبيقية ٠ ص ١٧٢ ـ ١٧٤ ٠

التاريخ • ففى المانيا الفت توماس كروكر Thomas Croker كتابا بعنوان fairy Legends and Traditions of the south of Ireland
نشر عام ١٨٢٥ • وقبل ذلك قام الاخـــوان جاكوب ولهلم جريمن Jacob and wilhelm Grimn بنشر مجلدين بعنوان Kinder - und Haus marchenn ، نشر المجلد الاول عام ١٨١٢ ، والثانى ١٨١٥ •

وقد اعتقد جريمن ان الاساطير هى شكل اساسى للفولكلور • وترتبط هذه الاساطير بالعقيدة والالهة ، وينظر البدائيون الى القصص الخرافية باعتبارها تعبر عن عناصر فوق طبيعة مشتقة من العقائد والمخاوف كذلك فان هذه القصص الخرافية ترتبط اصلا بعصور ما قبل الادب والثقافة(١)•

التربيـــــة :

التربيـــة Education اصطلاح مشتق من الفعل اللاتينى Educo وهو مكون من مقطعين E ، وتعنى out of ، و Duco وتعنى I lead أقود ، اى انها من الفعل استخرج • وبهذا فهى تعبر عن عملية استخراج الوعى او ايقاظ المقدرة العقلية الكامنة لدى الانسان والمفطورة فيه •

وهذا معنى تقليدى ان وافق التربويون المعاصرون على بعض المعارف التى تقدم للتلميذ ، فهو لا يصلح بالنسبة للمعارف الاخرى • صحيح ان هناك من المعلومات ما يمكن استنباطه من التلاميذ كقاعدة لغوية او نظرية هندسية من سياق عديد من الامثلة التمهيدية التى يقود بها المدرس او المدرسة تلاميذه الى القاعدة • بيد ان هناك من المعارف ما لا يمكن لاقدر المدرسين او التلاميذ استنباطها تلقائيا • كمكان وزمان موقعة تاريخية مثلا او تعريف فعل من الافعال لا يعرف عنه التلميذ شيئا • فالتربية بهذا المعنى انما تعبر عن عملية التعلم المدرس Learning in school وهو معنى ضيق اذا قورن بمعنى التربيـــة بمفهومها الانثروبولوجى الواســـع •

---

(١) F. W. Rogerson, op. cit. p.p. 66 — 67.

وترتبط الانثروبولوجيا بالتربية ارتباطا وثيقا من حيث ان كليهما محور لدراسة الانسان ، الاولى من حيث دراسته فى حياته ، والثانية من حيث اعداده لهذه الحياة • فالتربية فى المجتمع البدائى – كما يعرفها « هوبل » هى الحياة نفسها Education in life ، وتتم فى نطاق الاسرة حيث يزاول الطفل المهن التقليدية وانماط السلوك من خلال عملية التقليد للكبار ، وتلك هى التربية غير الرسمية non — formed Education وذلك عكس التربيـــة فى المجتمـع المتحضر حيث هى اعداد الحيـاة for life من خلال المؤسسات والنظم التعليمية المختلفة والتى تهدف اساسا الى اعداد الناشىء للحياة المقبلة (١) •

اللغويـــات :

يهتم علم اللغويات بتحليل اللغة فى زمن معين ، ويدرس النظـم الصوتية وقواعد اللغة والمفردات وفى هذا يعتمد عالم اللغة على اللغـة الكلامية ، كما يهتم بالجانب التاريخى والمقارن للغة ، حيث يدرس علم اللغويات العلاقات التاريخية بين اللغات التى يمكن متابعة تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة ؛

واللغة وسيلة للكلام ، وهى رموز حركية وشفهية وكتابية تسمح للناس ان يتصل بعضهم ببعض ليعبروا عن أنفسهم وعن التجريدات ، وذلك حتى يكون الفرد معروفا لدى الاخرين • وتمكننا الكلمات والقواعد من ان نبعث بأحساسينا للاخرين حتى نستطيع ان نزاول النشاطات المختلفة ونتمكن من الوصول الى اهدافنا • واللغة ظاهرة انسانية فاستخدام الادوات والتحدث مظـاهر ممـيزة للجنس للبشر ، وهاتان وظيفتـــان متداخلتان •

وقد عرف ستورتيفانت Sturtevant (٢) اللغة بأنها رموز صوتية

(١) د• زكى محمد اسماعيل : انثروبولوجيا التربية – نظرية فى قبيلة الشلك بجنوب السودان ص ص ٣٧ – ٣٨ •

(٢) John Lewis, op. cit., p. 198.

تعارف عليها الناس ، وتعمل على ان يتفاعلوا ويتعاونوا ، وهى عنصر من عناصر الثقافة ويكتسبها الانسان خلال معيشته فى المجتمع ٠

وقد ظهرت اللغة فى الجماعات البدائية الاولى فى صورة اشارات وهزات بالرأس واليدين والكتفين وقسمات الوجه حتى ان احدى القبائل البدائية فى افريقيا لا يستطيع أفرادها التفاهم ليلا الا اذا جلسوا حول النـــار ٠

وبعد ان تحولت اللغة من مجرد اشارات الى اصوات ، ثم تحولت الاصوات من التقليد الى اصوات رمزية اصطلاحية متفق عليها تقدمت اللغة حول مزيد من سهولة الاستعمال والدلالة على المعنى المقصود والاعتماد على الرمز ، وكانت اللغة فى كل هذه المرحلة تنتقل شفاها ٠

ولما احتاج الانسان الى تسجيل بعض المعلومات التى يهمه الرجوع اليها والتى يخشى نسيانها حاول اختراع الكتابة ، فبدأ برسم صور تمثل الاشياء المطلوب التعبير عنها ، ثم انتقل الى التعبير عن الافعـــال بصور تمثل حركات هذه الافعال ، ثم انتقل من هذه المرحلة التصويرية الى اختصار الصور الى جزء منها برموز لها ، ثم اكتفى بالرموز وحدها للدلالة على الاشياء والافعال، وهذه المرحلة الاخيرة المعروفة بالمرحلة الصوتية Phonetic Period التى تدل فيها الرموز على الاصوات المختلفة ، وهى الرموز المعروفة الان بالحروف الهجائية ٠ وقد ظهرت اولا فى مصر ، ثم هذبها الفينيقيون وجعلوها ٢٦ حرفا صامتا ، ثم اضـــاف اليها اليونانيون الحروف المتحركة ، ثم اكتملت اللغة كأداة للتفاهم والعلم باختراع الارقام وبذلك أمكن التعبير عن جميع هذه المعانى بالرموز الاصطلاحية المتفــق عليها (١) ٠

وكانت اللغة فى بداية أمرها حية ، بمعنى ان الاشياء تسمى حسب خصائصها ، اما الكلمة فكانت عملية تجميعية ، فالادوات خلقت التحدث،

(١) عبد المجيد عبد الرحيم المرجع السابق ص ٣٨ ٠

ولان الكلمة ترمز الى معنى ، فانها تنتج شكلا تصوريا واضا وفكرا منطقيا ، والاداة هى شىء يستخدم كوسيلة للوصول الى الاهداف . أما الحيوانات فهى لا تفكر وهى لا تملك الادوات ، ولكنها تعتمد على بناءاتها الجسدية لانجاز اهدافها . والحيوانات لا تستخدم الرموز . ولكنها تستخدم الاشارات ، ويعود هذا الى جوانب فسيولوجية ، فمخ الحيوان بالمقارنة بكبر مخ الانسان لا يمكنه من تشكيل هذه التصورات،

وقد اتفق الانثروبولوجيون البريطانيون على ان اللغة ما هى الا وسيلة لعرض الافكار وهى ترتبط ارتباطا كبيرا بالسلالة او الجنس . وهذا ما دعى الى استخدام كلمة بدائية للغات بعض السلالات والاجناس الدنيا . ومع ان الفكر لا يوجد بدون لغة ، ولا لغة بدون فكر حيث ان ان اللغة هى رد فعل للفكر ، الا اننا نستطيع ان نميز بين اللغة والفكر كما نميز بين الجوهر والصورة (١) .

وعندما نناقش مسألة اصل اللغة باعتبارها ظاهرة طبيعية او اجتماعية ثقافية والتى تتصل بوظيفة اللغة لا بنشأتها نجد ان اول اجابة لهذه المسألة وردت على لسان ارسطو وهيرموجينيس ، وهى ان اللغة متعلقة بالتقاليد او بعبارة اخرى مجرد اتفاق اجتماعى،أى ان المجتمع اوجد اللغة لكى تؤدى له وظيفة اجتماعية ضرورية مثل النظم التى أوجدها المجتمع ، فاللغة كما وصفها مالينوسكى فى وظيفتها البدائية Primitive function هى اسلوب من اساليب الفعل Amode of action وليست مجرد دليل على وجود الفكر او علاقة لاثبات وتأكيد العقل فلا يمكن تصور علم اللغويات دون ان نربطه بالاثنولوجيا ، ولا يمكن فهم الاثنولوجيا دون ان تلقى ضوءا على اللغة ، واهم وظائف اللغة الاتصال الاجتماعى والارتباط بين الجماعات لتوثيق العلاقات الاجتماعية وتحصيل ثقافة المجتمع ونقلها بين

---

(١) Edwin Ardener, Social Anthropology and language, p. 13

الاجيال لتوحيد شخصية المجتمع ، والربط بين النظم الاجتماعية الاخرى لان اللغة هى أداة الفهم والتعامل والتعبير عن حاجات المجتمع وارادته وتراثه الثقافى والعمل على تطوير المجتمع عن طريق نقل الافكار بين الناس والاتصال بالجماعات الاخرى ، وخلق معانى جديدة لا توجد فى الحياة الواقعية ، وانما تشتقها اللغة من افكار عقلية فتدفع المجتمع الى تحقيقها ـ مثل المثل العليا والمجتمعات الفاضلة والسعادة وما بعد الطبيعة، وما فوق الواقع وغير ذلك مما تزخر به الفلسفة ٠

ونسوق هنا بعض الادلة على ان للغة ووظائفها اجتماعيتان :

١ ـ الواقع ان العلاقة بين اللغة والمجتمع والثقافة علاقة وثيقة فاللغة هى وعاء الفكر واداة التعبير ووسيلة الاتصال ٠ وقد ثبت ان اللغة تتأثر أيما تأثر بحضارة الامة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها الى الحياة وشئونها الاجتماعية العامـــة وما الى ذلك ٠ فكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحى يتردد صداه فى أداء التعبير ٠ ولذلك تعد اللغات اصدق سجل لتاريخ الشعوب ٠ وكلما اتسعت حضارة الامة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ورقى تفكيرها وتهذبت اتجاهاتها النفسية نهضت لغتها وسمت اساليبها وتعددت فيها فنون القول ورقت مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع بالاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والافكار الجديدة وذلك مثلما حدث بالنسبة للغة العربية عندما اقتبست ألفاظا يونانية وهندية وفارسية وارامية عبر تقدم الحضارة العربية ، ولذلك يستدل علمـاء الاجتماع والادب بالالفاظ على المرحلة الحضارية التى وردت على ألسنة وكتابات ادباء ذلك العصر ٠

واختلاف الطبقات فى بعض الامم وما يفصلها من فوارق فى مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية يؤدى الى التمييز بينها فى المفردات التى

تطلق على شئون كل طبقة منها · وكثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس فى طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الاولى كما ان ما يكون عليه الناس من حشمة وادب فى شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث صداه فى لغتهم بألفاظها وتراكيبها · فاللغة اللاتينية لا تستحى ان تعبر عن العورات والاعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ولابد من تسميتها بأسمائها الصريحة ، وعلى حين ان اللغة العربية بعد الاسلام تتلمس احسن الحيل وادناها الى الحشمة والادب فى التعبير عن هذه الشئون · كما يتطور مدلول الكلمات فى لغة ما تبعا لتطور الشئون الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول ، فكلمة اقطار فى اللغة العربية مثلا كانت تطلق فى الاصل على عدد من الابل على نسق واحد تستخدم فى السفر فى النقل · ولكن تغير الان مدلولها الاصلى تبعا لتطور وسائل المواصلات فأصبحت تطلق على مجموعات عربات تقطرها قاطرة ثم قاطرة تعتمد على الاحتراق الداخلى (١) ·

٢ ـ اختلاف اللغات بين الجماعات واختلاف تطور اللغة باختلاف تطور المجتمعات ، فسكان استراليا الاصليون (وهم جماعات بدائية ؛ يطلقون اسما على ذيل الكلب ، واسما اخر على ذيل البقرة ، وليس فى لغتهم كلمة تدل على (الذيل) بصفة عامة ، واهل تسمانيا يطلقون على كل نوع من الشجر اسما ، وليس لديهم كلمة واحدة تدل على الشجرة بصفة عامة ، وبعض الجماعات البدائية يضطرها تطور اللغة الى الاستعانة باحركات والاشارات والتمثيل لسد نقص الكلمات المطلوبة · ومن المعروف ان لغات المجتمعات البدائية تخلو من المجردات واسماء المعانى فضلا عن اسماء الاعداد الكبيرة والعمليات الحسابية ·

---

(١) د· محمد عبده محجوب · مقدمة فى الانثروبولوجيا ـ المجالات النظرية والتطبيقية ص ص ١١٦ ـ ١١٨ ·

٣ - نتائج دراسة دى سوسيو فى العصر الحديث التى اثبتت ان الرمز اللغوى والكلمة يعتبر عشوائيا ودائما فى نفس الوقت ، فهو عشوائى لعدم وجود صلة مباشرة بين الاسم وكنة الاسم ، فهو مجرد اصطلاح اجتماعى ، وهو دائم بمعنى ان الجماعة التى تتحدث هذه اللغة تستعمل ذات اللفظ أو العبارة الدالة على ذات الشى او الفكرة التى يتحدثون عنها مع بعض الاختلافات البسيطة فى نطق الالفاظ وعرض الافكار (١) ٠

وحيث ان اللغة ظاهرة اجتماعية ثقافية ، فهى تعد احد الميادين الهامة التى يهتم بها علم الانثروبولوجيا الثقافية ، فهى تدرس اللغات العديدة المنطوقة فى عالمنا المعاصر ، كما يهتم بدراسة نشأة اللغات فى الجماعات الانسانية ، وذلك بمتابعة اللغات وتفرعها الى لهجات ومدى انتشار هذه اللغات ولهجاتها ، والصراع الذى يحدث بين اللغات ، والقوانين التى تسيطر على هذا الصراع ، وتأثر اللغات بعضها ببعض وبالاديان والعلوم ٠ فعن طريق اللغة نستطيع ان نتوصل الى طبيعة وتفسير الاحتكاك الثقافى Cultural contact ، الحادث بين سائر اللهجات ، مما ينجم عنه بعض المشابهات فى اللغة Similarity of language ففى اللغة الانجليزية نشاهد بعض الكلمات الفرنسية ، مما يؤكد الاحتكاك الثقافى بين انجلترا وفرنسا ٠ وفى ضوء هذا الاحتكاك اللغوى ، يمكننا تقسيم الاجناس وتصنيف البشر استنادا الى اللغة (هادون) ٠

وينصرف الجانب الاكبر من الدراسات اللغوية الانثروبولوجية الى دراسة اللغات « الغريبة » ، كلغات الهنود الحمر الامريكيين ، التى تختلف اختلافا كبيرا عن اللغات « العالمية » المعروفة كاللغة الانجليزية والصينية والروسية ٠

وقد صاغ بينامين هورف Beniamin - whorf وادوارد سابير

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم ٠ المرجع السابق ص ٨٧ ٠

Sapir فروضهما حول دراسة اللغة ونظرا اليها على انها بمثابة المرشد الحى لطبيعة الواقع الاجتماعى الذى يعيشه الافراد فى الثقافات المحلية ·

أما ستانلى نيومان Stanley New man فلا يرى اهمية حقيقية فى اقبال الباحث الانثروبولوجى على دراسة الخصائص البنائية للغة مثل التعريف او الاعراب inflection ، والاشتقاق اللغوى derivation وتكوين الجمل Syntactic ، أو غير ذلك من العمليات اللغوية ، وانما عليه ان يقوم بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية أو كمظهر ثقافى ، وذلك عن طريق تحليل علاقة اللغة بالانماط الاجتماعية،والامزجة والطباع Ethos الخاصة بشعب معين فى ضوء دراسة موجهات القيم والتقاليد المحلية وعلاقتها باللغة (١) ·

وكانت العلاقة بين اللغة والتوزيع السلالى والتباين احد المجالات الهامة للانثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر · والانثروبولوجيا لا تلقى اهتماما بالتوزيع السلالى فى حد ذاته وكما اورده المؤرخون ، ولكنها تلقى الضوء على التوزيع اللغوى والعلاقات المتوازية بينه وبين السلالات · فقد حاول سلجمان Seligman فى كتابه أجناس افريقيا ، ان يحدد معالم أجناس افريقيا استنادا الى مجموعة من اللهجات واللغات المتمايزة ومن ثم كان تقسيم سلجمان للاجناس الافريقية ، انما يعادل الى حد كبير تقسيمه لسائر اللغات واللهجات السائدة بين الشعوب والمجتمعات والقبائل الافريقية ·

فهناك فى أفريقيا تختلط الثقافات واللغات السامية Semetic والحامية Hamitic ، كما توجد ثقافات الهوتنتوت Hottentots وهى قبائل تقطن جنوب غرب افريقيا · والى جانب الهوتنتوت توجد قبائل البانتو Bantu وتقطن هذه القبائل معظم افريقيا الوسطى ·

---

(١) د· محمد عباس ابراهيم المرجع السابق ص ص ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ·

وافريقيا الجنوبية ، ولكل من الهوتنتوت والبانتو لغاتها ولهجاتهــا المتباينـــــة ٠

ومن ثم يتعين على الباحث الانثروبولوجى ان يدرس لغة المجتمع الذى يبحثه ، ولهجاتها واجروميتها ليتشرب معناها ومبناها ، وليتعرف على فحواها ومغزاها ، لان اللغة هى وسيلة الاتصال بالاهالى ، ولانها تتصل بالتنظيم الاجتماعى ، وترتبط بظواهر الدين والسحر ٠

ومن الخطأ البالغ ان يعتمد الانثروبولوجى الحقـلى على المترجمين والشراح ، لان الكلمه ليست مجموعة الحروف الجامدة ،والاصوات الجافة، وانما هى كائن حى محمل بالكثير من المعانى ، ولا يؤدى الاعتماد على الترجمة الحرفية الى التوصل الى مضامين الكلمات،وفحوى اللهجات الوطنية، الامر الذى لا يستطيع معه الباحث الحقلى الاتصال بالاهالى لعدم اتصاله باللغة ذاتها ، فكيف يطالب بعد ذلك ان يقدم لنا صورة كاملة حية من النظم السائدة فى البناء الثقافى ؟ فعن طريق معرفة اللغة ، يستطيع الباحث الحقلى ان يتعرف على مختلف الاساطير والقصص المنقولة عـن القدمـاء (١) ٠

الطـــــب :

يعتبر ميدان الطب الاجتماعى من الميادين الحديثة التى خاضتها الانثروبولوجيا الاجتماعية مؤخرا ٠ وقد حتم دراسة موضوع الطـــب الاجتماعى فى اطار الانثروبولوجيا الاعتباران الاتيان :

أولا : ان الاطار الاجتماعى والثقافى باعتباره انعكاسا صـــادقا لمعرفة كيف يعيش الناس وماذا يأكلون وما هى معتقداتهم الشعبية ، وقيمهم التى يؤمنون بها ، وما هو المستوى التكنولوجى الذى وصلوا اليه ، لهى مؤشرات هامة فى معرفة حالتهم الصحية كافراد او ككل ٠

---

(١) د٠ قبارى محمد اسماعيل اصول الانثروبولوجيا العامة ص ٤٨٠ ٠

ثانيا : ان الصحة العامة هى نشاط اجتماعى وثقافى • وفى عبارة اخرى ان الصحة العامة تؤدى الى انجاز الادوار الاجتماعية للافراد فى سلم البنيان الاجتماعى •

ونود الاشارة الى ان الناس الذين يعيشون فى مجتمعات تتسم بالتغير الاجتماعى البطىء ، وهى المجتمعات التى يشار اليها باسم المجتمعا تالمتخلفة والمجتمعات المهيئة للنمو او النامية قد اكتسبوا عدة عادات شعبية فى طريقة معالجة مرضاهم • وفى الصدد يمكن ان يلعب فرع « الطب الشعبى folk Medicine دورا هاما فى تحديد العادات التى اعتاد الناس عليها عبر التاريخ (١) •

ففى كثير من المجتمعات البدائية يكون السحرة طائفة مهنية عن طريق الوراثة • ويعتقد البدائيون ان القدرات السحرية تستطيع ان تحدث تغيرات فى المجتمع • وهم يفسرون ان اصابة الانسان بمرض يعود الى عمل سحرى • ويحاول اصدقاؤه فى بداية الامر ان يعالجوه فى المنزل ، واذا لم تفلح هذه المعالجة فهم يلجأون الى الطبيب الساحر بالنظر الى المريض نظرة ثاقبة ، ويغطى جسده بطين لامع ، ويأتى بصورة مقدسة مربوطة بحزام من الجلد وتحتوى على بارافين سحرى ، ويبخر المريض ، ويتمتم بكلمات غريبة ، ويرتعد ويرقص بعنف ، واخيرا يسحب الجزء المعتل من الجسم بفمه ، فتخرج بلورة شفافه ويعتقد البدائيون ان الطبيب الساحر قد سحب بذلك المرض من جسم المريض •

وتعتقد بعض الجماعات المتخلفة بعبادة الارواح الخفية • ويعتقد ان هذه الارواح الخفية قد تنفع الانسان وقد تضره • ولهذا خلقت تصورات الرجل المتأخر لها عادات وعرف ومعتقدات وطقوس خاصة لها السمه السحرية •

ومن الحالات التى تنسب للارواح الشريرة وينتج منها الضرر الانسانى :

١ ـ حالات المرض العقلى ٠
٢ ـ الجنـــــون ٠
٣ ـ الهوس ٠
٤ ـ الاتجـذاب ٠
٥ ـ المزاج الحزين ٠

ويلجأ المتأخرون للخلاص من ذلك باخراج الارواح الخبيثة من جسم الانسان بطرق الطب المتأخرة ذى الوسائل القاسية متوهمين ان مثل هذه الوسائل لا تتحملها الارواح المسيئة فتهرب من الجسم وتخرج منه ويشفى المصاب ٠

ومن الوسائل : الضرب المبرح ، والكى بالنار ، والمجهود الجسمى العنيف لكى يعرق الجسم عرقا غزيرا ، وحمل الطلاسم والتمائم (١) ٠

---

(١) د٠ احمد الخشاب المرجع السابق ص ص ١٧٣ ـ ١٧٥ ٠

الفصل الخامس

المنهج والبحث العلمى فى الانثروبولوجيا

مـا المنـــاهج

يتوقف نجاح أى علم من العلوم على وجود منهج محدد وواضح المعالم للبحث ، يساعد على التوصل الى معرفة منظمة بجوانب الوقائع ، بحيث يعتمد الدارسون فى هذه المعارف على تشييد النظريات العلمية ، وفى اعادة فحصها من جديد للتأكد من صدقها ، أو اضافة عناصر جديدة لها ، لكى تصبح اكثر شمولا وتكاملا • والبحث هو عملية تقضى الوقائع باستخدام طريقة منظمة لتحقيق هدف من الاهداف (١) •

ولكن ما المقصود بالمناهج ؟

ذاعت كلمة المناهج فى كثير من الكتابات المعاصرة • والمنهج العلمى هو امتداد للعمليات العقلية التى تستخدمها كل يوم فى العديد مـــن المواضع • وعلى سبيل المثال ، اذا أردنا ان نطرق مكانا ما ، فاننـــا يجب ان نعرف من اين نبدأ ؟ والى اين نرغب فى أن نذهب (تنمية) ؟ ثم نبدأ فى التحرك (تجربة) ، وهكذا يفعل العالم نفس الشىء ، فهو يستخدم فى بحوثه اجراءات معينة ، ويخطط تخطيطا جيدا يساعده فى أعماله ، وهو يحدد منذ البداية مشكلة البحث التى سيقوم بفحصها ، ثم يخطو خطوه لاقامة موقف بحث يتعلق بمشكلة بحثه •

ولهذا جاءت كلمة المناهج وليده مباحث فلسفية ، وصدرت عن المنطق • يقول عنها المنطقى الفرنسى لالاند Laland (٢) فى قاموسه

---

(١) د• محمد على محمد • الانثروبولوجيا الثقافية ص ٨١ •

(٢) د• قبارى محمد اسماعيل الاتجاهات المعاصرة فى مناهج عـــلم الاجتماع ص ١٥ •

الفلسفي : ان مناهج العلم او الميثودولوجيا Methodology تعد جزءا من اجزاء المنطق وميدانا اساسيا من ميادينه • ولكن ما هو المنطق ؟ المنطق ـ كما عرفـــه البعض ـ بأنه علم القوانين الضرورية للفكر ، او انه نظرية للعلاقات المنظمة ـ اى العلاقات التى تستقل بوجودها عن الفكر • ومع ذلك فيمكن التمييز بين علم مناهج البحث من جهة ، والمنطق من جهة أخرى من حيث ان الاول هو تطبيق للثانى (١) •

أما ديكارت (٢) ، فقد عرف المنهج فى مقاله الشهير الذى أصدره تحت عنوان La Methode بانه : « طريقة لاحكام العقل Methode Pour bien conduire la raison » ، وقد سعى ديكارت الى منهج جديد يستبعد به القياس الارسطى ، ويهدف المنهـــج عنده الى « البحث عن الحقيقة فى العلوم Chercher La virité dans les sciences ولكن ما هى الحقيقة ؟ الحقيقة ـ كما عرفها بيرسى (٣) هى الرأى الذى قدر له ان يكون اخر الامر موضع اتفاق عند كل الباحثين •

الا ان هذا المنهج كطريقة لاقتياد العقل واكتشاف الحقائق ، هـو منهج خاطىء ، فلا يمكن تصور طريقة محددة بالذات نستطيع بفضلها أن نتوصل فورا الى كبد الحقيقة •

ان علم المناهج او الابستمولوجى هى النقـد العلمى للمعرفة الذى يدرس المنهج العام للعلوم • فالعلوم تختلف فى مادتها او المادة التى تبحثها ـ فهناك علم الفلك والاحياء والفيزياء • وبالتالى فان طريقـة بحثها فى هذه المجالات تختلف ايضا ، لان طريقة البحث تختلف باختلاف مـادة البحث • ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من ان كل العلوم تلتقى فى

---

(١) جون ديوى • المنطق ـ نظرية البحث • ص ص ٥٤ ـ ٥٩ •
(٢) د• قبارى محمد اسماعيل • الاتجاهات المعاصرة فى مناهج عـلم الاجتماع ص ص ١٦ ـ ١٧ •
(٣) جون ديوى • المرجع السابق ص ٥٤٥ •

اسس عامة ، هذه الاسس العامة المشتركة بين العلوم هى التى تجيز لنا ان نطلق على موضوع « المنهج » « علما » • فلابد من ان نسقط من حسابنا الفروق والخصائص التى تميز علما عن اخر ليبقى لنا فى النهاية ماهو مشترك بين كل العلوم - اى الاسس المشتركة التى يشترك فيها اى علم مع علم اخر بعض النظر عن موضوع هذا العلم - مثل التعميم والتصنيف والعلية والاحتمال والاستقراء •

وفى ضوء هذا يمكن تعريف مناهج البحث اللعلمى بأنها الطرق الفعلية المنظمة أو مجموعة من الخطوات والعمليات العقلية الواعية والمبادىء العامة التى يستخدمها الباحث لتفهم الظاهرة موضوع الدراسة ، وللوصول الى هدف من الاهداف • ومن ثم فالمنهج يجيب على سؤال مؤداه كيف يمكن حل المشكلة البحث ، والكشف عن جوهر الحقيقة ، والوصول الى قضايا يقينية لا يشوبها احتمال او شك • وهو يطبق فى مجالات العلوم المختلفة بغض النظر عن اختلاف موضوعاتها كالمنهج الاستنباطى فى الرياضيات والتجريبى فى الطبيعات والاستردادى فى التاريخ •

والمنهج فى هذه الحالة يختلف عن اداة البحث Research Tool والاداة هى الوسيلة التى يلجأ الى استخدامها الباحث للحصول على المعلومات والبيانات التى يتطلبها موضوع الدراسة • فقد يجد الباحث ان عليه ان يجرى مقابلات مع المبحوثين ، أو ان يلاحظ الانشطة وضروب التفاعل الاجتماعى ، ثم يسجل ملاحظاته ويقوم بتحليلها ، ومعرفة دلالتها ، وقد يجد انه من الافضل ان يحدد شكل المقابلة بقائمة من الاسئلة يوجهها بنفسه للمبحوثين ، او يرسلها اليهم عن طريق البريد . كل هذه الاساليب تشير الى أدوات البحث ، وهى كلها تمكن الباحث من الاجابة على السؤال الذى مؤداه ، بماذا سوف يحل مشكلة بحثه (١) •

---

(١) د• محمد محمود الجوهرى واخرون • ميادين علم الاجتماع ص ٦٠ •

ويستخدم المنهج العلمى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة قائمة على الواقع ـ لا على التأمل والخيال ، وذلك بهدف الوصول الى القانون الذى تخضع لها الظاهرة ، وتنبؤنا بما سيحدث فى المستقبل • ويقصد بالقانون العلاقات الضرورية التى تربط بين طبائع الاشياء •

ومن المناهج المستخدمة فى البحوث الانثروبولوجية المناهج الاتية •

أولا : المنهج الوصفى :

وهو المنهج الذى يقوم على وصف أحوال البلاد وظروفها الطبيعية والاجتماعية ، فمنذ اقدم العصور ظهر الذين طافوا فى البلاد الغريبة عن بلادهم قاصدين الرحلة او التجارة او السفارة او العلم • وكذلك اسهمت فى هذا المنهج الحروب والاستكشافات الجغرافية والبحث عن الاسواق والمواد الخام • وكانت الرحلات الاولى تتسم بالسطحية والبحث عن الغرائب والتفسيرات الخرافية ، وقليلا ما يلجأ الرحالة الى النقد أو التمحيص مثلا رحلات هيرودوت (٤٣٤ ـ ٣٥٩ ق م) فى رحلاته الى بلاد الفرس ، وفى العصور الوسطى نجد رحلات ماركو بولو الايطالى الى بلاد الصين •

وقد اشتهر كثير من علماء العرب بالرحلة من أجل العلم ونشر الاسلام كالخوارزمى ، وسليمان السيرافى ، وابن خرداذبة ، وابن فضلان ، واليعقوبى والمسعودى ، وابن حوقل ، والادريسى ، والقزوينى ، وابن جبير ، ابن بطوطة ، وابن خلدون •

واشتهر منهم فى العصر الحديث كثيرون منهم البتاغونى (مؤلف الرحلة المجازية ، وأمين الريحانى ، ومحمد ثابت الرحالة المصرى الذى طاف بجميع انحاء العالم وسجل رحلاته فى كتب جعل عنوان كل منها (جولة فى ربوع) (١) •

---

(١) عبد المجيد عبد الرحيم : المرجع السابق ص ص ٤٢ ـ ٤٥ •

ثانيا : المنهـج التاريخى :

التاريخ بمعناه العام لا يبحث فى الظواهر الانسانية فحسب ، بل يبحث ايضا فى الظواهر الماضية ايا كان نوعها ، فهو يدرس ماضى الطبيعة وماضى المجتمعات • اذ يعتبره بعض العلماء يشتمل على المعلومات التى يمــكن معرفتهــا عن نشــأة الـكون كله ، بما يحويــه من اجرام وكواكب ، ومن بينها الارض ، وما جــرى على سطحها من حوادث الانسان • كما يستطيع الباحث فى علم الفلك دراسة القوانين التى تخضع لها هذه الاجرام فى الماضى والحاضر والمستقبل على حـد السواء • ومن المحدثين الذين اخذوا بهذا الاتجاه «هربرتجورجولز »(١) الذى بدأ كتابه « موجز تاريخ العالم » بدراسة نشأة الكون والارض ، وما ظهر على سطحها من مظاهر الحياة المختلفة وتتبع ولز فى عرض تواريخ الامم والشعوب والحضارات المختلفة منذ نشأتها حتى العصر الحديث معبرا فى ذلك عن وحده البشرية ، على الرغم من جزئيات تواريخها وتفصيلاتها •

كما يستخدم الاطباء المنهج التاريخى فى علاج مرضاهم ، اذ ان الطبيب بجانب الكشف على المريض ، فانه يستفسر عن تاريخ حياته الصحية والامراض التى ألمت به فيما مضى ، وكذلك الامراض التى أصابت اباءه • وفى كل هيئة من الهيئات الاجتماعيــة ، وفى النوادى يحتفظ بسجلات يبين فيها الانجازات التى انجزها الافراد ، بمعنى ماذا فعلوا فى الماضى • كذلك فان المحامين ورجال القضاء يواصلون ابحاثهم فى ضوء ما سبق اتخاذه من احكام وقرارات قضائية • ولا يستطيع البــاحث مهما كان نوع تخصصه ان يتجاهل الماضى ، ليس فقط فى مجال حياة الملوك وتواريخ المعارك ، وانما فيما يتعلق بالقوى الاقتصادية ، وطرق السكك الحديدية ، والرياضيات ، وتعريف المصطلحات ، والاستراتيجيات العسكرية •

---

(١) د• حسن عثمان • منهج البحث التاريخى • ص ١١ •

وقد قام المنهج التاريخى ليعارض استخدام المنهج الطبيعى فى العلوم الاجتماعية ، وفى رأى اصحابه ان المناهج المستخدمة فى العلوم الطبيعية لا يمكن تطبيقها على العلوم الاجتماعية لما يوجد من فوارق عميقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الفيزيقية فالقوانين الفيزيقية او قوانين الطبيعة صادقة فى كل زمان ومكان ، اما قوانين الحياة الاجتماعية تختلف باختلاف الاماكن والازمنة • وكذلك فان الاحداث الاجتماعية تعتمد فى وقوعها على التاريخ ، كما انها تعتمد على الفوارق الحضارية اى تعتمد على موقف تاريخى معين •

ومن ثم لا ينبغى للمرء ان يتكلم عن القوانين الاقتصادية مثلا من غير تقييد ، وانما يجوز له ان يتكلم عن القوانين الاقتصادية فى عصر الاقطاع ، أو القوانين الاقتصادية فى مطلع العهد الصناعى • ومن شأن هذا ان يمنع تطبيق المناهج الفيزيقية فى العلوم الاجتماعية • ويعتقد ريكمان (١) : ان المدخل التاريخى يستخدم فى كل العلوم الانسانية ويقدم فائدة هائلة تعتمد عليها فى ابحاثها فالتاريخ مهم بالنسبة لعلم النفس وللرجل الاقتصادى والبحوث السسيولوجية •

ويستخدم المنهج التاريخى فى دراسة المعتقدات الدينية ويتمثل هذا فى أعمال فيبر عن الكلفنية التى بين فيها العلاقة بين الاقتصاد والدين ، واشار الى الديانات البدائية والعقائد للهامة الاخرى • (٢) كما يستخدم المنهج التاريخى فى دراسة الانساق السياسية والافكار الفلسفية •

وفى مجال الانثروبولوجيا ، فقد بدأ المنهج التاريخ تطوريا ، حين التفت اصحاب الاتجاه التاريخى القديم الى تلك الاختلافات القائمة بين سائر الثقافات ، وانبثق عن ذلك فكرة التقدم Progress عند كوندرسيه Condorcet ، و « تورجو » كونت » •

---

(١) د• محمد عاطف غيث • علم الاجتماع الحضرى ، ص ٣٥ •

(٢) Jaachin wach, Sociology of Religion, p.p. 2 — 3

وعلى هذا الاساس اخذ اصحاب هذا المنهج يتتبعون تلك المراحل التى مرت بها الثقافة ، وما طرأ على سماتها من تغير وتعقيد ، بقصد اعادة تركيب الماضى ، حيث يتألف لدينا فى النهاية بناء تاريخى مفترض ، واستنادا الى اعادة تركيب ماضى الثقافة ، وذلك على اعتبار أن التقدم هو القانون العام الذى يحدد مسار الحضارة ويضبط اتجاه الثقافة ٠

فمن خلال دراستنا للوثائق المكتوبة والسجلات المدونة ، يمكننا ان نكتشف حضارة من الحضارات المطمورة ٠ وقد نتوصل بفضل استخدام المنهج التاريخى الى معرفة الكثير عن حياة الجنس البشرى منذ أن صدرت طلائع الانسان الاول ٠

ويمكن ان نسوق لهذا المنهج مثالا ، نوضح به حقيقة هذا المنهج من جزيرة مدغشقر Madgascar ، تلك الجزيرة النائية التى تقع بعيدا عن اطراف الساحل الشرقى من الشاطىء الجنوبى شرق القارة الافريقية ٠

وتوضح لنا الدراسة الاستهلالية الاولى لاهالى هذه الجزيرة المنعزلة ان هناك - كما يتوقع كل باحث انثروبولوجى حقلى لكثير من السمات المتجانسة بين شعب مدغشقر وباقى الشعوب الافريقية ، حيث انه يوجد بالفعل وبخاصة على الجوانب الغربية للجزيرة النائية من الاهالى ذوى السحنة الافريقية ، حيث يتسمون الى حد بعيد بالكثير من الملامح والسمات الزنجية الواضحة ٠

ومعنى ذلك ٠ انه فى ضوء البحث الفيزيقى والعنصرى ، نلحظ ان أهالى مدغشقر ، انما يشبهون العنصر الافريقى او الجنس الزنجى من حيث صفاتهم الطبيعية العامة ٠ هذا من جانب الخصائص والسمات الفيزيقية Phyical Traits ٠ أما من حيث الثقافة culture ، فنحن نلحظ ايضا بوضوح ان هناك الكثير من اوجه الشبه بين عناصر الثقافة فى مدغشقر ، وبين تلك الانطباعات التى تتسم بها ثقافات الشعوب النيلية فى افريقيا ٠

تلك هى النظرة السطحية • اما اذا قمنا بالدراسة الانثروبولوجية العميقة وجدنا ان هناك فى مدغشقر عناصر ثقافية ليست افريقية . ولوجدنا ايضا ان سمات الجنس والملامح الفيزيقية لدى اهالى مدغشقر ليست أفريقية خالصة •

وتظهر نقاط الضعف الشديدة فى المنهج التاريخى ، حيث انه لا يتيح الفرصة العلمية الجادة لدراسة ماضى الثقافة ، وتطور النظم الاجتماعية، بمعنى ان الاتجاه التطورى هو اتجاه « علمى » ، كما انه اتجاه فرضى يتابع الظن والتخمين •

ونقطة الضعف الثانية التى يعانى منها المنهج التاريخى التطورى هو أن اصحاب هذا المنهج من امثال «مورجان Morgan » وفريز frazer و « هنرى مين »قد حاول تأصيل النظم ، دون الرجوع الى علاقة هذه النظم بالبناء الاجتماعى الكلى ، واكتفوا بانتزاعها من السياق الثقافى الذى يعطيها معناها ومغزاها (١) •

ثالثا : المنهج المقـارن :

يعالج المنهج المقارن القصور الذى يتعرض له منهج التجربة باعتبار منهج التجربة يواجه صعوبات فى العلوم الاجتماعية • ويعتبر المنهـج المقارن احد المناهج الرئيسية المستخدمة فى العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع• يستخدمه الانثروبولوجيا لقصورها فى استخدام المنهج الاحصائى • كما يستخدمه علم الجغرافيا البشرية بالرغم من امكانية استخدام هذا العلم للمنهج الاحصائى • ويستخدم كذلك فى علوم الاداب وتاريخ المذاهب

---

(١) انظر د• قبارى اسماعيل • اسس علم الانسان ـ الانثروبولوجيا ص ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ •
وانظر د• قبارى محمد اسماعيل • اصول الانثروبولوجيا العامة ص ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ •
وانظر د• قبارى محمد اسماعيل • الانثروبولوجيا العامة ص ٢٥٦ •

والعقائد ٠ كما يستخدم المنهج المقارن فى علم النفس ، وعلم النفس السلالى ، حيث يوضع فى الاعتبار عند القيام بالاختبارات العقلية والتمييز بين الخصائص الفطرية والخصائص المكتسبة ٠ ويستخدم ايضا فى دراسة الاختلافات العمرية والجنسية ، حيث يمكن مقارنة احياء المدينة بعضها ببعض ، مما يؤدى الى امكانية التفسير ٠

ويختار الباحث من الحقائق ما هو مناسب وصالح لان يكون شاهدا، اى يختار المشكلات التى تصلح للمقارنة ـ اى يختار عددا من المتغيرات الهامة التى يتضمنها النمط موضوع المقارنة ، وهى متغيرات ينبغى ان تكون ذات دلالة بالنسبة للمجتمع او النظام او التنظيم موضوع المقارنة ، وعملية الاختيار هذه تتوقف على نوعية التصور النظــرى الذى يتبناه الباحث ٠

وقد يتم الاختيار هذا عن طريق مقارنة ما يكون قائما فى الوجود الفعلى أو حادثا فيه وجودا ، أو حدوثا يتم فى حالات مختلفة من حالات الوجود الخارجى ، فالبحث القائم على اساس سليم يستحيل عليه ان يتقدم خطوة الى الامام مالم يجتمع له مجموعة ظواهر شوهدت فى أزمنة مختلفة وامكنة مختلفة تحت ظروف مختلفة ٠ وحتى ذلك الباحث الذى يلجأ الى التجارب مستهدفا فى ذلك غرضا مقصودا ، وهو ان ينوع الظروف او ان تتنوع النتائج المشاهدة تنوعا يتيح للمقارنة مادة اوسع رقعة ٠ ومن قبيل التجارب ان يجتمع لنا مجموعة من حالات كثيرة ابتغاء خلق اوجه للاختلاف واوجه الشبه ٠ وهكذا نجد المقارنة داخله فى كافة الابحاث التى تنتهى الى نتائج على اساس سليم ، حتى ليظن عادة ان هذهالمقارنة أمر مسلم بها (١) ٠

وتتلخص المجالات الرئيسية التى يمكن ان تخضع للبحث المقارن فى الاتى :

---

١ ـ جون ديوى ٠ المرجع السابق ص ٣١٤ ٠

١ ـ دراسة اوجه الشبه والاختلاف بين الانماط الرئيسية للسلوك .
ويمكن ان يشمل دراسة السلوك السياسى ـ مثلا ـ كالتصويب ، أو دراسة السلوك الاجرامى مثل المقارنة بين معدلات الجرائم وانماطها فى مجتمعات مختلفة ، او دراسة السلوك الانحرافى فى اوضاع اجتماعية متباينة ٠

٢ ـ دراسة نمو وتطور مختلف انماط الشخصية او الانماط الدافعية والاتجاهات السيكلوجية والاجتماعية فى مجتمعات مختلفة ، وثقافات متعددة ٠

٣ ـ دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات Organization وعلى الاخص التنظيمات البيروقراطية مثل نقابات العمال او التنظيمات السياسية والتنظيمات الصناعية فى مجتمعات مختلفة ٠

٤ ـ دراسة النظم الاجتماعية فى مجتمعات مختلفة ، وتحليل المعايير النظامية العامة ـ اى دراسة الزواج والاسرة والقرابة ، ودراسة الانساق الثقافية مثل المعتقدات الدينية ، ودراسة العمليات والتطورات التى تطرأ على النظم الاجتماعية مثل التحضر والبيروقراطية ، ودراسة بعض النظم الفرعية كالعادات والفولكلور ، وهى دراســـة وثيقة الصلة بالانســـاق الثقافية ٠

٥ ـ تحليل مجتمعات كلية ، وعادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقا للنمط الرئيسى السائد للنظم او التوجهات الثقافية فيها ٠

ومنذ القرن التاسع عشر استخدمت الانثروبولوجيا المنهج المقارن ، واستطاعت بذلك ان تميز بين العـــام والجزئى ، وان تصنف الظواهر الاجتماعية ٠ وهى تحاول ربط التحليل الثقافى بعقد المقارنات العلمية بين شتى اشكال التكيف الانسانى والظواهر الاجتماعية التى نشاهدها فى مختلف الثقافات والحضارات بمثيلاتها فى المجتمعات الاخرى ٠ حيث يلقى المنهج المقارن على الظاهرة موضوع الدراسة ضوءا أوفى وأدق ولاشك ان كل دراسة جديدة لمجتمع ما تساعد على توسيع مجال المقارنة ٠

ولكى يحقق الباحث اهدافه العلمية بتطبيق المنهج المقارن ، عليه ان يقوم بتصنيف دقيق لسائر الثقافات الانسانية ، حيث يعتمد المنهج المقارن على تصنيف مختلف السمات Traits والعناصر الثقافية Cultural elements ، كما يستند الى تنسيق ومقارنة هذه السمـات والعناصر بغيرها ومن نفس الدائرة الثقافية ٠

وقد أكد هربرت سبنسر الحاجة الماسة الى المقارنة التى تتمثل فى جمع اكبر قدر ممكن من العادات والافكار فى مناطق متفرقة وخلال فترات مختلفة ، حتى يمكن الاستعانة بها فى تحديد المراحل التطورية للمجتمعات٠

وعرض تايلور للصعوبات الكثيرة التى تواجه استخدام المنهـج المقارن ، وذلك باتباعه منهج تعقب الارتباطات الاحصائى ٠ وقد قدم عددا من الاسئلة تتعلق بأن النظام الاموى سبق النظام الابوى او العكس ٠ واستند فى جمع حقائقه الى ٣٥٠ مجتمع تمتد من المجتمعات البسيطة الى المجتمعات الاكثر تعقيدا (١) ٠

واستخدم السير جميس فريزر المنهج المقارن فى الحصول على بيانات عن بعض الشعائر والطقوس والعادات الجمعية ٠ وأكد راد كليف براون ان المنهج المقارن يتخذ فى علم طبيعة المجتمع مكانة المنهج التجريبى فى سائر العلوم الاخرى ٠ فبدون استخدام المنهج المقارن ، ودون الالتفات الى الدراسات المقارنة العلمية المنظمة ، فلسوف تصبح الانثروبولوجيا الاجتماعية مجرد « وصف تاريخى » ، او من قبيل الدراسات الوصفية التاريخية historiography ، ومن ثم تدخل فى اطار دراسة الاثنوجرافيا Ethnography . ولذلك يعلن راد كليف براون وجوب استناد النظريـة السوسيولوجية Sociological Theory الى شىء جوهرى اساسى ، ذلك هو المقارنة العلمية المنظمة ٠ حيث اننا بفضل الطريقة المقارنة انما ننتقل من الجزئى الى الكلى ، ومن العام الى الاعم ، ومن ثم نستطيع ان نتوصـل

---

(١) Luey Mair, op. cit., p.p. 42 — 43.

فى النهاية بفضل استخدام المنهج المقارن الى ما يسمى بالتعميمات او العموميات universals ، التى هى بعض الانماط التى تتمتع بدرجة عالية من العمومية ، والتى تصدق على اشكال مختلفة فى سائر مجتمعات وثقافات بنى البشر ٠

ويقوم المنهج المقارن – عند راد كليف براون – على الطريقة العلمية المقننة ، والتى تبدأ بفرض نظرى منذ البداية مع اختباره بالدراسة الحقلية المركزة Intensive study ، وتعديله فى ضوء النتائج الحقلية الجديدة ٠ ولقد وصل راد كليف براون نتيجة دراسته لقبائل الاندمان Andaman Islanders ، وبفضل المنهج المقارن توصل راد كليف براون الى بعض القوانين التى تتعلق بالفروض النظرية التى حققها حول دراسته للنسق القرابى (١) ٠

والسؤال الذى يتبادر الى الاذهان هو هل الانثروبولوجيا باعتبارها علما أو احد العلوم الانسانية تستخدم المنهج التاريخى او المنهج المقارن ؛ وما هى فترات التاريخ التى تبحث عنها ؟ وما هى الحقائق التى تبحث عنها وتكون موضوعا للمقارنة ؟ فى الحقيقة ان علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية ومنذ القرن التاسع عشر تستخدم كلا المنهجين التاريخى والمقارن ، حيث تتضمن الانثروبولوجيا كدراسة حقلية للمجتمع الانسانى هذين المنهجين ، اذ ان المنهج التاريخى يوصلنا الى بعض القضايا المخصوصة ، بينما يؤدى بنا المنهج المقارن الى اكتشاف بعض القضايا الكلية او العامة ٠

رابعا : المنهج التجريبى :

يعتبر منهج التجربة الاساسى فى العلوم الطبيعية والحيوية ، واحد الدعائم القوية التى ساعدت على رقى العلوم وبلوغها ما وصلت اليه من

---

(١) د٠ قبارى محمد اسماعيل ٠ الانثروبولوجيا العامة – صور من قضايا علم الانسان ص ٢٥٣ ٠

تقدم فى وقتنا الحاضر ، وهى التى تفرق بينه وبين التأملات العـابرة وتمكن من اداء مهمة التنظيم والتنبؤ (١) ٠

ويمكن تعريف التجربة بأنها : ملاحظة الظواهر بعد تعديلها تعديلا كبير او قليلا أى التحكم فى الظروف والشروط عن طريق بعض الظروف المصطنعة ٠ يقول عنها لاناو ماكيث (٢) اننا فى الملاحظة قد ننتظر حدوث الظاهرة فى مجرى الطبيعة ، فاذا حدثت فاننا نكتفى بملاحظتها كما حدثت أما فى التجربة فنحن الذين ننتج الحادثة أو الظاهرة بشروط اخترناها مسبقا للتحقق من صدق فرض طرأ على عقولنا ٠

ومن هنا فان التجربة تنتج للمجرب من الفرص مالا تتيحه الملاحظة العابرة ، فهناك فارق كبير بين ملاحظتنا للبرق يمر خاطفا ، وبين ملاحظة باحث لشرر كهربائى يثيره فى معملة متى اراد ، ويستطيع تكراره كيفما شاء ، حتى يدرس الشروط الضرورية لوجود الكهرباء ٠ واهم هذه الفرض مـــا يلى :

١ ـ يستطيع المجرب ان يخلق ويعيد خلق الظاهرة موضـــوع الدراســـة ٠

٢ ـ يستطيع المجرب ان يتحكم فى زمان حدوث الظاهرة ومكانها ، فاذا قارنا التجربة بالملاحظة الميدانية فيما يتعلق بالتحقق من صدق الفروض سنجد ان الاول تفوق على الاخيرة بمـا يتوافر فيها من ضبط لمختلف المتغيرات التى يتضمنها الاختبار ٠ وهذا بدوره يجعلنا نستطيع تكرار التجربة مما يمكن من ملاحظتها ملاحظة دقيقة قبل ان تقبل نتائجها بوصفها تعميمات محققة بمكن ان تكون قضايا مقبولة فى النسق النظرى ٠

---

(١) انظر د٠ مصطفى سويف ٠ الاسس الفنية للابداع الفنى خاصـة فى الشعر ص ٦ ٠

(٢) د٠ على عبد المعطى محمد ٠ فلسفة العلوم ومناهجها ص ٣٨٢ ٠

٣ - ونظرا لان الظموف التى يتحكم فيها المجرب اثناء التجريب تكون معروفه لديه تماما ، فانه يستطيع ان يجرب نفس التجربة تحت نفس الظروف ،كما انه يستطيع انه يصف هذه الظروف ويحددها لكل من يهمه اعادة التجربة للتأكد من صحتها ، كما يمكن اعادتها بواسطة اشخاص اخرين مع الحصول على نفس النتائج اذا توحدت الظروف • أما الملاحظة الطارئة التى تحدث من غير قصد فلا يمكن تكرارها عادة كلما اراد الباحث ، ومهما كانت صحة النتائج فان الباحث لا يستطيع تقديم الدلائل على صحتها •

٤ - يستطيع المجرب ان يغير وينوع من الظروف التى تحدث فيها التجربة تغييرا منتظما ، كأن يزيد من شدة المثير تدريجيا او بضعفه ويلاحظ النتائج التى قد تنتج تبعا لتغير الظروف ، بقصد التأكد والدقة فمدى تلازم التغيير فى ظاهرين ونوعه وسيلة من سائل التجريب الاساسية •

٥ - تتيح التجربة للمجرب التحليل والعزل والضبط للعناصر الاولية والمكونات ، وذلك كوسيلة مثلى للتعرف على الظاهرة وايجاد القوانين المنظمة لها ، والتحليل هو تحليل الظاهرة الى عناصرها الاولية • وهذا يمكن المجرب من الوقوف على خواص كل عنصر على حدة ، مثال ذلك ان التجربة تبين لنا ان الماء يتألف من عنصرين : اوكسجين + أيدروجين، لكل منهما تركيب فى الماء ، فى حين ان الملاحظة تعجز عن تحليل الشىء الى مكوناته او عناصره ، كما تعجز عن بيان نسبة العناصر التى ينقسم او يتحلل اليها الشىء •

٦ - تمكن التجربة المجرب من التركيب بين مالا يتركب فى الحقيقة فى الطبيعة ، وذلك كأن تركب او تؤلف بين العناصر المختلفة على نحو يتيح ايجاد بعض الظواهر التى لم تكن معروفة بالفعل مثال ذلك انه من الممكن التأليف بين النحاس والقصدير والرصاص بنسب معلومة للحصول على معدن جديد هو البرونز •

ومع ذلك يجب ان نضع فى اذهاننا ان الملاحظة والتجربة تعبران عن مرحلتين متداخلتين من الناحية العملية ، فالباحث يلاحظ ثم يجرب ثم يلاحظ نتائج تجربته ·

ومن هنا فأن التجريب العلمى يؤدى الى نتائج يمكن تكرارها فى نفس الظروف مما يؤدى الى الوصول الى قوانين عامة تسرى على جميع الحالات المطابقة · وهكذا كانت التجربة جوهرية بالنسبة للعلم ، وكان رفضها فى أى مبدأ وبأية حجة ضربا من التقهقر الى مرحلة ما قبل العلم حيث الاساطير والطقوس ، فهى تساعد على تنمية الفروض والنظريات . وهى الطريقة التى يمكن ان يختبر بها الفرض بواسطة الدراسةالمعملية او الميدانية ، ويتمكن بها الباحث من ضبط المتغيرات ·واذاماظهرفىالبحث الامبيريقى مبدأ المحاولة والخطأ فىالمحاولاتالاولى للتجربة فان هذا لا لا يقلل من دورها ، ذلك ان التجربة تسعى للوصول الى الحد الادنى من المحاولة والخطأ · وهى تستخدم الاستقراء للتوصل الى القضايا العامة التى تصدق على أمثلة لا حصر لها · وهى تشبه الامثلة الجزئية التى لوحظت عليها التجارب مثل : الكثافة = الكتلة على الحجم ، فقد استنبط هذا القانون من عدة تجارب على عدد قليل من الاجسام لكنه صار صادقا على الاجسام بصفة عامة : صلبة وسائلة وغازية ، مع اختلاف انواعها وأحجامها وكثافتها ·

وتمكن التجربة الباحث من تفسير المتغيرات ، واكتشاف العلاقة بين المتغير المستقل الذى يحدث تغييرا فى المتغير التابع اذا ضبط الباحث بقية المتغيرات ·

ومن ثم يستخدم المنهج التجريبى بنجاح فى العلوم الطبيعية لامكان عزل الظواهر الطبيعية والتحكم فيها ، وامكان تحقيق الظروف المتماثلة فى عدد لا حصر له من التجارب حسب رغبة الباحث ـ فتحدث نفس النتائج نفسها التى ظهرت فى اول تجربة ·

وفى العلوم الاجتماعية ـ يستخدم المنهج التجريبى اساسا فى علم

النفس ، وهناك ما يدل امكانية استخدامه فى العلوم الاجتماعية الاخرى ٠ اذ ينظر المؤيدون لهذا المنهج الى الظواهر الاجتماعية الثقافية على انها تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها المادة ، فالقوانين التى تسود العالم الميكانيكى كالضغط والكثافة والمقاومة والتوازن والتجاذب والتنافر ٠٠ الخ هى نفسها التى تطبق على العالم الاجتماعى ، والمجتمع كالطبيعة سواء بسواء يخضع فى بقائه وتطوره لنفس القواعد التى يخضع لها العالم الطبيعى واستخدم اصحاب هذا المنهج الملاحظة والتجربة والاحصاء الرياضى ٠

ويرجع الفضل فى استخدام المنهج التجريبى فى الانثروبولوجيا الاجتماعية الى العلامة مورجان بادخاله الدراسة المقارنة لنظم القرابة. فقد بين لنا أن الزواج الخارجى او الاكسوماجى Exogamy والطوطمية من أكثر الملامح انتشارا فى المجتمعات البدائية ٠

وحدثنا راد كليف باون فى معرض حديثه عن المنهج التجريبى عن أهمية استثارة الظواهر التى تختبر ، فالفعل اللاتينى Experiri يعنى « to put to the test » ٠ وقد أخذ راد كليف براون بالطرق الاستقرائية وذلك باستخدام المنهج التجريبى Experimental method وتطبيقه على الظاهرات والوقائع الاجتماعية لاكتشاف القوانين العامة General laws التى تخضع لها هذه الظاهرات ٠

ان المنهج التجريبى هو العلم العلمى الوحيد للتوصل الى التعميمات « الاستقرائية » ، كما ان الملاحظة التجريبية هى الملاحظة الموجهة ببعض التصورات العامة ، ولعل اهم جهود العالم التجريبى تنصب على ابتكار بعض التصورات العامة او المجردة التى نستقرؤها من المشاهدة التجريبية المنظمة والتى تصدق على عدد معين من الظاهرات الاجتماعية ، وغايتنا من تطبيق هذا المنهج التجريبى على الظاهرات الانسانية ، انما تتمثل فى ابتكار بعض الفروض الموجهة واكتشاف القانون الذى تخضع له الظاهرة على اعتبار أنها احدى حالاته الجزئية ٠

والقاعدة او القانون او القضية العامة انما تمثل جميعها احـكاما منطقية • وتصدق تلك الاحكام على عدد من الظاهرات والاحداث ، كما ان حقيقة هذه الاحكام المنطقية ، انما هى اقوال تنطبق على احوال جزئية أو كلية ، بحيث تصدق تلك الاحكام والاقوال على عدد من الظاهرات والوقائع الجزئية قد تزيد فى حالة منها او تنقص فى حالة اخرى ، بمعنى ان درجة التعميم قد تضيق وقد تتسع • قد تضيق لتشمل عددا قليلا من الحالات الجزئية ، وقد تتسع درجة التعميم لتشمل اكبر عدد من الحالات (١) •

ونادى العلامة « ايفانز بريتشارد » بتطبيق المنهج التجريبى والذى يتلخص فى قيام كل انثروبولوجى اجتماعى باستنتاج عدة نتائج من دراسته العميقة لمجتمع واحد ، ثم يقوم نفس الباحث او باحث اخر بالتحقق من صدق وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات اخرى ، وهكذا تتسـع دائرة فحص تلك النتائج تدريجيا • وهى فى الحقيقة لا تخرج من كونها فروض ثم تصبح تلك الفروض قوانين او مبـادىء عامـة •

هذا ولم يقتصـر هذا المنهج التجريبى على دراسـة الجماعات المنعزلة او الثقافات البدائية ، بل امتد الى القطاعات المدنية ، ويذكر على سبيل المثال دراسة ليند H. M. Lynd عن الانماط الثقافية لمدينة ميدلتون Middle - Town الامريكية (١٩٣٠) • وكذلك دراسة لويد وارنر وزملائه التى شرحوا فيها التركيبات العامة للطبقات والمستويات والمكانة الاجتماعية للسلالات البشرية فى احدى المدن الامريكية ، التى اطلقوا عليها اسما مستعارا : يانكى سيتى Yankee city (١٩٤٢) (١) •

---

(١) د• قبارى محمد اسماعيل • الانثروبولوجيا العامة ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦ •

(١) د• حسين فهيم • المرجع السابق ص ١٨٧ •

خامســا : المنهــج الاحصــــائى :

يعنى بالمنهج الاحصائى تجميع المادة العلمية تجميعا كميا ، وهو بذلك يعكس نتائج البحث العلمى فى صورة رياضية بالارقام والرســـوم البيانية ـ أى فى صورة كمية ومن ثم تسهل المقارنة ، ويستطيع الباحث ان يصل الى الحقيقة • ويستخدم المنهج الاحصائى فى تحليل وبيان الاحداث المتكررة والتى لا تخرج نفسها المخرجات Outcomes • فقد يكون الحدث الزواج ـ مثلا ـ اما المخرجات فقد تكون الطلاق او استمرار الحياة الزوجية • واذا كان الحدث وضع فأر فى مأزق ، فان المخرجات هى الوقت الذى يستغرقه الفأر فى الخروج من هذا المأزق • ويبدو هناك مظهران فى هذه المواقف الاول هو امكانية ملاحظة عدد كبير من الاحداث المتشابهة ، والثانى التغيرات الكمية التى تحدث فى المخرجات التى ترتبط بالاحداث موضوع الدراسة ، واذا لم تحدث هذه التغيرات ، فانه لا تكون لدينا موضوعا احصائيا •

وبذلك يمكننا المنهج الاحصائى من استخراج معامل الارتباط ، وهو الذى يمثل الارتباط بين الظواهر موضوع الدراسة ، فنقول ان معامــل الارتباط بين ظاهرتين هو (+ ١) حين يكون الارتباط ايجابيا كاملا بين أفراد مجموعتين فافرض ـ مثلا ـ اننا نريد معرفة العلاقة بين قدرة الطالب فى اللغات الاجنبية كالانجليزية وقدرتـــه فى العلوم الرياضية كالهندسة ، فنتخير مجموعة اختيارا عشوائيا من بين الطلاب ، ونقارن بين قائمة درجاتهم فى اللغة الانجليزية وقائمة درجاتهم فى الهندسة ، فاذا وجدنا ان ترتيبهم فى القائمة الاولى هو بعينـــه ترتيبهم فى القائمة الثانية ، بحيث ان الاول فى القائمة الاول هو نفسه الاول فى القائمـة الثانية ، والثانى هو الثانى ، والاخير هو الاخير ـ قلنا ان معامـــل الارتباط بين قدرة الطالب فى اللغة الانجليزية وقدرته فى الهندسة يساوى (+ ١) ، أى انه ارتباط ايجابى كامل • ونقول عن معامل الارتباط بين ظاهرتين (ـ ١) اذا كانت النسبـــة بين أفرادهـــا سلبية ، كاملة ،

ونقول عن معاملة الارتبـــاط انه صفر حين لا يكون ثمـة ارتباط بين ظاهرتين (١) ٠

وللمنهج الاحصائى مميزات عديدة نذكر منها :

١ ـ يجعل الباحث يتجرد من عواطفه ومشاعره ، ويحكم على الظواهر حكما موضوعيا ، فالارقـام هى التى تتكلم ، وتبين طبيعـه الظـــاهرة ٠

٢ ـ الاحصاء معناه انه اذا وجدت وقائع معينة وقام بقياسها عدد كبير من الباحثين مستخدمين منهجا مشتركا واحدا ، فان النتائج التى يصلون اليها تكون واحدة ٠

٣ ـ يضع الباحث قوانينه فى صورة كمية مما يجعل نتائجهأقرب الى الدقة العلمية ، بعيدة عن مرونة الالفاظ . والتعبيرات اللغوية ، وعـــن الغموض والابهام ، فنظرة واحدة الى رسم بيان تكفى لاعطاء الفرد فكرة واضحة عن تطور ظاهرة من الظواهر ، أو ارتباط ظاهرة بأخرى او المقارنة بين ظاهرتين ٠

٤ ـ كلما كانت النتائج دقيقة ساعد ذلك على التنبؤ الدقيق فى ميدان هذه الظاهرة ٠

٥ ـ وهذا بلا شك يساعد على حل الكثير من المشكلات الاجتماعية

وفى مجـال الانثروبولوجيا تحتاج المقارنات التحليلية الى استخدام المنهج الاحصائى ، واستخدام العينات ، وقد استخدم هذا المنهج العـلامة (ميردوك) ٠

---

(١) د٠ زكى نجيب محمود ٠ المنطق الوضعى ٠ ص ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ٠

أدوات جمـــع المعلومـــات

يقوم الباحث بجمع الحقائق والمادة العلمية التى تتعلق بموضوع البحث ، وهناك وسائل وطرق متعددة لجمعها وتعتمد الادوات المستخدمة الى حد كبير على نوع المشكلة التى سوف تدرس ، وقد يلجأ الباحث الى اكثرمنواحدمنها حسب موضوع البحث الذى يملى عليه اذا كان من الممكن ان يعد الباحث المقابلات المقننة ، او يستخدم الملاحظة ، او يجرى احصاء للسكان ، او يستخدم الاستبيان السسيومترى (العلاقات الاجتماعيـه بين الافراد) ، أو الاختبارات الاسقاطية ٠

أولا : المراجع واستخدام المكتبة :

يجب ان تسبق الدراسة الميدانية مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية فى الانثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خاصة ٠ ويبدأ الباحث بأن يقرأ كل ما كتب عن موضوع بحثه بدوائر المعارف العالمية والمتخصصة ٠ وهى توجه الباحث توجيها سريعا لمعرفة موضوع البحث ، وتشرح بعض المصطلحات ٠ وهى تضم مقالات ترشد الباحث الى المصادر والمراجع التى يمكن ان يستعين بها ٠ ويقوم الباحث بتدوين عناوين المراجع واسماء المؤلفين التى وردت فى مقالات دوائر المعارف ليبدأ فى البحث عنها ٠

ويلجأ الباحث كذلك الى القواميس المتخصصة ٠ وتشمل هذه القواميس معلومات واحداث هامة ، وكذلك الاسماء البارزة فى مجـــال الدراسة ، كما أنها تزود الباحث بمفهوم المصطلحات والجمل ٠

وبقراءة الباحث لدوائر المعارف والقواميس المتخصصة يتكون لديه حصيلة من الكتب والمراجع يبدأ فى البحث عنها ، ويستخرج منها المعلومات التى تتصل بموضوعه ٠

وينصح الباحث كذلك بأن يقرأ الابحاث الجديدة التى تنشر فى

المجلات العلمية والنشرات الدورية Periodicals التى تتعلق بموضوع بحثـــه • فهى تضيف حقـائق جديدة ، كما ترشد الدارس الى الكتب والمراجـع الهامة فى مجال دراسته •

ويكعف الباحث بعد ذلك على ترتيب هذه المعلومات وتنسيقها .

ثانيا : الملاحظـــة :

يهتدى كل منا فى سلوكه اليومى بما يلاحظه من ظواهر فى محيط حياته ، فالطفل فى نشأته الاجتماعية يتعلم ملاحظة ما يدور حوله من أحداث وما يبدو على وجوه المحيطين من تعبيرات ، ورئيس العمل يلاحظ سلوك مرؤسيه ، وقائد المناقشة قد يهتدى فى توجيهها بما يلاحظ من استجابات الاعضاء لسلوكه كقائد ، ومنذ أقدم العصور انشغل الكتاب والشعراء بوصف ما يشاهدونه •

هذا هو المعنى العـام للملاحظـــة • الا ان هذا المصطلح له معنى خاص ينم عن ان الملاحظة اما تكون عارضة عادية،واما انتكونمقصودة • فالاولى تحدث دون تفكير سابق او رغبـة سابقة ، ودون قصد أو تعمد . ودون منهج او خطة ، كما انها تحدث فى كل وقت ، طالما ان حواسنا سليمة ومتيقظة • وهى من ناحية اخرى ملاحظة سريعة يقوم بها الفرد فى حياته اليومية العادية ، دون ان يرمى الى تحقيق غاية نظرية او الكشف عن حقيقة علمية • كما ان الملاحظة العادية لا يعتمد على فكرة عميق يتخطى المتطلبات النفعية العملية العاجلة ، ولا تحاول ان تبحث عن اسباب الاشياء وعللها • وملاحظة الرجل العادى بالاضافة الى هذا لا تربط بين الملاحظات ، وانما تنتقل من ملاحظة الى أخرى حسب الحاجة العمليـــــــــة •

ورغم هذا فان كثيرا من هذه الملاحظات العادية كانت سببا فى كثير من الملاحظات العملية ، واكتشاف كثير من القوانين الطبيعية ، كاكتشاف البنسلين مثلا • وقيل ان نيوتين اكتشف قانون الجاذبية بعد مشاهدة

عادية له ، وهى رؤية تفاحة تسقط من شجرتها ، وكشف باستير عن نظريته ابتداء من مشاهدة عادية لفساد الاطعمة المعرضة للهواء • ومعنى هذا ان الملاحظة العادية وان كانت لا تقيم علما ، ولا تصل الى قوانين علمية • الا ان أهميتها الكبرى تنحصر فى لفت نظر الباحث الى ظاهرة من الظواهر التى يشاهدها مشاهدة عادية فتكون هذه الظاهرة بداية بحثه ، وبداية الطريق نحو اكتشاف قانون علمى •

أما الملاحظة العلمية فهى الملاحظة المنهجية المقصودة التى توجه الانتباه الى الظواهر والوقائع لادراك ما بينها من صلات وروابط وعلاقات خفية • وهى تتميز عن الملاحظة العادية بالدقة ووضوح الهدف الذى نريد تحقيقه • كما تتميز بأنها تقوم بتسجيل وقياس الظواهر المدروسة باستخدام ادوات علمية دقيقة وذلك عكس الملاحظة العادية (١) •

والملاحظة العلمية جزء من المنهج الاستقرائى والتجريبى ، لانها تنحصر فى ان يوجه الباحث حواسه وعقله الى طائفة خاصة من الظواهر فالحواس هى التى تمدنا مباشرة بكل ما نعلمه عن الطبيعة ، وذلك قبل اكتشاف الالات العلمية • وهذا هو السبب فى انقسام الطبيعيات الكلاسيكية الى بصريات وسمعيات • القسم الاول يرتبط بالاحساسات البصرية وما ينتج عنه من قوانين • بينما يرتبط القسم الثانى بالاحساسات السمعية وقوانينها المناسبة • ونحن نعلم ان حواسنا الخمسة تطلعنا على أنواع متوافقة معها من الاحساسات : البصر يدرك المحسوسات البصرية ، والانف تدرك المحسوسات الشمية ، والاذن تدرك المحسوسات اللمسية واللسان يدرك المحسوسات الذاقية ، والاصابع تدرك المحسوسات اللمسية • نحن نلاحظ الظواهر او الوقائع اذن بحواسنا ، فالحواس اذن مصدر معرفتنا بوقائع العالم الخارجى •

---

(١) انظر د• احمد عزت راجح • أصول علم النفس ص ٤٢ •
وانظر د• على عبد المعطى محمد • المرجع السابق • ص ص ٣٧٧ — ٣٧٩ •

ومع ذلك فان الملاحظة الدقيقة يصعب ان توصل الباحث الى هدفه اذا ما اقتصر على استخدام حواسه العضوية ، لانه بذلك سوف يخضع لعواطفه ومشاعره لما يلاحظه • كما انه من الصعوبة بمكان ان يدرك اجزاء مكونات الظاهرة موضوع الدراسة • ولهذا فمع تطور العلم واختراع الالات العلمية تمكنت الحواس بمساعدة العلم والاته ان نلاحظ اكثر وتشاهد ادق ، وتعرف صفات الظاهرة وخواصها ، سواء كانت شديدة الظهور أم الخفاء كما نصبت الملاحظة على مشاهدة الوقائع البسيطة Le fait simple لا الغليظة Le fait brut (١) •

ومع ذلك فان الاقتصار على استخدام الحواس يجعل العلماء مجرد الات لتسجيل ما يطرأ على الظاهرات من تغيرات • لذلك ليس لدينا الا ان نقول مع كريجتون وسارت (٢) : انه من الضرورى ان نذكر ان الملاحظة العلمية تتضمن نشاطا عقليا ، فان نلاحظ بالمعنى العلمى يعنى أنك لن تقف قابلا سلبيا للانطباعات الحسية كما تأتى اليك • اذ بدون نشاط العقل يكون من المستحيل ان نصل الى ملاحظة دقيقة ويمكن القول هنا ان العقل الانسانى اذا لاحظ ظاهرة ما فانه يتدخل فى هذه الملاحظة تدخلا كليا حتى يعمل ما استطاع على تنسيق عناصرها التى تبدو مبعثرة منفصلة • وقد تكون مساهمة الفعل هنا على هيئة الابتكار والاختراع • والعبرة هنا ليست بتسجيل الملاحظات بل القدرة على تنسيقها وربطها وتأويلها تأويلا صحيحا والاستفادة منها فى الكشف عن بعض الحقائق

ويجب على الباحث ان يجيب على هذه الاسئلة حتى يتمكن منتفهم طبيعة اجراء الملاحظات التى سيستخدمها :

١ ـ ما هى الوقائع التى يجب ملاحظتها •

---

(١) See Pauline young & calvin f. Schmid, s cientific surveys and Research, p. 100.

(٢) د• على عبد المعطى محمد • المرجع السابق ص ص ٣٧٧ ـ ٣٨٨ •

٢ ـ كيفية تسجيل المادة العلمية التى سنلاحظها •

٣ ـ ماهى الاجراءات التى يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظات وصحتها •

٤ ـ ما هى العلاقة التى يجب ان تقوم بين الملاحظ وأفراد الجماعة التى يدرسها ؟ اى بين الملاحظ والملاحظ ؟ وكيفية تكوين هذه العلاقة ؟ •

وللملاحظة اشكال عديدة هى الملاحظة المباشرة ، والملاحظة غير المباشرة ، والملاحظة البسيطة بالمشاركة ، والملاحظة المنتظمة • والملاحظة المباشرة تنصب على الظواهر الحاضرة التى نستطيع مشاهدتها • وهى لا تتضمن اكثر من النظر والاستماع لموقف اجتماعى معين • وتحدث تلقائيا فى الظروف الطبيعية دون اخضاع الموضوع الملاحظ للضبط ، وبغير استخدام لادوات دقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظات وموضوعاتها •

ومن مميزات الملاحظة المباشرة انها تمكن الباحث من التسجيل المباشر عقب السلوك الملاحظ بحيث لا يتدخل عامل الذاكرة • كما ان الملاحظة المباشرة تمكن الباحث من جمع بيانات لا يمكن الحصول عليها الا بهذه الطريقة وذلك كسلوك الاطفال واتجاهاتهم ومشاعرهم • وهنا يظهر الفارق بين طريقة الملاحظة المباشرة ، وبين عمل المؤرخ الذى يكتفى غالبا بجمع المعلومات عن طريق الوثائق المكتوبة او ما يرويه الرواه •

وليست مهمة الانثروبولوجى الذى يجمع المعلومات بنفسه بمهمة سهلة ، فهى تحتاج الى ان يلم بلغة المجتمع الذى يبحثه ، فمعرفته بلغتهم تعينه على فهم عواطفهم وافكارهم •ويجبعلى الباحث كذلك ان يكون ملما بتاريخ المجتمع الذى يبحثه ، وان يسبق البحث اقامة طويلة فىذلك المجتمع حتى يكون على اختلاط تام وصلة وثيقة بالافراد والجماعات ويتضح من ذلك ان الملاحظة العابرة والنظرات السريعة التى يجمعها السياح والمسافرون لا قيمة لها فى البحث العلمى •

الا ان طريقة الملاحظة الباشرة لها عيوب نذكر منها - صعوبة تنبؤنا بحدوث سلوك معين حتى يمكننا ملاحظته ، فاذا كنا ندرس مثلا الانماط السلوكية والثقافية فى مجتمع ما ، فقد لا تتاح للباحث فرصة ملاحظة مواقف معينة كتهديد المجتمع بحريق ، او ظهور مرض معدى ٠٠ الخ كذلك لا يمكن للباحث ان يلاحظ ملاحظة مباشرة وقائع حدثت فى الماضى كما انه اذا أردنا ان ندرس الخلافات العائلية او السلوك الجنسى ، فانه يتعذر خلق هذه الحالات ٠

أما الملاحظة غير المباشرة فتتعلق بكل ما كتب عن موضوع البحث من قبل ، فاذا كان موضوع البحث العلاقة بين السينما وانتشار الجريمة ، فان على الباحث ان يطلع على اهم ما كتب عن السينما كظاهرة اجتماعية ، وأهم ما كتب عن الجريمة فى محيط الشباب ٠ كما تستخدم طريقة الملاحظة غير المباشرة فيما يتعلق بالظواهر التى كانت سائدة فى العصور الماضية ويستعين الباحث فى ذلك بالوثائق ٠

وهناك ثلاثة أنواع من الوثائق : الاول ما يصلنا عن طريق الرواية الشفوية ، والثانى ما يصلنا عن طريق الملاحظات المكتوبة والنشرات الاحصائية والبحوث العلمية والخطابات او المذكرات الشخصية وغيرها ٠ والثالث ما يصلنا عن طريق ما يكتشف من اثار العصور الغابرة ٠

والملاحظة البسيطة بالمشاركة Fncontrolled participation observation أداة من أدوات جمع المعلومات ، ويقوم الباحث هنا بالملاحظة المباشرة ، بالاضافة الى مشاركته الفعلية فى حياة الافراد وافعالهم وسلوكهم ، ويعيش ويعمل فى المجتمع الذى يقوم بدراسته ٠ وقد يستلزم هذا النوع من الملاحظة ان يتنكر الباحث من أجل ان يصبح عضوا فى الجماعة التى يقوم بدراستها ، وان يساير الجماعة ويتجاوب معها ، وان يمر بنفس الظروف التى تمر بها ، ويخضع لجميع المؤثرات التى تخضع لها ٠ ولا يكشف الباحث عن نفسه فيظل سلوك الجماعة تلقائيا بعيدا

عن التصنيع والرياء ، وبمرور الوقت يألفه أفراد المجتمع ويكون وجوده أمرا طبيعيا (١) •

ومن الدراسات التى استخدمت طريقة الملاحظة البسيطة بالمشاركة _ دراسة نلز اندرسون Anderson لقبائل الهوبوز Hobos حيث عاش مع أفراد هذا المجتمع دون ان يشعروا بأنه علم اجتماع • كذلك قام باحث بدراسة فرقة موسيقية وظل معهم على انه لاعب ببانو (٢) :

وقد لا تمكن الملاحظة بالمشاركة الباحث من الوصول الى هدفه ، فلم يتمكن وايت _ مثلا _ من المشاركة فى حياة الكيريس Keres رغم أنه زار قراهم المتعددة ، وراقب احتفالاتهم العامة عندما سمحت له الظروف بذلك • وكان السبب هو التحفظ الشديد الذى أبداه هنود البويبكو فى ريوغراندى على فكرة ان يدرسهم أحد (٣) •

أما الملاحظة المنتظمة Controlled observation ، فهى تصمم طبقا لخطة موضوعه ، فبسبب النقص الطبيعى فى حواس العلماء والباحثين ، تستخدم الملاحظة المنتظمة مستويات من الملاحظات التكنيكية كالالات العلمية التى تخلق الظواهر خلقا جديدا ، وتضبط فيها المتغيرات فى مواقف تجريبية • فكم جهلت الانسانية عددا كبيرا من الظواهر لانها لم تهتد الى صنع الالات التى تعد السبيل الوحيد الى معرفتها • وليس من اللغو القول ان مجموعة هائلة من النجوم لم توجد فى نظر العلم الا منذ ان اهتدى العلماء الى صنع الالات الدقيقة التى تقرب الابعاد ، وتكشف عن الاجرام السماوية التى جهلت الانسانية وجودها منذ القدم •

---

(١) See John Bymmer & Keith M. Stivebley, Socil Reseach, Priniciples and Precedures, p. 125

(٢) William I Goed & Paul R. Hatt, Method in social Reseah, p. 121.

(٣) اشلى مونتاغيو • البدائية ص ٣٥٥ •

وكذا الامر فيما يتعلق بعلم التشريح ، فان اختراع الميكروسكوب كان سببا فى معرفة الكثير من الحقائق الخاصة بتركيب الانسجة العضوية . ومن بين الالات ادوات التصوير الفوتوغرافى والسينما والات تسجيل الصوت لكن التكاليف الباهظة التى تحتاجها الافلام والكاميرات فضلا عن امكانية رفض افراد الشعب المدروس لها قد تحد من استعمالها .

وفى الدراسات والبحوث الانثروبولوجية قد يلجأ الباحث الى الاختباء وراء شاشة بصرية يستطيع من خلالها رؤية الاشخاص الذين يلاحظهم دون ان يتمكنوا من رؤيته ، الا انه من الضرورى ان يقدم الملاحظون انفسهم لاعضاء الجماعة قبل بداية الاجتماع والملاحظة ويوضحوا لهم الاهداف العامة للبحث وان يؤكدوا للحاضرين ان هدفهم هو دراسة الطرق التى تلجأ اليها الجماعات فى حل مشكلاتهم على ان لا يكون وجود الباحثين سببا فى ازعاج الحاضرين أو تعطيل مناقشتهم .

وقد تستخدم الخرائط - وهى توضح بدقة العلاقة بين البيئـــة الجغرافية وبين التنظيمات الاجتماعية القائمة فى المجتمع موضوع الدراسة. كما تصور كثيرا من الجوانب التى تهم الباحث الاجتماعى كتوزيع السكان بالنسبة الى توزيع الموارد الطبيعية ، وأماكن التجمعات السكانية وتوزيع المؤسسات الاجتماعية ، ودرجة توزيع المشكلات الاجتماعية فى المناطق الجغرافية .

ويقوم الباحث بتدوين الملاحظات وقت وقوعها حتى لا يهمل أو ينسى بعض مالا يتفق مع وجهة نظره ، او ان يكون متحيزا فى تسجيل معلومات دون اخرى ، ويجب ان يكون التسجيل يوميا .

وفى كثير من المواقف يصعب على الباحث ان يسجل ملاحظاته فى لحظة وقوعها ، اذ ان عملية التسجيل قد تفقد الموقف طبيعته ، او تثير شكوك المشتركين فى الموقف ، ويصدق ذلك عادة فى الملاحظة بالمشاركة كما أن انهماك الباحث فى التسجيل قد يعوقه عن ملاحظة الجوانب الهامة،

اذ هو يوزع انتباهه بين الملاحظة والكتابة · لذلك من المستحسن فى الحالات التى يصعب فيها التسجيل فى نفس الوقت ان يستخدم الباحث وسيلة تمكنه من كتابة بعض الكلمات او النقاط بصورة غير ملحوظة · وقد ينسحب دقائق كل ساعة أو اكثر ليسجل ملاحظاته على انفراد بصورة أدق وأوفى واكثر تفصيلا (١) ·

ثالثا : المقابلة او الاستبار الشخصى Interview

المقابلة او الاستبار ليست منهجا ، وانما هى أداة من ادوات جمع المعلومات · وهى ليست اداة مفصلة عن الادوات الاخرى ، بل هى أداة اضافية تضاف الى الادوات التكنيكية الاخرى · ولفظة استبار مشتقة من سبر واستبر ، واستبر الجرح او البئر او الماء - أى امتحن غوره ليعرف مقداره ، واستبر الامر أى جرب واختبره ·

وتقوم المقابلة او الاستبار على الاتصال الشخصى ، والاجتماع وجها لوجه بين الباحث والمبحوثين كل على حدة ، ويجمع منهم المعلومات عن طريق اسئلة يلقيها السائل Interviewer لمرفة رأى المجيب Respondent فى موضوع محدد بالذات ، او للكشف عن اتجاهاتهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية والمقابلة على حد تعبير (وليام جود Good عملية من عمليات التفاعل الاجتماعى A process of Interaction

وتستخدم الانثروبولوجيا المقابلة باعتبارها مصدرا من مصادر جمع المعلومات ويبدأ الانثروبولوجى بأن يوجه اسئلة عامة ، ثم يركز تدريجيا على محور الاهتمام فيضيق من نطاق الاسئلة حتى يتمكن من الحصول على المعلومات النوعية والخاصة رويدا رويدا · ومن الاهمية بمكان ان

---

(١) د· فوزى رضوان العربى · المدخل فى الانثروبولوجيا التطبيقية ص ١١٧ ·

(٢) د· قبارى محمد اسماعيل الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع ص ٦٠ ·

يحاول الانثروبولوجى الحصول على المعلومات بطريقة تتميز بالتسلسل الزمنى • ويتم ذلك بمطالبة المبحوث بأن يستعرض ماضى حياته مبتدئا من الماضى ومنتهيا بالحاضر او العكس ، ويجب ان يتيح للمبحوث فرصة الاجابة المطولة دون توجيه الاجابة وجهة معينة • وعندما ينتقل فى الحديث من موضوع الى اخر لا يحاول قطع الحديث ، وانما على العكس من ذلك يشجع المبحوث بكلمة او بأخرى تزيد من حماسة فى الاسترسال فى الحديث حول الموضوع الذى يهم الباحث ، مما يسمح له بالكشف عن دوافع ومشاعر واتجاهات وعقائد ورغبات المبحوث •

وتصنف المقابلة الى مقابلة مقننة Closed Interview أو الموجهة Guided Interview ، وهى توضع فى صورة محددة ، ومقابلة مفتوحة او غير موجهة ، اى توضع فى صورة غير محددة •

وفى المقابلة المقننة يعد الانثروبولوجى بعض الاسئلة فى استمارة اعدادا دقيقـا حول موضوع معين • وغالبا ما تشمل الاستمارة الاجابات المحتملة بحيث تملء بسرعة وتفرغ فى جداول ، وعلى الانثروبولوجى ان يقرأ كل سؤال أمام المبحوث ، ثم يسجل اجابته فى الاستمارة ، ويتم ذلك فى الغالب بوضع علامة (✓) أمام احدى الاجابات المكتوبة • وبذلك يتمكن الباحث من الوصول الى نتائج مقارنة ، نظرا لان الاسئلة كانت واحدة لجميع افراد المجتمع ومن ثم يستطيع ان يتوصل الى النتائج يمكن صياغتها فى صيغة رقمية أو فى صورة رياضية دقيقة • كما تتسم المقابلة المقننة بالموضوعية ، حيث ان الاسئلة اذا كانت مقننة تكون النتائج ثابتة •

ومن الملاحظ ان المقابلة المقننة تستخدم فى علم الاجتماع أكثر منها فى الانثروبولوجيا الاجتماعية ، اذ أنها لا تنجح الا فى المجتمعـــات المتمدينة • أما فى المجتمعات البدائية فانها تثير شكوك الفرد لعدم تعوده عليها • مضافا الى ذلك فان المبحوث لا يعرف القراءة والكتابة .

ولهذا لا يستخدم الانثروبولوجيون الاجتماعيون هذه الاداة الا فى المجتمعات الحديثـــــــة ٠

وفى المقابلة المفتوحة او غير الموجهة ، يقابل الانثروبولوجى بعض أفراد المجتمع المدروس ، والمتمتعين بسمعة طيبة ، ويحاول اولا اكتساب ثقتهم بحيث يفتحون له قلوبهم ولا يحاولون تزييف الحقـائق ٠ ثم يبدأ فى المقابلات بتوجيه الاسئلة لهم ٠ وفى هذه الاسئلة لا يأخـذ الباحث فى اعتباره الصورة اللفظية لمختلف الاجابات ، وانما يأخـذ بمغزاها ومعناها ٠ ولذلك تتميز المقابلة المفتوحة بأنها أقرب الى الحياة، اذ ان الاجابة حرة ، وتعطى معلومات تفصيلية عن الموضوعات التى تدور حولها الاسئلة ، مما يظهر شخصية الافراد ، ذلك لان الاســئلة غير مصطنعة ٠ كما تشجع المقابلة المفتوحة على التلقائية والمرونـة وتظهر فيها الاستجابة بشكل طبيعى حر ٠

ويمكن للباحث تدوين تلك المعلومات او تسجيلها بالالات الحديثة ٠ واحيانا يكتب ما سمعه بعد المقابلة مباشرة حتى لا ينسى بعض عناصرها٠

رابعا : الاخباريين :

وفى المقابلات غالبا ما يختار الباحث عددا من الاخباريين الذين يشكلون احـد المصادر الرئيسية للمعلومات ، فتوجه اليهم الاسئلة ٠ وهم على اتصـال وثيق بالافراد والجماعات موضوع الدراسة ، وعلى معرفة كاملة بتغير الظروف الاجتماعية ، وبطرق الحياة التقليدية الحالية ، او التى اوشكت على الاندثار ، او تلك التى حورت وعدلت مع مرو ر الوقت ، وبخاصة حين لا تتاح للباحث فرصة الملاحظة المباشرة او المشاركـة فى نشاط اجتماعى معين ٠٠٠ خاصة اذا كان هذا النشاط من الانشطة الكامنة التى لا تظهر اثنـــاء الفترات المحددة للبحث كشعائر اختيار وتنصيب الزعامات القبلية والدينية او فترات الجفاف والقحط التى يتعرض لهـا البدو فى بعض السنوات أو الحروب القبلية ٠

وهناك بعض النشاطات التى يرحب المجتمع بالباحث لملاحظتها أو المشاركة فيها ، فهو يدعى كثيرا لحفـــلات العرس ، بينما تقتضى القداسة والمهابة الا يشارك الاغراب فى طقوس الدفن في بعض الثقافات. وهناك الكثير من الحالات التى لابد فيها من الاعتماد على الاخباريين مثل تاريخ توطن الجماعات البدوية وهجرتها وجمع المادة العلمية التى تصف ما تلقنه الام لبناتهـــا من المعلومات والطرق السحرية والسلوك الجنسى كذلك فان الباحث قد يرغب فى الحصول على معلومات اضافية او يتحقق مما حصل عليه من معلومات من الافراد او الجماعات موضوع الدراسة مما يمكن من تحليل الحقائق .

وهناك العارفين بالقصص الشعبى Folktales والاساطير myths فقد تمده بالنظرة الى العالم الغيبى او الخارجى ، فضلا عن القيم السائدة كما يلجأ الى (المراضى) او القضاة المشهورين بمعرفتهم بالعوايد ، (والنظار) الذى يقدر الجروح لتحديد الدية ، والعارفين بحســـاب النجوم ، وتعاقب الفصول ، والمشهورين بخبرتهم في تقصى الاثر والرعاة والزعامات القبلية والدينية ، وهو قد يتعاون معهم جميعا فيما يجمعه من معلومات حول موضوع واحد ليتقصى جوانبه المختلفة

واختيار الباحث للاخباريين لا يتم جزافا ، وانما يتوقف على مدى قدرته ونجاحه فى تدعيم صلاته بالاخرين ممن يدرك اهميتهم بالنسبة له، اذ انه من خلال اتصاله بهم يستطيع ان يميز الذى يمكنه ان يقدم له الكثير من المعلومات ، وتتوفر فيهم الذاكرة القوية والرغبة فى التعاون معه ، والوقت الذى يسمح للباحث للتردد عليهم لمتابعة جمع المادة الوصفية فضلا عن توافر الدقة والامانة فيما يدلون به من معلومات ، وبين هذا الذى تحـــول قـــدراته او استعـــداده الشخصى دون القيـــام بذلك ، هنا يتعين على الباحث منذ البداية ان يبحث عن الاشخاص الذين يمثلون المجتمع تمثيلا صحيحا ، كأن يختار احد الشيوخ او كبار السن ، واخبارى اخر من الشباب ، وثالث ممن يمثل مركز القيادة فى الجماعة ، وهكذا

فان هذا سيعينه حتما على ادراك الكثير من الابعاد والاتجاهات المتباينة خاصة اذا كان الباحث مهتما بموضوع مثل التغير الاجتماعى ٠

ولا يعنى ذلك ان الباحث سوف يقتصر على الاخباريين ، وانما لابد له من استخدام الادوات الاخرى (١) ٠

البحث العلمى فى الانثروبولوجيا

تأتى امكانية تطبيق المنهج العلمى فى الانثروبولوجيا عن طريق الدراسة الميدانية التى تتمثل فى اقامة الباحث فى المجتمع المحلى مدة لا تقل عن عام ، ليكتسب ثقة الاهالى ٠ وعلى الباحث الانثروبولوجى ان يتعلم لغة المجتمع الذى يدرسه ، ولا يستخدم المترجم ، اذ كثيرا ما يفشل المترجم فى نقل الافكار والمعانى بدقة كاملة ٠ فلكى يتفهم تفكير شعب من الشعوب حق الفهم يجب ان يعرف كيف يفكر ٠ كما انه حين يتعلم لغة ذلك الشعب فانه يتعلم فى نفس الوقت ثقافتهم ونسقهم الاجتماعى اللذين يتبلوران فى تلك اللغة والفاظها ٠ وحين يصل الباحث الى فهم معانى كل كلمات تلك اللغة وطريقة استعمالها فى مختلف المواقف والمناسبات يكون قد استكمل دراسة المجتمع وقد اشار مالينوسكى الى أهمية استخدام لغة الاهالى فى محادثاته معهم ، وأضاف انه لم يستخدم اطلاقا المترجمين ٠

ومن الضرورى ان يتصل الباحث بالقادة غير الرسميين ، ويتعرف عليهم ويطلب معاونتهم ٠ وتتضمن خطة العمل خلال الاسابيع الاولى من الاقامة وضع خريطة تفصيلية للمجتمع ، ومعرفة التكنولوجيا السائدة ،

---

(١) انظر د٠ فاروق مصطفى اسماعيل مقدمة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية - المجالات النظرية والتطبيقية ص ٨٦ ٠
وانظر د٠ محمد عبده محجوب ٠ مقدمة الانثروبولوجيا الاجتماعية - المجالات النظرية والتطبيقية ص ٨٨ ٠

وبعض الحالا تالاجتماعية ، وعمل قوائم الانساب ، مما يساعد على فهم البناء الاجتماعى ، والعلاقات الاجتماعية بين العائلات المختلفة ، ويلى ذلك محاولة حصر وتعداد الاسر ، وتصنيفها وفقا للعمر والنوع والعلاقات القرابية ، ثم حساب معدلات المواليد الوفيات • وتسهم هذه البيانات فى دراسة السكان والهجرة فى المجتمع • كما ان التعرف على الثقافة المادية السائدة فى المجتمع يساعد على فهم الكثير من انماط السلوك بالملاحظة خلال مرحلة مبكرة من البحث •

وما ان ينتهى الباحث من مهمته هذه عليه بعد ذلك ان يضع برنامجا يوميا لاجراء دراسته ، ويعتمد هذا البرنامج اليومى Routine of Reseach على طبيعة الدراسة ذاتها ، واسلوب الحياة المحلية ، ففى دراسة عامة عن الثقافة يمكن عمل برنامج منظم للملاحظة والمقابلة ، وتسجيل عدد من الموضوعات دون ان تواجه الباحث صعوبات عديدة •

ويجب على الباحث خلال الشهور الاولى من الدراسة ان يختار مناطق معينة من المجتمع المحلى لاجراء ملاحظة متعمقة والمقابلات مع الاهالى المقيمين بها ، فالبيوت المحيطة بمكان اقامة الباحث يمكن ان تشكل وحدة اجتماعية للملاحظة والمقابلة ، ويمكن بعد ذلك اختيار مناطق عديدة فى المجتمع باعتبارها وحدات اجتماعية ثانوية للدراسة (١) •

ويقوم الباحث بعد ذلك بجمع المعلومات والحقائق ، ويصنف مذكراته حسب فهرست يتكون من الموضوعات الاساسية التى يدرسها بحيث يسجل المعلومات الخاصة بالموضوع فى مكان واحد • ويقوم الباحث بعد ذلك بتحليل الحقائق والمعلومات بناء على عدد من المبادىء النظرية التى تزوده بالفروض التى توجه البحث وتعلو به عن مستوى السرد الوصفى الضحل • ويقوم الباحث بمحاولة اختبار هذه الحقائق • وهذا

---

(١) د• محمد على محمد • علم الاجتماع والمنهج العلمى — دراسة طرائق البحث واساليبه ص ٤٤١ •

يقتضى مهارة فى ادراك وتمييز الصيغ والنماذج اللغوية والتعبير والكتابة بلغة واضحة سليمة ٠

ويستعين الباحث فى ذلك بعدة مناهج للبحث بغية الوصول الى النظرية التى تفسر العلاقات بين الظواهر فى مجال الدراسة ٠ واذا ما استعرضنا طبيعة الدراسات التى أجراها علماء الانثروبولوجيا فى ضوء الاتجاهات النظرية المختلفة سنجد انهم استعانوا بأكثر من طريقة او منهج واحد للبحث ٠

ويتطلب ذلك ان يتمتع الباحث الانثروبولوجى بنوع من الشخصية والمزاج ، فبعض الناس لا يستطيعون تحمل شاق البعد عن وطنهم الاصلى خاصة لذا كانت المعيشة فى المجتمع المدروس قاسية ، وكانت الظروف الصحية غير متوافرة ٠ هذا الى أن الباحث مضطر الى تغيير عاداته فى المأكل والمسكن والملبس والمشرب ٠ ولهذا لا يستطيع الكثيرون تغيير أنفسهم عقليا ونفسيا وجسميا مع تلك الظروف الجديدة ٠ ويعنى هذا ان يتخلى الباحث عن قيمة وحضارته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحديد الملاحظة الموضوعية ٠

المراجع

أولا

المراجـــــع العربيـــــة

١ ـ د٠ أحمد أبو زيد ٠ البناء الاجتماعى ـ الجزء الاول ـ المفهومات الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ١٩٦٠ ٠

٢ ـ د٠ أحمد الخشاب ٠ دراسات انثروبولوجية ٠ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ٠

٣ ـ د٠ حسن عثمان ٠ منهج البحث التاريخى ٠ القاهرة ، دار المعارف الطبعة الرابعة ، ١٩٦٤ ٠

٤ ـ د٠ حسين فهيم ٠ قصة الانثروبولوجيا ـ فصول فى تاريخ علم الانسان ٠ الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٦ ٠

٥ ـ د٠ حسين مؤنس ٠ الحضارة ـ دراسة فى أصول وعوامل تدهورها٠ الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٧ ٠

٦ ـ د٠ زكى محمد أسماعيل ٠ انثروبولوجيا التربية ـ دراسه نظرية فى قبيلة الشيلك بجنوب السودان الاسكندرية ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠ ٠

٧ ـ د٠ زكى نجيب محمود المنطق الوضعى ٠ القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ٠

٨ ـ د شاكر سليم ٠ قاموس الانثروبولوجيا ٠ جامعة الكويت ، ١٩٨١

٩ ـ د٠ عاطف وصفى ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ٠ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ ٠

١٠ ـ ـــــــــ الانثروبولوجيا الثقافية ٠ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ ٠

١١ ـ د٠ عبد الحميد لطفى ٠ الانثروبولوجيا الاجتماعية ٠ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ ٠

١٢ - د· عبد الله محمد غانم · النظرية فى علم الانسان الاقتصادى - دراسة للاتجاهات النظرية فى الانثروبولوجيا الاقتصادية · الاسكندرية المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٤ ·

١٣ - عبد المجيد عبد الرحيم الانثروبولوجيا - علم الانسان · القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٩ ·

١٤ - د· عبد المنعم ماجد · مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، تعريف بمصادر التاريخ الاسلامى ومنهاجه الحديث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧١ ·

١٥ - د· على عبد المعطى محمد · فلسفة العلوم ومناهجها · الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ ·

١٦ - د· على محمود اسلام الفار · الانثروبولوجيا الاجتماعية - الجزء الاول - دراسة المجتمعات البدائية الشركة القدمية للتوزيع ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ ·

١٧- د· غريب سيد أحمد ود· السيد عبد العاطى السيد · دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا · الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ·

١٨ - د· فاروق محمد العادلى · دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية · الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ·

١٩ - د· فاروق مصطفى اسماعيل · التغير والتنمية فى المجتمع الصحراوى - دراسة انثروبولوجية فى منطقة امتداد مريوط · الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ·

٢٠ - ________ · الانثروبولوجيا الثقافية · الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ·

٢١ - د· فوزى رضوان العربى · المدخل فى الانثروبولوجيا التطبيقية الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ ·

٢٢ - د. فوزى رضوان العربى ود. فاروق احمد مصطفى . دراسات فى الانثروبولوجيا التطبيقية - مدينة العريش . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة وللكتاب ، ١٩٨٢ .

٢٣ - د. قبارى محمد اسماعيل . الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع . بيروت ، لبنان دار الطلبة العرب ، الطعبة الاول ، ١٩٦٩ .

٢٤ - ________ . الانثروبولوجيا الوظيفية . القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ .

٢٥ - ________ . الانثروبولوجيا العامة . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

٢٦ ________ . الانثروبولوجيا العامة - صور من قضايا علم الانسان . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

٢٧ - ________ . راد كليف براون - مؤسس الانثروبولوجيا المعاصرة - نظريا وحقليا . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٧ .

٢٨ - ________ . أصول الانثروبولوجيا العامة . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

٢٩ - ________ . أسس علم الانسان - الانثروبولوجيا . الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

٣٠ - د. محمد الجوهرى . الانثروبولوجيا - أسس نظرية وتطبيقات عملية . القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ .

٣١ - د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع الحضرى ، الاسكندرية . دار الطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

٣٢ - ________ . علم الاجتماع - النظرية والمنهج والموضوع . دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

٣٣ - د· محمد عباس ابراهيم · الثقافات الفرعية · دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ·

٣٤ - د· محمد عبد المعز نصر · فى الثورة والاشتراكية · الاسكندرية ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ ·

٣٥ - د· محمد عبده محجوب · قراءات سوسيوانثروبولوجيه · الاسكندرية ، قسم الانثروبولوجيا - كلية الاداب - جامعة الاسكندرية ، ج·م·ع ، ١٩٧٥ ·

٣٦ - ________ · مقدمة فى الانثروبولوجيا - المجالات النظرية والتطبيقية · الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ·

٣٧ - د· محمد عبده محجوب واخرون · دراسات سوسيوانثروبولوجية - الكتاب الاول · الاسكندرية دار المرقة الجامعية ، ١٩٧٥ ·

٣٨ - د· محمد على محمد · علم الاجتماع والمنهج العلمى - دراسة فى طرائق البحث واساليبه · الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، د· ت ·

٣٩ - ________ · الانثروبولوجيا الثقافية · الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ ·

٤٠ - د· محمد محمود الجوهرى واخرون · ميادين علم الاجتماع · القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠ ·

٤١ - د· مصطفى سويف · الاسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر خاصة · القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥١ ·

ثانيا

المراجع الاجنبية (مترجمة)

٤٢ - بريتشارد / ادوارد أ· ايفانز · الانثروبولوجيا الاجتماعية ترجمة د· أحمد أبو زيد ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الخامسة ١٩٧٥ ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٠ ·

٤٣ - بوتول / جاستون · تاريخ علم الاجتماع · ترجمة د· محمد عاطف غيث وعباس الشربينى · الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ·

٤٤ - بيلز / رالف ل· الانثروبولوجيا العامة · الجزء الاول · ترجمة د· محمد الجوهرى ود· السيد محمد الحسينى · القاهرة / نيويورك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ ·

٤٥ - ديوى / جون · المنطق - نظرية البحث · ترجمة وتصدير وتعليق د· زكى نجيب محمود د· القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ·

٤٦ - لينون / رالف · دراسة الانسان · ترجمة عبد الملك الناشف ، صيدا ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ ·

٤٧ - مونتاغيو / اشلى · البدائية · ترجمة د· محمد عصفور · الكويت عالم المعرفة ، ١٩٨٢ ·

ثالثـــا

المراجـــع الاجنبيـــة

48 — Ardener, Edwin, Social Anthropology and Language, New York, Tavistok publication, 1971.

49 -- Beals, Ralphl. & Hoijer, Harry, An Introduction to Anthrology, New york, The Mac Millan Com pany, 1971.

50 — Bohannan, paul, Social Anthropology, New york, Holt, Rinehart and winston, 1966.

51 — Bymmer, John & Stivebley, Keith M., Social Research, Principles and precedures New york, Longman in Association with the open university Press, 1979.

52 — Good, William I William I &Hatt, Paul R., Method in Social Research, New york, Mc Graw Hill Book Company, 1952

53 — Issa, Aly A., Social Anthropoloqy in Theory and Practice, Cairi, Dar, Al Maarif, 1964.

54 -- Krober, Anthropology, Race, Language, Culture, Psychology, Pre - history, New Delh, oxford & Ibh publishing co., 1972.

55 — Lewis, John, Anthropology — Made Simple, London, w. H. Allen, 1966.

56 — Lienhardt. Godfrey, Social Anthropology, London, oxford universities, 1966.

57 — Mair, Lucy, An Introduction to Social Anthropology, oxford, 1968

58 — Marett, R. R., Anthropology, London, oxford universities press 1944.

59 — Pritchard E.E. Evans, Social Anthropology, London, Cohen & west. L. T. D: 1951

60 — Radcliffe — Brown, Method on social Anthropology. Chicago, 1958.

61 — Rogerson, Anthropology and The old Testament, Atlanta, John Knox — press 1978.

62 — Tylor, Edward, Anthropology, An Introduction to the study of Man and Civilization, London, watts & Co. 1946.

63 — Tylor, Robert B., Introduction to cultural Anthropology. Boston. Allen & Bacon, Inc. w. D.

64 — Wach, Jaackin, The Sociology of Religion, London, kegan Paul, 1947

65 — Waitz, Charles A., Introduction to physical Anthropology, and Archaeology, New Jersey, Prentice - Hall, 1969

66 — Young, Pauline., & Calvin Schmid, Scientific Survey annd Reseach, Prentice — Hall — Second Printing, 1958.

للمؤلــــــف

١ ـ الاستعمار فى القرن العشرين • الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٧٥ •

٢ ـ الادعاءات الصهيونية والرد عليها اسكندرية • الهيئة المصريــــة العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ •

٣ ـ الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظريــة فى علم الاجتمـــاع • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ •

٤ ـ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ •

٥ ـ تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ •

٦ ـ المدينة دراسة فى علم الاجتماع الحضرى • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث • الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ •

٧ ـ العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٧ •

٨ ـ دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والامراض ـ دراسة فى علم الاجتماع الطبى • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ •

٩ ـ التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية ـ دراسة فى علم الاجتماع السياسى • الاسكندرية ،المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٨ •

١٠ ـ دور المتغيرات الاجتماعية فى التنميـــة الحضرية دراسة فى علم الاجتماع الحضرى • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٨

١١ ـ العلم والبحث العلمى ـ دراسة فى مناهج العلوم • الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٨ •


AL-ESHAA
مطبعة
الإشعاع